Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

893.783
I 2 7

(فهرسة الجزء الاول من كتاب المستطرف)

صحيفة	
٦	الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول
٦	الفصل الاول فى الاخلاص لله تعالى
٧	الفصل الثانى فى الصلاة وفضلها
١٠	الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها
١٣	الفصل الرابع فى الصوم وفضله الخ
١٤	الفصل الخامس فى الحج وفضله
١٥	الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك
٢٠	الباب الثالث فى القرآن وفضله الخ
٢٣	الباب الرابع فى العلم والادب الخ
٢٩	الباب الخامس فى الآداب والحكم
٣٣	الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول
٣٣	الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم
٣٤	الفصل الثانى فى أمثال العرب
٣٥	الفصل الثالث فى أمثال العامة الخ
٣٦	الفصل الرابع فى الامثال من الشعر الخ
٤٢	الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء الخ
٥٠	الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة الخ وفيه فصول
٥٠	الفصل الاول فى البيان والبلاغة
٥١	الفصل الثانى فى الفصاحة
٥٨	الفصل الثالث فى ذكر الفصحاء من الرجال
٦٧	ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن
٧١	الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة الخ
٧٤	الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء
٧٥	فصل فى ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم
٨٠	الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى الخ وفيه فصول
٨٠	الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى
٨٤	الفصل الثانى فى القناعة والرضا الخ
٨٨	الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل
٩٠	الباب الحادى عشر فى المشورة والنصيحة والتجارب الخ
٩٥	الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك
١٠٠	الباب الثالث عشر فى الصمت وصون اللسان الخ وفيه فصول
١٠٠	الفصل الاول فى الصمت وصون اللسان
١٠٢	الفصل الثانى فى تحريم الغيبة
١٠٣	الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة
١٠٧	الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان
١٥٩	الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان الخ
١١١	الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك
١١٢	الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية وما فيهما من الغرر والخطر
١١٨	الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء الخ وفيه فصول
١١٨	الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم
١٢٠	الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وما جاء فى الديون
١٢٢	الفصل الثالث فى ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء فى الرياء ونحو ذلك
١٢٣	الباب التاسع عشر فى العدل الخ

صحيفة	
١٢٦	الباب العشرون فى الظلم وشؤمه الخ
١٣١	الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال الخ وفيه فصلان
١٣١	الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج الخ
١٣٤	الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة
١٣٦	الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف الخ
١٣٩	الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها
١٤٣	الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة
١٥١	الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى الخ وفيه فصلان
١٥١	الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم
١٥٢	الفصل الثانى فى الشفاعة واصلاح ذات البين
١٥٣	الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع الخ وفيه فصلان
١٥٣	الفصل الاول فى الحياء
١٥٤	الفصل الثانى فى التواضع الخ
١٥٤	الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك
١٥٦	الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت
١٦١	الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة
١٦٤	الباب الثلاثون فى الخير والصلاح الخ
١٧٥	الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم
١٨٥	الباب الثانى والثلاثون فى ذكر الاشرار والفجار الخ
١٨٧	الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم الخ
٢٠٤	الباب الرابع والثلاثون فى البخل والشح وذكر البخلاء الخ
٢١٠	الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة الخ
٢٢٢	الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح الخ
٢٣٣	الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم
٢٤٣	الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه
٢٤٦	الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة الخ وفيه فصول
٢٤٦	الفصل الاول فى الغدر والخيانة
٢٤٩	الفصل الثانى فى السرقة والسراق
٢٤٩	الفصل الثالث فيما جاء فى العداوة والبغضاء
٢٥١	الفصل الرابع فى الحسد
٢٥٣	الباب الاربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها الخ وفيه فصلان
٢٥٣	الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس
٢٥٤	الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها
٢٥٩	الباب الحادى والاربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال الخ
٢٦٩	الباب الثانى والاربعون فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول
٢٦٩	الفصل الاول فى المدح والثناء
٢٧٧	الفصل الثانى فى شكر النعمة
٢٨٠	الفصل الثالث فى المكافأة

(تمت)

الجزء الاول من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف
تأليف الامام الاوحد العالم العلامه
اللوذعى الفهامه الشيخ شهاب
الدين أحمد الابشيهى
تغمده الله بالرحمة
والرضوان
آمين

not wanted in Rare Books 2/21/77

قيوجقلى احمد اوسطه نك وقفيدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العظيم العلى الكبير الغنى الحميد اللطيف الخبير المنفرد بالعز والبقاء والارادة والتدبير الحى العليم الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسره من عسير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الخلق من غنى وفقير ومأمور وأمير صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير وينجو بها فى الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير * (أما بعد) * فقد رأيت جماعة من ذوى الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا مجلدات فى التواريخ والنوادر والاخبار والحكايات واللطائف ورقائق الاشعار وألفوا فى ذلك كتبا كثيره وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن فى غيره من الكتب محصوره فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف وسميته المستطرف فى كل فن مستظرف واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبى الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الاخيار ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد ورجوت أن يحمد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجمعت فيه لطائف وظرائف عديده من منتخبات الكتب النفيسة

المفيده

المفيده وأودعته من الاحاديث النبويه والامثال الشعريه والالفاظ اللغويه والحكايات الجدّيه والنوادر الهزليه ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ماتشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح بمطالعته كل قلب محزون شعر

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

وجعلته يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بألفاظ كأنها الدرّ المكنون كما قال بعضهم شعرا في المعنى

ففي كل باب منه درّ مؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر

فان نظم العقد الذى فيه جوهر * على غير تأليف فما الدرّ فاخر

وضمنته كل لطيفه ونظمته بكل ظريفه وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسر لى مارمته من الوصول وجعلت أبوابه مقدمه وفصلتها فى مواضعها مرتبة منظمه ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى فى بابه ان شاء الله تعالى والله المسؤل فى تيسير المطلوب وأن يلهم الناظر فيه ستر مايراه من خلل وعيوب انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرسة الكتاب والله الميمون للصواب (الباب الاوّل) فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول (الباب الثانى) فى العقل والذكاء والحمق والذم وغير ذلك (الباب الثالث) فى القرآن العظيم وفضله وحرمته وماأعدّ الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس) فى الآداب والحكم وماأشبه ذلك (الباب السادس) فى الامثال السائرة وفيه فصول (الباب السابع) فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول (الباب الثامن) فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وماجرى مجرى ذلك (الباب التاسع) فى ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد (الباب العاشر) فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وماأشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى عشر) فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب (الباب الثانى عشر) فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وماأشبه ذلك (الباب الثالث عشر) فى الصمت وصون اللسان والنهى عن الغيبة والسعى بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع عشر) فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام ومايجب للسلطان على الرعية ومايجب لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته (الباب السادس عشر) فى الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وماأشبه ذلك (الباب السابع عشر) فى ذكر الحجاب والولاية ومافيها من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم ومايتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك (الباب العشرون) فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير

ذلك (الباب الحادى والعشرون) فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان
فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) فى
اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء الحوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب
الثالث والعشرون) فى محاسن الاخلاق ومساويها (الباب الرابع والعشرون) فى حسن
المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) فى الشفقة
على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب
السادس والعشرون) فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان
(الباب السابع والعشرون) فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك (الباب الثامن
والعشرون) فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) فى
الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة
وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين (الباب الحادى والثلاثون) فى مناقب
الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) فى ذكر الاشرار
والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) فى
الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الاجواد وأحاديث
الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم
(الباب الخامس والثلاثون) فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف
وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) فى العفو والحلم والصفح
وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك (الباب السابع والثلاثون)
فى الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) فى كتمان السر
وتحصينه وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون) فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة
والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها
وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادى
والاربعون) فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء
وأخبارهم وذم الجبن (الباب الثانى والاربعون) فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة
وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) فى الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون)
فى الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) فى بر الوالدين وذم
العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه
فصول (الباب السادس والاربعون) فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح
والطول والقصر والالوان واللباس وما أشبه ذلك (الباب السابع والاربعون) فى ذكر
الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء فى التختم (الباب الثامن والاربعون) فى
الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب
التاسع والاربعون) فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها (الباب الخمسون) فى
الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب

الوطن والحنين الى الاوطان (الباب الحادى والخمسون) فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثانى والخمسون) فى ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد (الباب الرابع والخمسون) فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) فى العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتوانى وما أشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) فى شكوى الزمان وانقلابه باهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) فى أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم (الباب الستون) فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا (الباب الحادى والستون) فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثانى والستون) فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات مرتبا على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) فى خلق الجان وصفاتهم (الباب الخامس والستون) فى ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول (الباب السادس والستون) فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول (الباب السابع والستون) فى ذكر المعادن والاحجار ونحو اصها (الباب الثامن والستون) فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر المجالسات فى مجالس الخلفاء (الباب السبعون) فى ذكر القينات والاغانى (الباب الحادى والسبعون) فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق وما فى معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثانى والسبعون) فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يمدح وما يذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) فى ذم الخمر وتحريمها والنهى عنها (الباب الخامس والسبعون) فى المزاح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) فى النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله (الباب التاسع والسبعون) فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار (الباب الثمانون) فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعيادة وثوابها وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله (الباب الثانى والثمانون) فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه

فصول (الباب الثالث والثمانون) فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب الرابع والثمانون) فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب ختمتها بالصلاة على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته يوم المعاد

(الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول) فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ند له أزلى قائم أبدى دائم لا أول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ وهو فوق كل شئ فوقيته لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى دار القرار على ما دلت عليه الآيات والاخبار حى قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لا يجرى فى ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمعونته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام لا يشبه كلام خلقه وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته ومامن حركة وسكون الا وله فى ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية وقال أبو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
* وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد
ولله فى كل تحريكة * وتسكينة فى الورى شاهد

(وقال غيره)

كل ما ترتقى اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذى أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

وقال على رضى الله عنه فى بعض وصاياه لولده اعلم يا بنى انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا ضداد فى ملكه أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل ما يتصور فى الاذهان فالله سبحانه بخلافه

وقال

وقال لبيد بن ربيعة

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل
وكل ابن أنثى لو تطاول عمره * الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الأنامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حصلت عند الاله الحصائل

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان أشعر كلمة قالتها العرب
* ألا كل شئ ماخلا الله باطل * ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بان محمدا رسول الله
بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد
البشر والشفيع المشفع فى المحشر وجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا
والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير
وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد فى قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان
له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط
حق والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير
حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى
جهنم من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء
ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على
ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل
الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة
وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع
مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على احد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

(الفصل الثانى) فى الصلاة وفضلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا فى اشتقاق اسم الصلاة ثم هو فقيل هو من الدعاء
وتسمية الصلاة دعاء معروفة فى كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل
سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فهى من الله
رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل
أبى اوفى أى ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صلبت العود على النار اذا
قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربه وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن
وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى

الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال بعضهم لا تفوت أحدا صلاة فى جماعة الا بذنب وكانت رابعة العدوية تصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من أمتى هذا عملها فى اليوم والليلة وقال بعضهم صليت خلف ذى النون المصرى فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقى كأنه جسد لا روح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبى انخلع من هيبة تكبيره وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتى واذا جن عليه الليل نام عنى أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه ولعبد الله بن المبارك رضى الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

وكان سيدى الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحريرى رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل ولو ساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدى أويس القرنى لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبى يطيل المكتوبة ويقول هى رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفؤها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكائر وجز أ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل اثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله وكان مسلم بن بشار اذا أراد أن يصلى فى بيته يقول لاهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو فى الصلاة فما شعر به حتى أطفئ وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير فى المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه فى الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط وختم القرآن فى ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعى شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقال يا ابن أخى لك

ولاصحابك

ولاصحابك لا للجمالين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه فى الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغنى أن الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين يدى ربى أفلا أصبر على ذباب يقع على وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فى القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان فى هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكانت دموعه تقع فى مصلاه كوكف المطر وكان ابراهيم الخليل عليه السلام يسمع لقلبه خفقان وغليان هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلنى رفيقك فى الجنة فقال أعنى على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الاصم رحمه الله تعالى فاتتنى صلاة الجماعة مرة فعزانى أبو اسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضى الله عنهم يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وأنشد بعضهم

خسر الذى ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا وما آبا
ان كان يجحدها فحسبك أنه * أضحى بربك كافرا مرتابا
او كان يتركها لنوع تكاسل * خطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعى ومالك رأيا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأى عندى للامام عذابه * بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم اعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ومما يستحسن الحاقه بهذا الفصل ذكر شئ من فضل السواك والاذان أما السواك فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال أيضا صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس ما فى السواك لباتوا مع الرجل فى محافه وقال أيضا أفواهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها والاختيار فى السواك أن يكون بعود الاراك ويجزى بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الايمن من فيه وينوى به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال

الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لى فيه يا أرحم الراحمين ويستاك فى ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه واضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السواك أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح * وأما الاذان فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين رواه البخارى ومسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه البخارى والاحاديث فى فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

*(الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها) * قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة فى مواضع شتى من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت الزكاة مالا قط الا اهلكته وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده ما يزكى ولم يزك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج سأل الرجعة يعنى قوله تعالى رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت * ولنلحق بهذا الفصل ذكر شئ من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الاجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزى المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات الآية والآيات الكريمة فى ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذى فى جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفى صحيح مسلم وموطا مالك وجامع الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة أو قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى ودخلت امرأة شلاء على عائشة رضى الله عنها فقالت كان ابى يحب الصدقة وأمى تبغضها لم تتصدق فى عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأن امى قد غطت عورتها بالخلقة وفى يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى أبى وهو على حافة حوض يسقى

الناس فطلبت منه قدحا من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوقي ألا من سقاها فشل الله يدها فانتهت كماترين ووقف سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها في مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يارب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل * وعشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما هممت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقال اعترضنا ملكان فطرحانا في المخافقين وقال النخعي كانوا يرون أن الرجل المظلوم اذا تصدق بشئ دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من طعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو امسلما ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم انه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فأعطاه اياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كساه الله كساه الله وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن ابن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شئ أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شئ أعطاه كلاما أو أخرج

ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل ووجه رجل ابنه فى تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما ربحا فسأله أبوه هل أصابك فى سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا فى وسط البحر وغرقت فى جملة الناس واذا بشابين أخذانى فطرحانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت باكثر من ذلك وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله اياه ولله در القائل حيث قال

يبكى على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذى يذهب

(وحكى) أن رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة اذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فاعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له ياهذا والله أنت ما عصيت الله مع غيرى وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا صادفك مولاك فاذكرنى قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم فى كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فمد ذلك الرجل العاصى يده فاخذ رغيفا فبقى منهم رجل لم ياخذ شيأ فقال أين رغيفى فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فامر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فاوحى الله تعالى اليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فاوحى الله اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا سائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعى اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل وذكر عن مكحول أن رجلا أتى الى أبى هريرة رضى الله عنه فقال ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه فقال له الا أدلك على ما هو أنفع من دعائى وانجح وأسرع

اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوى بها نجاة ولدك وسلامة مامعه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته ومامعه فنادى فى تلك الساعة منادى البحر ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال يا أبت لقد رأيت فى البحر عجبا يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين * والآثار والحكايات فى ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان الا ماسعى والله أعلم

*(الفصل الرابع فى الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب) * قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قضاء الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى فى صحيح النسائى عنه أيضا صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره وروى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له فى شهر رمضان فلن يغفر له فى غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما فى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلى فى ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى

رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهي الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفي صحيح البخاري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفضل الصوم غير لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت في الصحيح من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقد يكتفي في فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الخامس في الحج وفضله) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات اجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفي الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم في الدنيا وفي الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من ياقوت الجنة وانه بعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء في الحديث الصحيح أن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة الف فان نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزذ والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * ولما بنى آدم عليه السلام البيت وقال يارب ان لكل عامل أجرا فما أجر عملي قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يارب زدني قال أغفر لكل من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبي * وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وأول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم

الاله أحبه وأخشاه ورؤى الحسن بن على رضى الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكى ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسكينك ببابك يردد ذلك مرارا ثم انصرف رضى الله عنه فترى ساكين معهم فلق خبزيأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لاكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلى فتوجهوا معه فاطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم * وحج عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال اعتقتهم لله تعالى لعله يعتقنى من النار وقال الحسن بن على رضى الله عنهما انى لاستحى من ربى أن ألقاه ولم امش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة ومن لطيف ما أنشد عمرو بن حبان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيأ

كأن الحجيج الآن لم يقربوا منى * ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
اتونا فجادوا بعود اراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نفلا

(وقال غيره)

يحجون بالمال الذى يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره * يحط ولكن فوقه فى جهنم

(وقال آخر)

حج فى الدهر حجة * حج فيها وأحرما
وأتانا من الحجا * زكما راح محرما
فهو ذو الحجة الذى * ما توقى محرما

وتخاصم بدوى مع حاج عنده منصرف الناس فقيل له أتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

(وقال أبو الشمقمق)

اذا حجت بمال أصله دنس * فما حجت ولكن حجت العير
ما يقبل الله الا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك)

نص الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى وبك احاسب وبك اعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر

مضى خلقه الله عز وجل فى الدماغ وجعل نوره فى القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة * واعلم أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما * فاما الاول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء * وأما الثانى فهو العقل التجربى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ اكمل عقلا وأتم درايه وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت المحاوث سوادلته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بالطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب وتصير بهارا بحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما اخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية اشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبى حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام فى أمر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثى فاهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذذاك على ما نقله أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ما هو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده فى قول اكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفى هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيأ من أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام فاقول يستدل على عقل الرجل بامور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رزائل الاعمال

ورغبته فى اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا و يورثه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس يكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذى يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابى فقال هذا كلام يقطر عسلا وقيل بأيدى العقول تمسك أعنة النفوس وكل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار فى المروج واختلف الحكماء فى ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة فى القلب كالنور فى العين وهو يزيد وينقص و يذهب و يعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبى حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى انه فى القلب كما روى عن الشافعى رحمه الله واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حيلة وتجربة قال الشاعر

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء فى غير آفة * أفادت له الايام فى كرها عقلا

وقال عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل ويقال لاشرف الاشرف العقل ولا غنى الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل أحل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلى رضى الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذى يضع الشئ مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعنى الذى لا يضع الشئ

مواضعه وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكر ولا تعمل بغير تدبير وقال أردشير اربعة تحتاج الى اربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى انوشروان أربعة تؤدي الى أربعة العقل الى الرياسة والرأي الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله اغلب الخصال عليه كان حتفه من اغلب الخصال عليه وقيل افضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من اعجب برأي نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وأرحمهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم ايما احمد في الصبا الحياء ام الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال أبو الدرداء رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبي وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل الى صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا (وحكى) بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم وروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من اعاديها
والنفس تعلم اني لا اصدقها * ولست ارشد الا حين اعصيها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ورأيه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته ونظافة بزته اذ كم من من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهو يرجع وعنده دخل وخرج فاردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة نوجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله وقيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة

الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل أخبرت بذلك أحدا غيري قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الي قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الي بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي أموال كثيرة ورأيت ان أودعها عندك فاذهب وهيئ لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس أتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طالبا منه تسليم المال فسبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره * ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد اخبركم ان شاء الله تعالى فلما اصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما ابصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فاقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء * (واما ذم الحمق) فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت اليه في أمر من الامور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه اعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخرجها من الدماغ فمن أفرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والخجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال افحش وان

سئل بخل وان سأل ألح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها فى كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فاعياني والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال جر على حجر (وحكى) ان احمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما للآخر تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهم شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بازقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان رجل يتعبد فى صومعة فامطرت السماء وأعشبت الارض فرأى حماره يرعى فى ذلك العشب فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حمارى هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فاوحى الله اليه لا تدع عليه فانى أجازى العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا ما يوجب حجة الله عليه وخطب سهل هند ابنة عتبة فحمقته فقال

وما هو جى يا هند الا سجية * أجرلها ذيلى بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولاطمت فى البطحاء من كل طارق

ويقال للابله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والاحمق المؤذى هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثالث فى القرآن وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم) *

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الانام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته ان أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لا شئ أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى

وقال

وقال الشعبي الذي يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز وجل ووفد غالب بن صعصعة على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال اذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها قال له يا ابا الاخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه في سنة وفي ذلك قال

وما صب رجلي في حديد مجاشع * مع القيد الا حاجة لي أريدها

وقال أنس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر (وحكى) الزمخشري في كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخوص مر بمصروع عاذن في اذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثوري رحمه الله اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة في المصحف * وكان أبو حنيفة والشعبي رحمهما الله تعالى يختمان في رمضان ستين ختمة وقال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبي اللسان عدل على الاذن والقلب فقر أقراءة تسمعها اذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتي افضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا وقال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزني قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة عاين البكاء وكان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بمريم الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا خير في قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ولعن اباه اذا نشر المصحف أعمى عليه ويقول هو كلام ربي وأبصات عائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى

الله عليه وسلم ليلة فقال ما حبسك قالت قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القرآت فعلى قراءة من تأمرني فقال على قراءة أبي عمرو * وعن أبي عمر اني لم أزل اطلب ان اقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فقرأت عليهم فاشددت بهديك فينبغي للانسان ان يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في كتابه الاذكار قد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات اربعا في الليل وأربعا في النهار وروي أن مجاهدا رحمه الله كان يختم القرآن في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء واما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم وروينا في مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابي محمد الدارمي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وافضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فافضلها قراءة الليل والنصف الاخير افضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة واما قراءة النهار فافضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الاوقات ولا في اوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا ويجب على القارئ الاخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وان لا يقصد بها توصلا الى شئ سوى ذلك وان يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه انه يناجي ربه سبحانه وتعالى ويتلو كلامه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغي للقارئ اذا أراد القراءة ان يتنظف فمه بالسواك وان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور ويتيسر المرغوب ودلائله أكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضي الله عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين

وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط ان لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما والاحاديث فى فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فليتظر فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيى الدين النووى قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء فى فضل القرآن احاديث كثيرة * وروى فى فضل قراءة سور من القرآن فى اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفى رواية له من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفورا له وفى رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال من قرأ فى ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم) *

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والمجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار فى الدرجات العلى ومجالسة الملوك فى الدنيا ومرافقة الابرار فى الآخرة والفكر فى العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبى صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة فى طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد فى طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر الاقلام دخل الجنة وقال على كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضى الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون فى سفن النجاة

يسرون وقال موسى عليه السلام فى مناجاته الهى من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضى الله عنهم العلوم أربعة الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرئ غيره (وسئل) الشعبى عن مسئلة فقال لا علم لى بها فقيل له الا تستحيى فقال ولم استحيى مما لم تستحى الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال على كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

* يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام ذى الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
* وتراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
* فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
* فهناك يقبل ما تقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
* لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
* الا مباهاة لاصحابه * وعدة للغش والظلم

نظر رجل الى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك أبى وأمى ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة فى أحكامهم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه فى دينه وكررها عليه فقال يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرنى عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل * وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عد فى الملكوت الاعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والاسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم * وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ألا اخبركم بأجود الاجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله أجود الاجواد وأنا أجود ولد آدم وأجود من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم

القيامة

القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل وقال الثورى كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى انه قال لو أن أهل العلم اكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادلهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا انفسهم وبذلوا علمهم لابناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فاعظم بها مصيبة والله أعلم وللقاضى العلامة أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى وقد أحسن كل الاحسان كما طرزت فى خلع حسان شعر

ولم اقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لى سلما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى * لأخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان اسهلا
فان قلت زند العلم كاب فانما * بكاحين لم نحرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم فى صغره لم يتقدم فى كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا رأى طالبى العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدى النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضى الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتى من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم شعر

العلم أنفس شئ أنت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فاول العلم اقبال وآخره

قال الشعبى دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألنى عن اسمى فاخبرته ثم قال يا شعبى كيف علمك بكتاب الله قلت عنى تؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الى فيها المنتهى قال كيف علمك بانساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا دوانه قال لله أبوك وفرض لى أموالا وسودنى على قومى فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وأنا سيدهم قال البستى

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره ان الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضى الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى ثنتين وثلاثين منها لا أدرى وقال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال على رضى الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض ولصالح اللخمى شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلى على المهدى فى القراء فاخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى الرماة فاخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى المغنين فاخذ كذلك ثم دخل فى القصاص فاخذ كذلك فقال المهدى لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله فى أحد منك ومل جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتوار واعنه فى بيت فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون فى شئ الا صدروا عن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصى فانشأ يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فارشدنى الى ترك المعاصى
وذلك أن حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصى

ووجد فى بعض الآثار عن بعضهم انه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فعليك عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة فى كل شئ أردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قيل واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك يا ذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه ومن فوائد سيدى الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن جميل رحمه الله تعالى فى الحفظ يقرأ فى كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكانا عالمين يا حى يا قيوم يا رب موسى وهرون ويا رب ابراهيم ويا رب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمنى الفهم وارزقنى العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين وعن أبى يوسف قال مات لى ولد فامرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبى حنيفة خوفا ان يفوتنى منه يوم وقال محمد ابن اسحق بن خزيمة ما رأيت تحت أديم السماء اعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخارى حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال البخارى رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح وقال ما وضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى

وقال

وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فصبرنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعي لما قدم مصر بعد موته والله لأنت أعلم من مالك وانما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ما هلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا تحب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر شعر

لا تدخرن غير العلو * م فانها نعم الذخائر
فالمرء لو ربح البقا * مع الجهالة كان خاسر

وللشافعي رضي الله تعالى عنه شعر

أخي لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة استاذ وطول زمان

وقال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل عالم سراج زمانه يستضيء به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس أطول ندامة قال أما في الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما في الآخرة فعالم مفرط شعر

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يا نبي الله ان هذا العصفور يقول يا موسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لا تعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت ولا الخضر وما علمي وعلمك وعلم الخضر في علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقي لا يعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يا رب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال يا موسى كنت آمر دابة من دوابي ان تبتلعهما قال موسى يا رب وأين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال موسى يا رب وأين ذلك المرج قال في علم من علمي لا يعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في فكرة فقال فيم تفكرون تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا بقال لها البيضاء تقطعها الشمس في أربعين يوما فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يا رسول الله أين ابليس منهم قال ما علموا بابليس خلق أم لا قال أمن بني آدم قال ما علموا بآدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدها الله في علم غيبه انما أمره اذا أراد شيأ ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون وقال قتادة

لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لا كتفى نبى الله موسى عليه السلام اذ قال هل أتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقال الحكماء أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ما خزنته الدفاتر وانما العلم ما خزنته الصدور وقيل العلم يؤدى الى التصدير وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل عمى وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودون العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل أهل العراق أطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها ولابراهيم بن خلف المهرانى

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

وقال على بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعدا صلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
و يعجبنى زى الفتى وجماله * فيسقط من عينى ساعة يلحن

ودخل اعرابى السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال له لا تنظر فى العربية فقال بلغنى ان من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لأن يقل كلامك بالصواب خير لك من ان يكثر كلامك بالخطأ وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الأسود الدؤلى اذا اردت ان تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولم تدرى بأنك جاهل * ومن لى بان تدرى بأنك لا تدرى

وقال رجل للحسن انا افصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ على كلمة واحدة قال هذه واحدة أبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه ابا الحكم فقال حسان رضى الله عنه

الناس كنوه اباحكم * والله كناه اباجهل

(واما ما جاء فى الادب) فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال على كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروأة صاحب فى المجلس انيس فى الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الالباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح (وحكى) ان رجلا تكلم بين يدى المأمون فأحسن فقال ابن من انت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما انا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فانتمى منتم الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سرّ به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضى الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم اليه وحموضة وجوههم فقال مالكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبد على الاسرة وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الادب ان لا يفتخر المرء بادبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا مجد أولهم * ما فى المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب

وقيل أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم البطش الا بالجراءة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى أعلم

(الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك)

قال الحكماء اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك وسلامة امسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من اطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه احد ومن قنع بعطائه لم

يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى اكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدرى ما حاله ولا تعرف من أهله من كثرت بتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لا تدت على غرة وصحة وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسىء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يحدا لجهول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن المجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من أثمن الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه حتى يكون فيه اربع خصال يقطع رجاءه مما فى أيدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويتقى بمواعيد الله اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروأة قيل لافلاطون ما الشىء الذى لا يحسن ان يقال وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه أربعة تؤدى الى اربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه جده العزة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النعم قبيح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم اسد الآراء والغفلة اضر الاعداء من قعد عن حيلته اقامته الشدائد ومن نام عن عدوه ايقظته المكائد من قرب السفلة واطرح ذوى الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند اربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء يبان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شانه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن اكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من اذل جيرانه ولا سعد من حرم اخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال اولى الناس بالنوال ازهدهم فى السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبيح الشتم منه فغظه بحسن الحلم عنه من بخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام أمن من الاعدام من طاب أصله زكا فرعه من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة من من بمعروفه سقط شكره ومن اعجب بعمله حبط أجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع فى هبته بالغ فى

خسته من رقى فى درجات الهمم عظم فى عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من صدق فى مقاله زاد فى جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن حاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف فى النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام أفضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام المروأة ان تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى أصدقائه وبخله يبغضه الى أوداته لا تسئ الى من أحسن اليك ولا تعن على من انعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم من حفر حفيرا لاخيه كان حتفه فيه من سل سيف العدوان أغمد فى رأسه من لم يرحم العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا تحاج من يذهلك خوفه ويملكك سفهه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال مالا ينبغى سمع مالا يشتهى جرح الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابا وأوجعه عتابا من أمات شهوته أحيا مروأته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته عظمت خطيئته اياك والبغى فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس فى الخير أربعة أقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقى ومن تركه استحسانا فهو دنى من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرفاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله المجهول مخطئ وان ملك والمتأنى مصيب وان هلك من أمارات الخذلان معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق ارفق مفتاح الرزق من نظر فى العواقب سلم من النوائب ومن أسرع فى الجواب أخطأ فى الصواب من ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت وسائله من فعل ماشاء لقى ماساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل قليل تحمد آخره خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتك اذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة لا تشتك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من افشى سره أفسد امره الحازم من حفظ ما فى يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب ما لا يكون طال تعبه لا تفتح بابا يعسر سده ولا ترم سهما يعجز ردّه سوء التدبير سبب التدمير اغمد سيفك ما ناب عنك لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن العجب من عاقل يصحبه لان كل شئ يفر من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطب تحت طلب ومنية تحت أمنية لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح

الجوع خير من الخضوع الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من
طاوعه طرفه اشتد حتفه من لم تسر حياته لم تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين
العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية اذا ملك الارذل هلك الافاضل
من ساء خلقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفاء
خير من قرب يوجب الجفاء اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن
رده من اطلع على جاره انتهكت حجب أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر
اعجابه أظهر الناس نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها
من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة بكثرة
الآداب لا بفراهة الدواب من زادت شهوته نقصت مروأته من عرف بشئ نسب
اليه ومن اعتاد شيأ حرص عليه عند الجدال يظهر فضل الرجال من أخر الاكل لذ
طعامه ومن أخر النوم طاب منامه موت في دولة وعز خير من حياة في ذلة وعجز مقاساة
الفقر هي الموت الاحمر ومسئلة الناس هي العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم
من مرغوب فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة
اللسان تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى
الالباب عمارة القلوب شر ما صحب المرء الحسد ربما أصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير
قصده اليأس خير من التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا في غير عجب ولا ماشيا في
غير أرب من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد
خاطر من استبد برأيه أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه مله أهله الحسد
للصديق من سقم المودة كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذى أنت فيه
استر سوأة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت
الندامة من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب
ليس لمجرب رأى ولا لمتكبر صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار
لا تعادين أحدا فانك لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل
الجاهل ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت
راحته لا تردن على ذى خطأ خطأه فيستفيد منك علما ويتخذك عدوا استحى من ذم من
لو كان حاضرا لبالغت في مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة
توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة
والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة
وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة
والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل
يوجب الذم والتواني يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والتحذر يوجب السلامة
واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأني تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة
وبخفض الجانب تانس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب

التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر انصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو اهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فأقلع المروآت كلها تتبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل أصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على اربع كلمات لا تحمل بطنك مالا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

(الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول)

(الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم)

اعلم ان الامثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا فكم فى ايراده واصداره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فمن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ما على الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب ففررت منكم لما خفتكم وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا أن الله شديد

العقاب وأن الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون
فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم
مقتدون ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين لايحليها الوقتها الا هو فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو فى شأن
فبأى حديث بعده يؤمنون وماربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا
من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها أن هى الا فتنتك فاعتبروا ياأولى الابصار
وانه لقسم لو تعلمون عظيم ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكان
بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت
أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون * ومن الامثال من الحديث النبوى انما الاعمال
بالنيات وانما لكل امرئ مانوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام
المرء تركه مالا يعنيه اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا
خير من اليد السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغنى ظلم يدالله مع الجماعة
الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء
شعبة من الايمان تخيروا لنطفكم ابدا بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا
حرج المجالس بالامانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك
وما يعتذر منه الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان النعم
توبة لايكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع مايريبك الى مالا يريبك من كثر سواد قوم فهو
منهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر ان يكون كفرا نعم
صومعة الرجل بيته الاعمال بخواتيمها

* (الفصل الثانى فى أمثال العرب) * ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء
موكل بالمنطق ان أخاك الصدوق من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك أنف فى السماء
واست فى الماء ان الذليل الذى ليست له عضد اى الرجال المهذب انما هو كبرق خلب
اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم أمرهم اياك أعنى فاسمعى ياجارة ان لم يكن وفاق
ففراق انك لاتجنى من الشوك العنب اذا حان القضاء ضاق الفضاء ان المناكح خيرها
الابكار اذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد اياك ان
تضرب لسانك عنقك أكل وحمد خير من أكل وذم آفة المروءة خلف الوعد اذا قالت له
زن طأطأ رأسه وحزن اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى يأتيك
خصمه فلعله فقئت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه
الناس اخوان وشتى فى الشيم بلغ السيل الزبى أجمع كلبك يتبعك حافظ على الصديق
ولو فى الحريق اشتدى أزمة تنفرجى أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها
رمتنى بطرفها وانسلت رب رمية من غير رام الرباح مع السماح رب أكلة تمنع أكلات
استراح من لاعقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع أدى الى عطب ربما كان السكوت

جوابا رب ملوم لاذنب له رب عين انم من لسان رحم الله من هدانى الى عيوبى ركوب
المخانف ولا المشى على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود
سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه
طاعة النساء ندامة اطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من
باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب
الكبش الاجم

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم
المرء ويهان عند النازلة تعرف أخاك فى القمر ضياء والشمس أضوأ منه القول
ماقالت حذام لقد أسمعت لو ناديت حيا اقلل طعامك يحمد منامك كل فتاة بأبيها
معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء
أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام أنثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما
فيه كما تزرع تحصد كل امرئ فى بيته صبى كلب جوال خير من أسد رابض * لقد ذل
من بالت عليه الثعالب * ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل
قادم دهشة * لعل لها عذرا وأنت تلوم * لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك
لسان من رطب وبدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى
مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لاعطر بعد عروس لا يلدغ
المؤمن من جحر مرتين لا ضر السحاب نباح الكلاب لا تقتن من كلب سوء جروا مقتل
الرجل بين فكيه ماحك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة
الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه تلك والمنادى اظلم
ياحمد الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس وأسته عارية بدك منك وان كانت شلاء
(الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين) التسلط على الممالك دناءة اجلس حيث
يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر أجرأ الناس على الاسد أكثرهم له
رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوى لا ينجو من الحيات الحية تدور والى الرحى ترجع
المؤذى ردى كلما جلوته صدى الاسواق موائد الله فى أرضه السلامة احدى
الغنيمتين الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف
فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع
عند الحاجة رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا
تقريع الحر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر الثقيل اذا تخفف صار
طاعونا أضيع من حلى على زنجية العمل للازرنيخ والاسم للنورة أنشط من ابر دخل
نصفه البغل الهرم لا يفزعه الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا
تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة المجلة الندامة جواهر الاخلاق
تفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم

وذمه ذل من لاسفيه له ريق العدو سم قاتل رب ساع كقاعد زكاة المدن العال زاق الحمار وكان من سهوة المكارى زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لاتبقى ولاتذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لاتعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكساطاعة الولاة بقاء العز طفيلى ويقترح عناية القاضى خير من شاهدى عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء فى الغربة وطن فرق من الموت وفى الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار ولا يزور قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى والريح فى فمى كل قليل تعش كثيرا كلامه ريح فى قفص كالابرة تكسو الناس وهى عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذونى كنت سندانا فصرت مطرقة كل مافاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا جناحه لوكان المزاح فخلا لم ينتج الاشرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لوضاعت صفعة ماوجدت الافى قفاه لوكان فى البوم خير مافات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

(الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الالف)

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل
اذا جاء موسى وألقى العصا * فقد بطل السحر والساحر
اذا لم يكن فيكن ظل ولاخيا * فابعد كن الله من شجرات
اذا كنت فى فكرى وقلبى ومقلتى * فأى مكان من مكانك ألطف
اذا أراد كريم منع صاحبه * فليس يخفى عليه كيف ينفعه
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتدى
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
اذا لم يكن عندى نوال هجرتنى * وان كان لى مال فانت صديقى
الناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق
انما أنفسنا عارية * والموارى حكمها أن تسترد
ان العدو وان أبدى مسالمة * اذا رأى منك يوما غرة وثبا
أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر
اذا ملك لم يكن ذا هبة * فدعه فدولته ذاهبه
اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثبت الجنان
اذا كنت لاترضى بما قد ترى * فدونك الجبل به فاختنق

ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر
اذا ضاع شئ بين أم وبنتها * فاحداهما لاشك ذلك آخذه
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص
اذا ما أراد الله اهلاك نملة * سمت بجناحيها الى الجو تصعد
اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل
اذا لم تستطع امرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع
اذا صوت العصفور طار فؤاده * ولكن حديد الناب عند الثرائد
اهن عامرا تكرم عليه فانما * اخو عامر من مسه بهوان
اذا محاسني اللاتي أتيت بها * عدت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر
اخوان صدق ما رأوك بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فايسر ما يمر به الوحول
الم تران المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره
اذا انت لم تعلم طبيبك كل ما * يسوءك أبعدت الدواء عن السقم
اذا انت حملت الخؤن امانة * فانك قد اسندتها شر مسند
اكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل
اذا أنت عبت المرء ثم اتيته * فانت ومن تزرى عليه سواء
اسأت اذ أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس
الحادثات اذا ألم تخطو بها * فلها مساو مرة ومحاسن
الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سيله مطره
العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها
أبادارهم ما كنت أنت بدارهم * ولا أنا مذ سار الركاب بهم أنا
اقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

(حرف الباء الموحدة)

بنا فوق ما نشكو وصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا
بالملح نصلح ما نخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير
بني عمنا ان العداوة شأنها * ضغائن تبقى في نفوس الاقارب

(حرف التاء المثناة الفوقية)

تحن اليه افئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع
تلوم على القطيعة من اتاها * وأنت سننتها للناس قبلي
تلجى الضرورات في الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب
تفرقت الظباء على حراش * وما يدري حراش ما يصيد

تجتلى الاذن منه احسن مما * تجتلى العين من وجوه البدور

(حرف الجيم)

جن له الدهر فنال الغنى * آمن اغفله الدهر

جربت اهلى واهليه فما تركت * لى التجارب فى ودامرئ غرضا

(حرف الحاء المهملة)

حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ما حياك انسان

(حرف الخاء المعجمة)

خفض الجأش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا توالت تولت

خليلى ان الحب صعب مراسه * وان عزيز القوم فيه يهان

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب

خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فما نصحتك الا بعد تجريبى

(حرف الدال المهملة)

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود

دعنى أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

(حرف الذال المعجمة)

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة منعم

(حرف الراء)

* رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب

* ردوا على صحائفا سودتها * فيكم بلا حق ولا استحقاق

رضيت ولا أرضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر

* رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(حرف الزاى)

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

(حرف السين المهملة)

سرورى ان تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع

سوء حظى أنانى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب

سبكاه ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد

ستذكرنى اذا جربت غيرى * وتعلم انى نعم الصديق

(حرف الشين المعجمة)

شفيعى اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

شكرتك قبل الخبر ان كنت واثقا * بانى بعد الخبر لا شك شاكر

(حرف الصاد المهملة)

صحح لنا والده أولا * وأنت فى حل من الوالده

(حرف الضاد المعجمة)

ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

(حرف الطاء المهملة)

طويل عمر المعالى والندى أبدا * قصير عمر الاعادى والمواعيد
طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم فى نزهة من وجهك الحسن

(حرف الظاء المشالة)

ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ظلمت امرأ كلفته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

(حرف العين المهملة)

علم الله كيف أنت فاعطا * ك المحل الجليل من سلطانه
على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر
عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت أقواما بكيت على عمرو

(حرف الغين المعجمة)

غنى بلادين عن الخلق كلهم * وان الغنى الا عن الشئ لا به
غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر أم ولا أب

(حرف الفاء)

فلم أر كالايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
فصبر جميل ان فى اليأس راحة * اذا الغيث لم يمطر بلادك ماطره
فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل
فان كانت الاجسام منا تباعدت * فان المدى بين القلوب قريب
فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد
فان تفق الانام وانت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

(حرف القاف)

قد يجمع المال غيرآكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع
قد يدرك المتأنى نجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

(حرف الكاف)

كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا
كفى زاجرا للمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى
كنت من كربتى أفر اليهم * فهم كربتى فاين الفرار
كانوا بنى أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام
كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء
كاثلك من كل النفوس مركب * فانت اتى كل الانام حبيب
كالكلب ان جاع لم يمنعك بصبصة * وان ينل شبعا ينبح من الاشر

(حرف اللام)

لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
لعمرى ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن اخلاق الرجال تضيق
للموت فينا سهام وهى صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
لوان خفة عقله فى رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب
لو كان مابى فى صخر لانحله * فكيف يحمله خلق من الطين
لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم فى النائبات أقاربه

(حرف الميم)

من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم يعاب
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع
من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات أقاربه
ما كان فى المخدع من أمركم * فانه فى المسجد الجامع
* ماقام عمرو فى الولا * ية قائما حتى قعد

(حرف النون)

نسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالابد من شربه
ندمت ندامة الكسعى لما * رأت عيناه ماصنعت يداه

(حرف الهاء)

هنا كم الله بالدنيا ومتعكم * بما نحب لكم منها ونرضاه
هل بالحوادث والايام من عجب * ام هل الى رد ما قد فات من طلب
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال
هنيأ لمن لاذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
هم يحسدونى على موتى فواحزنى * حتى على الموت لا أخلو من الحسد

(حرف الواو)

ولم ار كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل
واذا خشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه
والرزق يخطئ باب عاقل قومه * ويبيت بوابا بباب الاحمق
ولا يغررك طول الحلم مني * فاابدا تصادفني حليما
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بانى كامل
وما للمرء خير في حياة * اذا ما عد من سقط المتاع
وما المرء الا كالهلال وضوئه * يوافي تمام الشهر ثم يغيب
وقد تسلب الايام حالات أهلها * وتعدو على اسد الرجال الثعالب
ومن يأمن الدهر الخؤون فانني * برأى الذى لا يأمن الدهر اقتدى
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال
ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه أى مطرح
ولربما منع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب
ولا بات يسقينا سوى الماء وحده * وهذا جزا من بات ضيف الضفادع
ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى * من العيش ما يصفو وما يتكدر
ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن ما لهن دوام
واحسن فان المرء لا بد ميت * وانك مجزى بما كنت ساعيا
ولا ترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا
وما لامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثنا فيخلد
ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
وكان رجائي أن اعود ممتعا * فصار رجائي ان أعود مسلما
وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا اتضعضع
ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع
وهون حزني عن خليلي أنني * اذا شئت لاقيت الذى مات صاحبه
ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

(حرف اللام ألف)

لا تنظرن الى الجهالة والحجى * وانظر الى الاقبال والادبار
لا تسأل المرء عن خلائقه * في وجهه شاهد من الخبر
لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
لا يبالى الشتم عرض * كله شتم وذم *

لاتنظرن الى امرئ ماأصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم
لايسكن المرء فى أرض يهان بها * الامن العجز أومن قلة الحيل
لاتقبلون الشكر مالم ينعموا * نعما يكون لها الثناء تبيعا
لاأسأل الناس عما فى ضمائرهم * مافى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

(حرف الياء المثناة التحتية)

يفر من المنية كل حى * ولاينجى من القدر الحذار
يريك الرضا والغل حشو جفونه * وقد تنطق العينان والفم ساكت
يهمهم للشعير اذا رآه * ويعبس ان رأى وجه اللجام
يفارقنى من لاأطيق فراقه * ويصحبنى فى الناس من لاأريده
يزيد تفضلا وأزيد شكرا * وذلك دأبه أبدا ودأبى
يواسى الغراب الذئب فى كل صيده * وماصارت الغربان فى سعف النخل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول
يغر الفتى مر الليالى سليمة * وهن به عما قليل غوائر
يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم
يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم

(الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الالف)

ان كنت ماتعمل جميل اعمل كما يعمل معك * اذا أبغضك جارك حول باب دارك * اذا كان صاحبك عسل لاتلحسه كله * المستعجل والبطى عند المعدية يلتقى * ألف ذقن ولاسلام عليكم * ألف ذقن ولاذقنى * اذا غاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله * اذا وصلت وسلم الله بع بما قسم الله * اذا كنت أعمى وأطروش شم رائحة النقوش * اذا كان التمذدردى والعشيق كردى والنقل فول حار والعشاء بيسار * ايش يكون الحال اذا كان القطن أحمر والمغسل أعور والدكة مخلعه والنعش مكسر اعلم أن الميت من اهل سقر والوادى الاحمر * ايش ينفع الضراط عند طلوع الروح قال تقريف للحاضرين وتفريق للملائكة * الفشر والنشر والعشاء خميره * أكل الدقه والنوم فى الازقه ولاد جاجه مجره بعقبها مشقه * ايش أنت فى النجاره يامنخل بلاطاره * الرجم بالطوب ولا الهروب اذا وقعت يافصيح لاتصيح * أقرع يقول لاقرع امشى بنا نزرع فى بركة القرعان ايش ماطلع يطلع النصف لى والربع لى والثمن لى والثمن الآخر لك ولى * العدو مايبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب * اقعد ياحمار حتى ينبت لك الشعير * أى موضع راح المحزين يلقى جنازه قال الشاعر

ان دام هذا السير يامسعود * لاجمل يبقى ولاقعود

غيره

اذا لم تكن لى والزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترللى

غيره

اذا أقبلت كادت تقاد بشعرة * وان أدبرت كادت تقد السلاسل

(حرف الباء الموحدة)

بينما يتروى البخيل قضى الكريم حاجته * بينما يسعد المعتر فرغ عمره * بينما أصل قبره نسيت همه * بينما يعدل المعتر حاله جا الموت شاله * بينما يخلص ربنا حق اتفرقعت جوزة حلق * بينما يقطع الجريد يفعل الله ما يريد * بينما يجي الدرياق من العراق يكون الملسوع مات * بين حانه وبانه حلقت لحانه * بدوى مقروح لقى التمر مطروح اين يخلى ويروح * بدال لحمتك وقلقاسك هات لك شد على راسك * بدال اللحمه والماذنجان هات لك قميص ياعريان * بدال لحمتك التلاته هات لك شد ياشماته * بقى للكلب سرج وغاشيه وعلمان وحاشيه * بقى للخرا مرا ويحلف بالطلاق * بعد الجوع والقله بقى لك حمار وبغله

(حرف التاء المثناة فوق)

تموت الحدادى وعينها فى الصيد * تعالوا بنا نقبح ونرجع غدا نصطلح * تدحرج الخرا لعند البعر قال له ايش أنت قال له بزم قرداش * ترك الفضول من حزم العقول * تراب العمل ولا زعفران البطالة * تسكر وتخانق ماهو شئ موافق * تجارة الاحمق على أهل بيته * تضارب الريح مع الموج جا الهم على النواتيه * تزاوروا ولا تجاوروا * تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

(حرف الثاء المثلثة)

ثوب العيرة مايدفى * ثقيل واسمه صخر بن جبل * ثور علقوه أعمى عليه قال حتى يطلع شئ يرشوه عليه * ثور عاجز مايدور ساقيه * ثقيل من أولاد الزنا مر العنا * ثوب عليه وثوب على الوتد قال أنا اليوم أحسن من كل من فى البلد

(حرف الجيم)

جور القط ولا عدل الفار * جل موضع جل يبرك * جهل المقل دموعه * جل بحمه قال وأين المحمه * جيت اصطاد صادونى * جار له حق وجار ماله حق وجار لا صحبته عافيه * جارك مرآك ان لم ينظر وجهك نظر قفاك * جا كتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله * جا كتاب من عند عمه قال كل من هو ملهى بهمه * جاؤا ينعلوا خيل الباشا مدت أم قويق رجلها * جوزوها له مالها الا له * جوزوا مشكاح لريمه ما على الاثنين قيمه

(حرف الحاء المهملة)

حاجة لا تهمك وصى عليها زوج أمك * حول حبيبى ما عونه وقدرته مع كانونه * حمار حنكره بالتوت على باب الغيط يموت * حلينا القلوع وأرسينا وأصبحنا على ما أمسينا * حب وارى واكره وارى * حدثتنى ونصحتنى عاتبتنى وفرحتنى * حط فليساتك فى كمك واشترى أبوك وأمك * حبة قرض تخرب أرض

(حرف الخاء المعجمة)

خدينى وارعى فيه انا حصاد ملوخيه وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالى نيه

*خبثت لى وصلحت لك *خذ ذا الصبى فوق صبيانك تمام لاخوانك *خزينة فى جره وملحه فى صره *خبزه بلا ادام ويعزم على الجيران

(حرف الدال المهملة)

دار الظالم خراب ولو بعد حين *درهم لك ودرهم عليك لا لك ولا عليك *دواء مالا تشتهى النفوس تحميل الفراق

(حرف الذال المعجمة)

ذا درب ما يسدريح *ذى ماهى زمانه الا قلوب ملانه *ذالى وذا ايدى عليه *ذى مايده ما يقعد عليها طفيلى *ذا الخبز ماهو من ذا البحرين *الولد خوامن ظرفه كل من شال رجليه حك أنفه *ذكروا مصر القاهرة قامت باب اللوق بحشايشها *ذكروا المدن جاءت القرى تحمل

(حرف الراء المهملة)

راح ذاك الزمان بناسه وجا هذا الزمان بفاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه *رأوا حجارا كب حط قالوا الى أين يا حجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لا يشرق ولا يغرب *رأوا سكران يقرأ قالوا اغن تشاكل روحك *رأوا شيخا يته حجى قالوا يختم على الصراط *رأوا وردانه على سنداس قالوا ما الذى الفسقيه الاذى البلطيه *رأوا على قبر مكتوب باسعادة ساكنه قالوا ابصر من يزاحمه *راكب بلاش ويناغش مراة الريس *ركبتك ورأى حطيت يدك فى الخرج *راح الجندى وخلى خلقه عندى *رزق الكلاب على المجانين *راسين فى عمامه ما يكون *راحت على جمل وجات على قطه قال ما الذى الشيله الاذى الحطه قال الشاعر

راح الذى كانا نعيـــش بفضله بين الورى
وبقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل العدم

(حرف الزاى المعجمة)

زقزوق على بركه يضحك وهو ضحكه *زاوية بلا عيش بنيت ليش *زوج القصيره بحسبها صغيره *زوجت بنتى اقعد فى دراها جاتنى واربعه وراها قال الشاعر

زوجت بنتى تنستر * ويمتلى بيتى قماش
جاغزلها فى أكلها * وبيكها طلع بلاش

زنبور زن على حجر مسن قال له ايش تريد قال أحسك قال انا احس البولاد *زنبور زن على فلس بحش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن يا دندن

(حرف السين المهملة)

سل المجرب ولا تنس الطبيب *سموك مسحر قال فرغ رمضان *سموك حبل قال وطولت سموك راجح قال ان شاء الله تجى الحق *سبع وزر ولا استر قال الشاعر

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

وقال آخر

سيغنى الله عن زيد وعمرو * ويأتى الله بالفرج القريب

(حرف الشين المعجمة)

شره ووضيع ونغض سريع * شئ مانابه وتقطعت ثيابه * شعر يحلق وشعر ما يحلق * شرب السموم القاتلة ولا الحاجة الى السفل * شمنى ولا تدعكنى * شئ ما يجى على القلب عنايته صعبه * شراء العبد ولا تربيته * شخت بغله عامت زبله ركبت خنفسه زمر زنبور قال ماذا الجوق الجليل الا لمقطعات النيل

(حرف الصاد المهملة)

صام سنه وفطر على بصله * صبرى على الحبيب ولا فقده * صاحب يضر عدو مبين * صباح الفوال ولا صباح العطار * صباحك يا أعور قال ذى خناقه بايته * صباح الخير يا جارى أنت فى دارك وأنا فى دارى

(حرف الضاد المعجمة)

ضرب الحبيب كأكل الزبيب * ضربتين فى الرأس تعمى * ضرب وبكى وسبق يشتكى * ضربة على كيس غيرى كأنها فى عدل حنا * ضمنوا حذايه لغراب قال الكل يطيروا * ضربوا بياع الكسيره نوى بياع التوم قال ذى داهيه جات على المخضريه

(حرف الطاء المهملة)

طارت الطيور بارزاقها * طفيلى ويجلس فى الصدر * طفيلى ويقترح * طويل الكم خطار قليل الفرح فى الدار * طبق وجاريه على صحن بساريه * طلوا جاكم عثمان يدمن وراويد من قدام * طعامك ما جانى ودخانك أعمانى * طار طيرك وأخذه غيرك * طول ما أعيش يكفينى رعى الحشيش * طول الغيبه وجانا بالخيبه

(حرف الظاء المعجمة)

ظهرك عندى نصف الليل

(حرف العين المهملة)

عنقود مدلى فى الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بدالله لا ابالله * عاشق ما يسمع بكا صغير * عاشق ما يسمع كلام مفارق * عاشق مقل شى ما زرع ايش جا يستغل * عزومه حسبت عليك كل وبحلق عينيك * عند المخاضة يبان القليط * عند الطعان يبان الفارس من الجبان * عريان التينه وفى خزامه سكينه * عريان وفى كمه ميزان

(حرف الغين المعجمة)

غابت السباع ولعبت الضباع * غربه وكربه ما يحمل الحال * غطاس وقلقاس نحسين فى قدره * غالى السوق ولا رخيص البيت

(حرف الفاء)

فرجه بلا كسر تعمى البصر * فقير ونفير وكلامه كثير ويقولها تواعشا من يخنى * فوق الشراطه ملخ أودانه * فارس خراويسوق فى الوحل * فارس خراواسمه عنتر * فارس خراويسابق الخيل * فرد ضربه فى الرأس تكفى * فصدوا قرد ضرط قالوا به دم زايد

فرغت الرعانه ياجانم

(حرف القاف)

قالوا للاعمى زوق عصاتك قال هو أنا محب فيها * قالوا للحمار اجتر قال مضغ المحال ماينطلى * قالوا للقرد شب قال ايادى ملاح وتمسك الماصول * قالوا للقرد اطلب من ربك قال هو أنا عنده بوجه بسيط * قالوا للجمل زمر قال لاشفف ملومه ولا أيادى مفرودة قالوا للديك طرزى قالت ذى خفة ايادى * قالوا للكلاب احرثوا قالوا اما جرت بهذا عاده * قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى * قالوا البقر الديوان اذا متم يكفنوكم فى حرير قالوا اشتهينا نروح بجلودنا * قالوا للغزاله ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا حملوا المناسف

(حرف الكاف)

كل من عودته بأكلك كلما نظرك جاع * كشكار دائم ولا علامة مقطوعه * كل كره واشرب كره ولا تعاشر كره * كل هم كاوى عند همى ياوى * كل شئ لا يشبه فانيه حرام * كل مائة عصفور ما يجوا حد ايه * كل ألف مصه ما يجوا بعصه * كل ألف بوسه ما يجوا بعبوسه كملت يا لجمان با لشعره والصنان * كمل حبيبى كل المعانى أعرج وقيلط ومجبانى * كمل حبيبى واكمل أعرج وقيلط وأحول وفيه عاده أخرى لمن يواصل يخرا * كأنه خان للفجر لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر * كأنه من طواحين الكشكار دايرعلى رجل الفار * كانه عصفور ينيك بلاش ويأوى فى الاعشاش

(حرف اللام)

* لولاك يا كبى ما أكلت يا فى * لولاك يا لسانى ما انسكبت يا قفاى * لولا الغيره والحسد كانت عجوزه كفت بلد * لولا اختك ما صرت ابن عمتك * لو قتلناها بليه ما جات هكذا * لو كان فيها خير مار ماها طير * لك وعليك ما يصعب عليك * لك اسوة بغيرك * لقمه بدقه ولا خوف برقه * لقمه تحت حيطه ولا خوف بعيطه * لو سلم الكرم من حارسه طابت مغارسه * لو تقطع يده وتدليها من فيه صنعه ما يخليها * لو عمل لى من الذهب وليمه هو عندى بتلك العين القديمه * لو شال رأسه الى السما كان عصيده بما لو نظر الجمل لعمته كان كدمه * لولا الكشط والبراية ما كانت أولاد الخرا كتاب

(حرف الميم)

محبه بلا حبه ما تساوى حبه * ماشلتك يا دمعتى الا لشدتى * من عاشر غير جنسه دق الهم صدره * من قدم النحس تعب فى تأخيره * من عاشر الحداد احترق بناره * من عاشر الزبدانى فاحت عليه رواييه * من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهزه من لا يحط يده لزنده ما يعرف حره من برده * ما رأيتك يا نور حتى ابيضت العيون * مالى على فراقكم جلد الاهجا حى من الديار * ما كفانا هم أبونا قام أبونا جاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه * من عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت أولى به * من يكلم القبيح يروح عرضه ويتفضح ما تنقدوهم كلهم زغليه ما فيهم من يجيب النقاد

(حرف

(حرف النون)

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير * نفسك أتلفت أى شئ اخلفت * نصف البلا ولا البلا كله * ناقص ونحاس * نا موسه باتت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقه * نيتك مطيتك * نسيت يافلاح ما كنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه * نيك حتى تبقى ديك

(حرف الهاء)

هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل * هان المسك وانتثر * هدية تمرقومها تخليتها ولا لومها * هدية الاحباب على ورق السداب قال هو أعمى عن ورق الموز * هو عرس تاكل وتنسل * اهدوا هدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها * هاتوا ذا الغزل المخبل لذا القلب المدبل

(حرف الواو)

واحد نتفه وآخر لقفه وقال آخر يا قريب الفرج * واحد يخطبوا له وهو قائم عليه قال انا فى حاجتك * واحد جائز رأى قرد يجرش ترمس قال ما لذى الفاكهة البدرية الاذى الصورة القمرية * واحد سموه عنبر وصنعته سرباتى قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعه * وحش ويكش ويقعد فى الوش ويغنى بلينا بكم * وقت أكل الدجاج ما يفتكروني وفى وقت شيل التراب هات يدك * وايش قام على تومه بفصل الحكومه * وقت الشوا واليخنى ما قلت يا أخى الحقنى * ووقت ضرب الدره قلت اصفعوا واصفعنى

(حرف اللام ألف)

لا تعيرنى ولا أعيرك الدهر حيرنى وحيرك * لا أصل شريف ولا وجه ظريف * لا أخوك ولا ابن عمك تشق ثوبك على ايش * لا عاش بليق لا حراس ولا دراس * لا عاش العار ولا بنى له دار * لا ربح ثوابه ولا خلاه لاصحابه * لا فى الفراق نجد راحه ولا فى الوصل * لا تشكر تفى حتى تجربه * لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى * لا يضر السحاب نبح الكلاب * لا يغرك تطريفى الاصل فى ريفى

(حرف الباء)

ياشب مليح ما أحسن وصفك لا فى يدك ولا فى طرفك * ياويل من ذاق الغنى بعد جوعه * يموت وفى قلبه من الهم واجس * ياطارق الباب بعد العشى لا تطرق الباب ما ثم شى * يامن ملنا ما كان حلنا السما النا فى العشرة سنه * يهنيكم قدومه قد جاكم بشومه * يالتنا انكسرنا ولا بك انتصرنا * ياويل من كان عشيه من بيت خيه * ياطالب الشر بلا أصل تعال للصائم بعد العصر

(أمثال النساء حرف الالف)

أحبك ياسوارى مثل معصمى * الذى فى قلب ام حنين تحلم به فى الليل * ان كنتى حره لا تضيعى نقابك بره * ان لم تعملى وتفتخرى والا اقعدى وانعفرى * ان كانت الدايه أحن من الوالده قال ذى داهيه عياره * الكلام لك ياجاره الا انتى حماره * ايش تعمل الماشطه فى الوجه المشوم * ايش قام على الحزينه بالنقش والزينه * ايش ينفع النفخ فى

الوجه الاصم * أرمله عدس وعتزوجه عدس اقعدى بعدسكى * اسم الزوج ولا طعم الترمل * العاقله فينا تزنى بيقطينا * اذا كان زوجى راضى ايش فضول القاضى * استعارت الرعنه شئ حسبته لها اخذت المقص ودارته لها * اقعدى فى عشك حتى يجى حدينشك

(حرف الباء الموحدة)

بعدان كنتى لى وحدى بقيت أسمع أخبارك * بعدسنه وشهرين جابت بنت بشفرين * بعدان كان زوجها بقى طباخ فى عرسها * بعدمشيك فى الحلفه بقى لك سلام وغرفه واسمك ستيته * بعد أمى وأختى الكل جيرانى * بينما تتنقب الحوله انصرف القاضى * بنت الخراتزف لابن الخرابدف * باتت ناموسه على جبزه قالت صبحك الله بالخير قال من درى بك قبله * بدال ماتمشى وتهزى كتفك رقى قردة خفك * بخرا وتراحم بالبوس * بقى لام سيدى برقع وللضفدعة زماره * بعدمشيك فى الحلا فى لبستى الصافى * بعيد على الحزينه تستعمل الزينه

(حرف التاء)

تابت القحبه يوم وليلة قالت مابقى فى البلد حكام * تضاربت المجنونة والحمقا حسبتها الرعنه من حقا تضارب وتتعرى وتصيح ياقلة رجالى * تأخذوا أبونا وتكابرونا * ترتانه وبدمانه ومفاتيح الخزانه * تباهت الرعنه بشعر بنت اختها * تخلونى والا استحل بجارنا قالت اذا كان ذا فى قلبك خذيه بلا استحلال * تتغنى بالخرج ولا تخلى الغنج * تقعد عيوشه فى ديارتها مالاحد حاجة فى زيارتها

(حرف الثاء)

ثوب سيدى ثوب حبيبى ثوب ستى ثوب قحبه

(حرف الجيم)

جاره بجاره والعداوه خساره * جانى عذولى ورتالى ماهى محبة الاشماته لى * جاريه وزبديه على باذنجانه مقليه * جاتنا العدوه مكحله قطران لاغيره وقابها فرحان * جاب ثيابه يغسلهم بلاصابونه معهم

(حرف الحاء المهملة)

حوله وتتنقب بنخ * خزانى ماعندهم دقيق اشتروالهم منخل رقيق * خزانى ماعندهم خبز اشتروالهم بعشره ملوخيه * خزينه وواعيه * حمله ومرضعه وعلى كتفها أربعه وطلعت الجبل تجيب دوا للحبل * حوله ونصرانيه لاملتحه ولا أصل طيب * خزينه مالها مالك سمت زنبورها خوشكالدم * خزينه مالها مالك اكترت لها بواب * خزينه مالها كامليه طلبت لها خف وشعريه

(حرف الخاء المعجمة)

خطبوها تعززت وكان زمان البوار * خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب * خذى قطيفه واكتمى سرى قالت مايطاوعنى قلبى * خلت مايعنيها واتبعت حك رجليها

(حرف الدال المهملة)

درى زوجك بكتبتك تمى نهارك مع ليلتك * دق من أسفل ولا تطلع ما انت على القلب

(حرف الذال المعجمة)

ذكرت العجوز اطلالها

(حرف الراء)

رقصتى ما احسنتى كان قعادك أجمل *رعنا يضحكوا بها وهى تضحك تساعدهم * رأوا جاموسه منقبه بحصير قالوا ما لذا الشكل الوضيع الاذا القماش الرفيع *راحت تبيع ربعه غابت جمعه * راحت رجال الهيبة وبقيت رجال الخيبة * راحت رجال اللحم والقلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسفاس * رأوا خنفسه على مكنسه قالوا ما الذى الصيفه الاذا الحمار الازعر

(حرف الزاى)

زمربالزميرة تبان لك العاقلة من المجنينة *زوجى ما حكم على قام لى عشيقى بشمعه *زوجوا بنت نشادرى أسرباتى قالوا قليلات الخراتندوج لبعضها

(حرف السين المهملة)

سودا وتتنقش بسباخ *سودا منقبة قفل على خزانة *سألوها عن أبيها قالت جدى شعيب

(حرف الشين المعجمة)

شدى قرطاسك من عند موسه قالوا داشى ما فرحتى به وانتى عروسه *شامته ومعزيه

(حرف الصاد المهملة)

صارت القحبة واعظه *صارت القويه شاعره

(حرف الضاد المعجمة)

ضحك ابن سنه غمى على أمه قالت ما أخف دمه

(حرف الطاء المهملة)

طلعت ترحم نزلت تتوحم

(حرف الظاء المعجمة)

ظريفة وعفيفه ولها نفس شريفه

(حرف العين المهملة)

عما تحفف مجنونه وتقول حواجبك سود مقرونه * عاقله وجابت طفله وجاتها خطار واشتروا لها قلقاس دكر وحطب اخضر فى نهار مطر وقالوا لها اطبخى على قدر لحمه تقع الصلحه *عجوزه وجابت غلام اذا جنت لا تلام * عجوزه وخرفانه دى داهية كمانه

(حرف الغين المعجمة)

غيرك يقوم مقامك عليش قلبى أعذبه

(حرف الفاء)

فرحت خزينه خربت مدينه

(حرف القاف)

قالوا للغانى اتزوقوا قلبواعصابهم * قحبه ما كنست بيتها كنست المسجد قالوادى قحبه تطلب الثواب

(حرف الكاف)

كل من تبعت هواها صارت سراويلها رداها * كبرنى يابرقوقه وبقى لك دبوقه * كانوا مغانى صاروا ملاهى لاراحت ولاجات كماهى * كلى قليه وباقى هنيه * كأنها من الباسطيه قماش على جريدة * كأنها خرمة فجل اصفر وعرقها أخضر * كانها من عمايم اليهود صفر اطويله رفيعه * كانها من بيت الوالى مايتحدث فيها سوى الحاشيه * كانها ضبة جعيدى مخلوعه ولا تأخذشى

(حرف اللام)

لوكان ماينقش الا السمان بارت المواشط من زمان * للساعة ماحبلت جابت المرسلين * لولا المعاير ما كانت المحاير

(حرف الميم)

ماشطه وتمشط بنتها * من افتكرنا بياسمينا ما انسينا

(حرف النون)

نوايه تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير

(حرف الهاء)

هش يادبانه أنا حبلى من مولانا

(حرف الواو)

وجه لايرى بالذهب يشترى

(حرف اللام ألف)

لاانتى مليحه ولا تغنى بايش تدلى

(حرف الياء)

يعيش المدلل بلامكال * ياغزالة الاقماراين كنتى بالنهار * ياماتحت النقاب والشعريه من كل بليه * يامن ملنا ما كان حلنا * للساعه مالنا فى العشره سنه

الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول

(الفصل الاول فى البيان والبلاغة) اما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هى أن يقال بلغت المكان اذا اشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم أيمان علينا بالغة اى وثيقة كأنها قد بلغت النهاية وقال اليونانى البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندى البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندى يجب للبليغ أن يكون قليل

اللفظ كثير المعانى * وقيل ان معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى واحسنهم بديهة ولم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدى والكتاب على عقل الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدى البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة * وقال البحترى خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * وكنا بقصور عنك نعترف
مهدى العذر فى نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدى له الصدف

(وروى) ان ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطاب حماما فقالت ثكلتك امك انما أمرك ان تقطع لسانى بالصلة فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة فى اللفظ ومعانى الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبى البليغ من يحول الكلام على حسب الامالى ويخيط الالفاظ على قدر المعانى والكلام البليغ ما كان لفظه فخما ومعناه بكرا * وقال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه فى حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

*(الفصل الثانى فى الفصاحة) * قال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه اعلم ان الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة واكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم ان البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم فى صدرى وان قصر سقط من عينى * وقد اختلف الناس فى الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعانى ومنهم من قال انها لا تختص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بأن قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعانى وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف فى كلام الناس والذى أراه فى ذلك ان الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف فى الاستعمال بشرط ان يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحسن فى الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعدة المخارج جاءت الحروف متمكنة فى مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما * كما وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده في الغالب عشر مرات متوالية الا وينغاط المنشد فيه لان القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر وملك زمام الامور وأطاعه ملكها على الخفي من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك يا عم في جمالك اي فصاحتك * وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها أحمد الله كثيرا * فقالت * حيث أنشاك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت في اساءتها فاشترها * وقال فيلسوف كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه * وقال المبرد قلت للمجنون اجز في هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وابراقه فاليوم لا شك ماطر

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا * وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا أقللت من الكلام اكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا اكثرت واكثرت بعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك * وقال الشعبي كنت احدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول أجزها اصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها * وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بتيقظ ولا يقظة الا بمنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورحمك الله * ومنه ما حكي ان المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو واحسن موقعها وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

سحمان يقصر عن بحور بيانه * عجزا ويغرق منه فحت عباب

وكذاك قس ناطق بعكاظه * بعد الدهور بحجة وجواب

وقيل انه جمع ابن المنكدر شابان فكانا اذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان

أن ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة وكان أصحاب أبي على الثقفي اذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة * وكتب ابراهيم بن المهدى اياك والتتبع لوحشى الكلام طمعا فى نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الاحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام على حتى مضى رضى الله تعالى عنهم ولا والله مارأيت فيهم أبلغ من عائشة وقال معاوية رضى الله عنه مارأيت أبلغ من عائشة رضى الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه الا فتحته ولا فتحت بابا فأرادت اغلاقه الا أغلقته ومن غريب الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ماحكى أن رجلا كان أسيرا فى بنى بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم فى رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا الثلاثة تنذرهم وتحذرهم فجاؤا بعبد أسود فقال له أتعقل ما أقوله لك قال نعم انى لعاقل فأشار بيده الى الليل فقال بماهذا قال الليل قال ما أراك الا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدرى وانه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومى التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بنى بكر بن وائل فان قومه لى مكرمون وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وامرهم أن يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جلى الاصهب بأمارة ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبرى أخى الحرث فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وأما قوله شكت النساء اى أخذت الشكاء للسفر وأما قوله أعروا ناقتى الحمراء اى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الاصهب اى الجبل واما قوله أكلت معكم حيسا اى ان اخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا واسرت طيئ غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال أبوه والذى جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيئ ما عندى غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكانه قال له الزم الفرقدين يعنى فى هروبك على جبل طيئ ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجا وكانت علية بنت المهدى تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره فى شعر هافاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى تنهى عنه أمير المؤمنين ومن ذلك قولهم تركت فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت اى يأمر بالوصية وينهى عن النوح ويقال مارأيت فلانا اى ماضربته فى رئته ولا كلمته اى ماجرحته فان الكلوم الجراح ومارأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر ومارأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذى تجرد من ثيابه ومارأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا فالراكع العاشر الذى كالوجهه والساجد المذمن النظر

والمصلى الذى يجىء بعد السابق وما اخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبيرة من الغزل والفروجة الدراعة وما أخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره أى عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر كلامه ان لعن عليا رضى الله عنه ولعن لاعنه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل لو يعلم ان رضاك فى لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله عنه فلقد لقى ربه وأفرد فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا او كرها فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان تعفنى فهو خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى شفتاى به ابدا فقال قم فاصعد قال اما والله لانصفنك فى القول والفعل قال وما انت قائل ان انصفتنى قال أصعد المنبر فأحمد الله واثنى عليه واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقول أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى ان العن عليا الا وان معاوية وعليا اقتتلا فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم أقول اللهم العن انت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا امنوا رحمكم الله يا معاوية لا ازيد على هذا ولا انقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحى فقال معاوية اذا نعفيك يا أبا بحر وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب ان عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضينى منك الا ان تلعنه على المنبر قال افعل فصعد المنبر ثم قال بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان معاوية بن أبى سفيان قد أمرنى ان العن على بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام الى نية المتكلم ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين اقر الله عينك وفرحك بما آتاك واتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين ايتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره واما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ما قالت هذه المرأة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها اقر الله عينك اى أسكنها عن الحركة واذا سكنت العين عن الحركة عميت واما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واما قولها واتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) ان بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له اطال الله بقاءك واقر عينك وجعل يومى قبل يومك والله انه ليسرنى ما يسرك فاحسن اليه وأجازه

على دعائه وأمر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به فى أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فمعناه سكن الله حركتها أى أعماها وأما قوله وجعل يومى قبل يومك اى جعل الله يومى الذى ادخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرنى ما يسرك فان العافية تسره كما تسر الآخر فانظر الى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ماتهيأ لمتستر مراد ولا سلم له فى التخلص قياد وكان حماد الراوية لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة فى المصحف فصحف فى نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاى وترك الهمزة عذابى أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لا نبتغى باسقاط التاء بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لا يقع الا من الاذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فاكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وانتظم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لامير المؤمنين يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم أى اذا عزم على ظلم أو جور عمله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته اى أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى ان الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى وجهه أمير المؤمنين اى ليشكوا حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فذهب الى بلاد التتر وتوصل الى أن صار وزيرا عندهم وصار يعرف التركى يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه كتابا تعرفه فيه انى أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى ان يحضر فاذا حضر قتلته واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه

بالمحدلة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة في الكتب فشددان ثم اوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه في غاية الكمال وما فهم ان وكان قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه بانه سيحضر عاجلا فلما أراد أن ينهي الكتاب ويكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل في آخرها ألفا وأراد بذلك انا لن ندخلها أبدا مادامو افيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل فهم الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواره فقال لها من هذه فقالت يا مولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له يا فيروز قال لبيك يا مولاى قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتني بالجواب فأخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انني أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتني فقالت بل عرفتك يا مولاى ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل في قولهم

سأترك ماء كم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم قيص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير محبوب
والله لا قال قائل أبدا * قدا كل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها ونسى نعله في الدار هذا ما كان من الملك وأما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في رأسه فتذكر انه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم ان الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما واخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فخرج فيروز الى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها تومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يا فيروز اما

أن تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لهما على تحقا فطلبوه الى الحكم فأتى معهم وكان القاضى اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال اخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه واخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ما تقول ياغلام فقال فيروز أيها القاضى قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ماكان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن اريد منه السبب لرده قال القاضى ما قولك قال والله يا مولاى ما رددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد فخفت ان يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضى ولا غيره بشئ من ذلك والله أعلم وهذا كله مما يأتى به الانسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز ومنه ما يجده المتسترفى أمره من الراحة فى كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لان فى المعاريض مندوحة عن الكذب كما روى فى غزوة بدر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان سائرا باصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يردد ها لينظر أى العرب يقال لهم ماء فسار النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال للكافر الذى سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهدينى السبيل وقد صدق فيما قال رضى الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الاسلام وكما حكى عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول فى القرآن فقال الشافعى آيات تعنى قال نعم قال مخلوق فرضى خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعى الا نفسه وكما حكى عن ابن الجوزى رحمه الله تعالى انه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من ممالك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنة وقوم شيعة فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم على رضى الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته فأرضى الفريقين ولم يرد الا أبا بكر رضى الله عنه لان الضمير فى ابنته يعود الى أبى بكر رضى الله عنه وهى عائشة رضى الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا أن الضمير فى ابنته يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فاطمة رضى الله عنها وكانت تحت على رضى الله عنه فهذه منه جيدة حسنة وكلمة باتت جفون الفريقين منها وسنة والله أعلم

(الفصل الثالث فى ذكر الفصحاء من الرجال) دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال ياصبى تتكلم فى هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال احطت بما لم تحط به ثم قال الم تر ان الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود أولى ولما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبى يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان فى مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين انا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذى من علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أمنا بك فى منازلنا وأما عدم الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضى الله عنه عظنى يا غلام فقال يا أمير المؤمنين ان اناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر فى سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضى الله تعالى عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

(وحكى) ان البادية قحطت فى ايام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء أحد ان يدخل على الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما فى طيه الا بنشره فان أذن لى أمير المؤمنين ان أنشره نشرته فأعجبه كلامه وقال أنشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه اصابتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة دقت العظم وفى أيديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا فى واحدة من الثلاث عذرا فأمر للبوادى بمائة الف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال مالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم وقيل ان سعد بن ضمرة الاسدى لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره فبعث اليه يقول ان لك عندى ألف ناقة على انك تدخل فى طاعتى فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم اجسامهم وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * انى لمن معشر شم الذرى زهر

فلا تغرنك الاجسام ان لنا * احلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا ابصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
فان ألم به أمر فأفظعه * رأيته خاذلا للاهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لانقض منها المفتول وابرم منها المحلول واجيلها حتى تجول ثم أنظر فيها الى ما تؤل وليس للدهر بصاحب من لا ينظر فى العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له ياسعدان اقم واسدنا ك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الى من الدنيا وما فيها فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه (وحكى) أن هرقل ملك الروم كتب الى معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولا شئ وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وارحام النساء وعن رجل لا أب له وعن رجل لا أم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ما هو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاء عن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شئ تنفس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغدو بعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى أخطأت فى شئ من ذلك سقطت من عينه فاكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فأجابه أما الشئ فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى وأما لا شئ فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأما صلاة كل شئ فسبحان الله وبحمده وأما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لا أب له فالمسيح وأما الرجل الذى لا أم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به فى البحر وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى اسرائيل وأما الظاء عن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه وبين الارض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى منادان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى انبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأما الشئ الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم فعمل وأمس مثل وغد فأجل وبعد غد فأمل واما البرق فخاريق بايدى الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره وأما المحو الذى فى القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار

مبصرة ولولا ذلك المحول يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ودعا بعض البلغاء
لصديق له فقال تمم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم
تحتسبه (وحكى) أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من
جملتها أن قال له من اكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين
واكرمهم للهانين وأطعمهم للساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المفترى على
الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال اطولهم جفوة وادومهم صبوة واكثرهم
خلوة واشدهم قسوة قال فمن اشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف
واتركهم للحتف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف
المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل
الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبب على الطعام قال
فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غمرانا وأوسعهم ميدانا
قال الله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب الحسيب هوام غير حسيب قال اصلح الله
الامير ان الرجل الحسيب يدل على أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله
وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل
الجاهل يجهله فشله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها
العقلاء عرفوها واكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله أبوك فما
العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر
غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه
المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال الله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على
شأنه التارك لما لا يعنيه قال فما العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك
من النساء خبر قال اصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من
امهات الاولاد بمنزلة الاصلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة
فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته
وتنغصت لذاته فاكرمهن اعفهن واخسرهن احسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من
الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فما ذا أنت قائل له قال
اصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى اظنك لا تقول له ما قلت وكأنى
بصوت جلاجلك تحلحل فى قصرى هذا قال كلا اصلح الله الامير سأحدد له لسانى واجريه فى
ميدانى قال فعند ذلك امره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان
بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على
ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتعده قبل ان يتعشى بك
فأخذ حذره عند ذلك ثم امر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا
فاتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط
عن رواحله فبينما هو كذلك اذا بأعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه

وقد اشتد الحر وحمت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها
ما حاجتك يا أعرابي قال اصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك ارجو بركتها
قال الغضبان فهلا تيممت قمة اكبر من هذه واعظم قال ايتهن تعني قال قمة الامير ابن
الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه امنع منها فقال الاعرابي ما اسمك ياعبد الله قال
آخذ فقال وما تعطي قال اكره ان يكون لي اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض
قال فأين تريد قال امشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة
الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الفأر فقال افتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال
ياهذا ائذن لي ان ادخل قبتك قال خلفك اوسع لك فقال قد أحرقني حر الشمس قال مالي
عليها من سلطان فقال الرمضاء احرقت قدمي قال بل علها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا
شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من
قبل أن تطاع اضراسك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك
فاستغاث الاعرابي ياجار بني كعب قال الغضبان بئس الشيخ أنت فوالله ما ظلمك احد
فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فجعلتني وطردتني
هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال مالي بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابي بالله
ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان ابن القبعثري فقال اسمان منكران خلقا من غضب
قال قف متوكئا على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من
رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل
قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لاظنك جورا ياقال اللهم اجعلني ممن
يتحرى الخير ويريده فقال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما اقدرني على اصلاحه فقال
الاعرابي لا ارضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم * اني أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبتة أرجوضافتة * فاظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين
الاعرابي قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال اصلح الله الامير أرض
يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا اضاعوا فقال له الحجاج الست
صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلت لابن الاشعث تغدبالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله
لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان أيها الامير
فوالله ما ضرت من قلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأني بصوت جلاجل
تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان
الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا
ايها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبروني
بنصح قالوا لا نصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي
هذه وبناءها قال اصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها

وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردّوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث الزبير) قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون وقد كانت ضاعهم أخذت فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن له فى الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونستمتع الله تحياطة دينا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأل الله أن يمد فى عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى باسماعنا وأبصارنا فان الحق لا تعفو آثاره ولا ينهدم منارة ولا ينبث جبله ولا يزول مادمت بين الله وبين عباده والامين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفى نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر أمير المؤمنين فى الضياع التى افادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل اسلافه الطاهرين الراشدين وقدمت مقامى هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدى ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفا اليك بالطاعة التى أفرع عليها غصنى واحتنكت بها سنى وريش بها جناحى متعوذا من شماتة الاعداء وحلول البلاء ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن على جدى وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد اثبت الله الحق فى نصابه وأقره فى داره وأربابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهمنا نعم آبائك اللاتى غذتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا فى الاصلاب ونطقا فى الارحام وقد منا فى القرابة حيث قدمنا الله منك فى الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلابك الدبور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤل عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا أمير المؤمنين انه لا عفو أعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافى ومنعه الكافى ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين أتاك ركب * لهم قربى وليس لهم تلاد

هم الصدر المقدم من قريش * وأنت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت * وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تذلكم لحظات عين * وكيف يقل سوددك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وأمر له بالحمل الفاخرة والجوائز السنية وأمر برد ضياعه وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما اغناه ومن حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء ما حكى ان عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله على ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين انف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غيب فم قفا كف لسان منخر نغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين انا أقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الامير أنا اقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول انف اسنان اذن بطن بنصر برز ترقوة ثمرة تينة ثغر ثنايا ثدي جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ دراديز ذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غيب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيئة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدي أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيدنا عليهم شيأ اعطوه ما يتمناه ثم اجازه وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه وكان الحجاج بن يوسف الثقفي من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك اتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك في كل يوم وكان يقول أرى الناس يتخلفون عن طعامي فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولي اليهم كل يوم الشمس اذا طلعت وعند المساء اذا غربت (حكى) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولي النجدة من جنده وقال أيها الناس ان العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها واملوح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخمادنيرانها فهل من معهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكي وأنف حمي فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا امير المؤمنين انا للعراق قال ومن أنت لله ابوك قال انا الليث الضمضام والهزبر الهشام انا الحجاج ابن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعملي السيوف قال اجلس

لا ام لك فلست هناك ثم قال مالى أرى الرؤس مطرقة والالسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال انا مجندل الفساق ومطفئ نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال الملك عنى وذاك فلست هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلنى قطعته ومن نازعنى قصمته ومن خالفنى نزعته ومن دنا منى أكرمته ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع الى الطاعة بجلته فهذه آيتى وعلامتى وما علمك يا أمير المؤمنين أن تبلونى فان كنت للاعناق قطاعا وللاموال جماعا وللارواح نزاعا ولك فى الاشياء نقاعا والا فليستبدل بى أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذى تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هى له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة اذ اتانا آت فقال هذا الحجاج قدم أميرا على العراق فتطاولت الاعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به عشى وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد باهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته وموالية واتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان فى المسجد يومئذ عمير بن صابى التميمى فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له اسمه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن صابى وقال لعن الله بنى أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرا كما هو وما كان بشئ والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيأ فقال انى لا أعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الامير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان أول شئ نطق به ان قال والله انى لأرى رؤسا أينعت وقد حان قطافها وانى لصاحبها وانى لارى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانة بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بى لانكم طالما اثرتم الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لانكان بكم فى البلاد ولا جعلنكم مثلا فى كل واد ولاضربنكم ضرب عرائب الابل وانى يا أهل العراق لأعد الاوفيت ولا أعزم الا أمضيت فاياى وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا

واسمعوا فليس منى الاهذار والاكثار انما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لامير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم انى وجدت الصدق مع البر ووجدت البر فى الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور فى النار وقد وجهنى أمير المؤمنين اليكم وامرنى ان أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله لأجدن جدا لا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه ياغلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيأ فقال الحجاج اكفف ياغلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيأ عليه هذا أدبكم الذى تأدبتم به أما والله لاؤدبنكم أدبا غير هذا الادب اقرأ ياغلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى اتاه شيخ يرعش فقال أيها الامير انى على الضعف كما ترى ولى ابن هو أقوى منى على الاسفار أفتقبله بدلا منى فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن صابئ الذى يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطئ فى بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين ياسياف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر * ومن حكايات الحجاج ما حكى أنه لما أسرف فى قتل اسرى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى عنك اسراف فى الدماء وتبذير فى العطاء وقد حكمت عليك فى الدماء فى الخطا بالدية وفى العمد بالقود وفى الاموال أن تردها الى مواضعها ثم تعمل فيها برأيى فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لى فما أغنانى عنهم وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك عنى أمر ان لين وشدة فلا يؤمننك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضائى بالذى أنا طالبه
فان ترمنى غفلة قرشية * فمارب ما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنن والحوادث جمة * فانك تجزى بالذى أنت كاسبه
فلا تعدما يأتيك منى وان تعد * يقمن به يوما عليك نوادبه
فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعطى الحقوق فانما * النوافل شئ لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر

اسرافى فى الدماء وتبذيرى فى الاموال ولعمرى ما بالغت فى عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلى العصاة اسرافا واعطائى المطيعين تبذيرا فليمض لى أمير المؤمنين ما سلف ووالله ما أصبت القوم خطأ فأفديهم ولا ظلمتهم عمدا فأقيدهم ولا قتلت الا لك ولا أعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنا لا أرضى رضاك وأتقى * اذاك فليلى لا توارى كواكبه
وما المرء بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذى هو راكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصياح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق نصحه * وأقص الذى تسرى الى عقاربه
وأعطى المواسى فى البلاء عطية * لرد الذى ضاقت على مذاهبه
فمن يتقى بؤسى ويرجو مودتى * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمرى اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم منى اردته * وما لم ترده اليوم انى مجانبه
وقف بى على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والامور فانى * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتى ولم يعاود لا مركرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومنى على محبته ياغلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا يا هناك (وفى مروج الذهب للمسعودى) أن أم الحجاج وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب له دبرا قبل أن يقبل الثدى وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فاخبره مخبر من أهله فقال لهم اذبحوا له تيسا وألعقوه من دمه وألغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدى فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كلدة فدخل عليها يوما فى السحر فوجدها تخلل اسنانها فطلقها فسألته لم فعلت فقال لها ان كنت باكرت الغداء فأنت شرهة وان كان بقايا طعام بفيك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضى الامر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفى فاولدها الحجاج وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف فى القتل على ما لا يبلغه وصف أحصى من قتله الحجاج بأمره سوى من قتله فى حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد فى سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن لمحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبى أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدناعليهم والله أعلم وقد مضى القول

فى ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

(ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن)

*(حكى) عن أبى عبد الله النمرى انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة لنهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبنى فوها لا طاقة لى بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أى العرب أنت قالت أنا من بنى كلاب قال وما الذى حملك أن تكونى من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أى الناس أنت فقال أو عندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أى مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أبا وأما ومن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أى كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها فى المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت أذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أى قريش قال من أجلها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بنى هاشم قال أنا من بنى هاشم قالت من أى هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لا تزوجن بهذه الجارية لانها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهى والدة ولده العباس والله أعلم

(وحكى) أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ اليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهى تنظر فى المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سلسلة أفراس تحللها نغل
فان ولدت فحلا فلله درها * وان ولدت بغلا فخاب بها البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد

الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن ماهرانا والله كنا فحمدنا وبنا فحاندمنا وهذه المائتا ألف درهم التى جئت بها بشارة لك بخلاصى من كلب بنى ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلى الاناء بحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملى من المعرة الى بلدك التى أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الامر ولم يخالف وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند فى محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دابتها ثم انها قالت للهيفاء يا دابة اكشفى لى سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها فى وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشد يقول

فان تضحكى منى فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

ومانبالى اذ أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض ونادت يا جمال انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت فى بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فقام لها وقال لمولاها خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بانفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع منى ما اقول فقال قولى فأنشدت تقول

ماسلم الظبى على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف

الظبى فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها * وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة فى الجمال فائقة فى الكمال غير انها كانت تعرج برجلها فقال لمولاها خذ بيدها وارجع فلولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه فى وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فأعجبه

سرعة جوابها وأمر بشرائها * ومن ذلك ما حكى ان كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فعبر يوما تحت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله وأرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عزبا وكتب اليها رقعة يعرض اليها بالزيارة فى جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير فى أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا فى ذلك قالت له يا أبت انا علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

اهدت لك العنبر فى جوفه * زر من التبر خفى اللمام
فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا مختفيا فى الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها (وحكى) ان طائفة من بنى تميم كانوا يكسرون أول الفعل فمرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فنادا ها شخص منهم وأراد ان يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لاى شئ يا بنى تميم ما تكتنون فقالت ولم لا نكتنى وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيأ من العروض قال نعم قالت قطع لى

حولوا عنا كنيستكم * يا بنى جمالة الحطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحى حتى أخذت بثارك (وحكى) ان شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق اذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له ياهذا انا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتنى امض الى دارى ووقف بالباب وقل * ألا أيها البنتان ان أبا كما * فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال ألا أيها البنتان ان أبا كما وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل ألا أيها البنتان ان أبا كما أجابتاه بفم واحد * فتبا لهذا الثار ممن أتا كما * ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى المحاكم فاستقر ره فاقر بقتله فقتله والله أعلم * وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشى فقال لها تنحى عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال انا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلى ومثل أمك لطاب ريحها لما قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا * وقيل أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه ما تقولون فيها

قالوا عاجلها بالقتل أيها الامير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج قال ومن هو صاحبي قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا أرجئه وأخاه وأبعث في المدائن من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه فقيل لها الامير يكلمك وأنت لا تنظرين اليه فقالت اني لاستحي أن أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى) ابن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه ان أصدقة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وان فاطمة رضي الله عنها كان صداقها على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم فأدى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة في يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضي الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب علي بزوجها فأحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال اني أمرطعام أم شراب قال بل في أمر مباعدتك اياها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول

يا أيها القاضي الحكيم انشده * ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقده * فاست في امر النساء احمده

فانشأ الزوج يقول

زهدني في فرشها وفي الحلل * أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضي

ان لها عليك حقا لم يزل * في اربع تصيبها من عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله تعالى احل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا ادري من ايكما اعجب امن كلامها ام من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة * (حكاية المتكلمة بالقرآن) قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضال الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الى المسجد الاقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم فى هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمنى ويسقين فقلت فبأى شئ تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معى طعاما فهل لك فى الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أى الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى هذه فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت ناقتى قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت ان تركب نفرت الناقة فخرقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى حتى اعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبى فلما ركبت قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت اسعى واصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت امشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت ان لها أولادا فقلت وما شأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت انهم ادلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا انا بشبان كانهم الاقمار وقد اقبلوا فلما استقر بهم المجلوس قالت فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى احدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيأ بما اسلفتم فى الايام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها فقالوا هذه امنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة ان تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك)

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما اعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * اخاف اذا مامت ان لا أذوقها

قال بل انا الذي يقول أبي

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته * وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطى الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح اروي من العلق
واطعن الطعنة النجلاء عن عرض * واكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس اني من سراتهم * اذا سمابصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة * (وقيل) أخذ عبد الملك بن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثي فقال له الست القائل

ومنا شريد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مناداة ذلك فكان ذلك سبب نجاته ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك وما لله من شريك وان أباك لاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن امية وما امية الا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

ايشتمني معاوية بن حرب * وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث * ضراغمة تهش الى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه * وربات الحجال من الغواني

ودخل يزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا أجرك رسنه وأولاك أمانته فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والامر لك وهو عني مدبر فلو رأيتني وهو علي مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت واستعظمت مني ما استحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فخيشما كانا كان وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال علي كرم الله وجهه ولم أنتم لم تجف اقدامكم من البلل حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ووجد الحجاج على منبره

مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم قال له أنتم معشر بنى هاشم تصابون فى ابصاركم فقال له عقيل وانتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فأقبل عليهم وقال يا بنى هاشم ان خيرى لكم لممنوح وان بابى لكم لمفتوح فلا يقطع خيرى عنكم ولا يردّ بابى دونكم ولما نظرت فى امرى وأمركم رأيت أمرا مختلفا انكم ترون انكم احق بما فى يدى منى واذا اعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فأقبل عليه ابن عباس رضى الله عنهما فقال والله ما منحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك فخير الله اوسع منك ولئن اغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك واما هذا المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا زائر بحمله خف ولا حافرا كفاك أم أزيدك قال كفانى يا ابن عباس * وقال معاوية يوما أيها الناس ان الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين ونحن عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وانتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا زدناك وقال معاوية أيضا لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومى قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه * وقال يوما لجارية بن قدامة ما كان اهونك على قومك اذ سموك جارية فقال ما كان أهونك على قومك اذ سموك معاوية وهى الانثى من الكلاب قال اسكت لا أم لك قال أم لى ولدتنى أما والله ان القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التى قاتلناك بها لفى أيدينا وانك لم تملكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وأسنة حدادا فقال معاوية لا أكثر الله فى الناس مثلك يا جارية فقال له قل معروفا فان شر الدعاء محيط باهله * وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونى اذا قصرت فى عطاياكم فقال له الاحنف وانا والله لا نلومك على ما فى خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته فى خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضى الله عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال حين هتك سترك * ومن ذلك ما حكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما

فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ذاك ماولى العراق شرّ منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أو تعرف من انا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة * وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لاتخف فانه يسبح قال انى أخاف أن تدركه رقة فيسجد * وقالت عجوز لزوجها أما تستحى أن تزنى وذلك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا * وقال ملك لوزيره ماخير مايرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال أدب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد * وتذاكر رجل فى زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبى سفلة فقال جعلت فداك كل نبى يبعث الى شكله (ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة) ماذكر أن ابراهيم مغنى الرشيد غنى يوما بين يديه فقال له أحسنت أحسن الله اليك فقال له ياأمير المؤمنين انما يحسن الله الى تلك فأمر له بمائة ألف درهم * وقال رجل لبعض العلوية أنت بستان فقال العلوى وأنت النهر الذى يسقى منه البستان وذبحت عائشة رضى الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ماعندك منها فقالت مابقى منها الا كتف فقال كلها بقى الا كتفا وقال عبد الله بن يحيى لابى العيناء كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف أنت لنا فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سالم فى حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو وعمرك الله ابن سعد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله قال انت تكلؤنا الليلة قال الله يكلؤك ياأمير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون ان أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار قال عمرو وددت لو أن الابيات طالت وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى صغير أرأيت يافتح أحسن من هذا الفص لفص كان فى يده قال نعم ياأمير المؤمنين اليد التى هو فيها أحسن منه فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة وقيل ان رجلا سأل العباس رضى الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندى أأنت سعيد قال أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسندى بن أنس أأنت السيد قال أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكنى اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية واسأل الله تعالى العون والعناية

(الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد

وهفوات الامجاد)

قيل خطب المأمون فقال اتقوا الله عباد الله وأنتم فى مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الامل فكانى بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتوات عنه فواصله وهيئت اكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالى بجسده البالى فهو فى التراب عفير والى ما قدم فقير وقال الشعبى ما سمعت أحدا يخطب الا تمنيت ان يسكت مخافة ان يخطئ ما خلا زيادا فانه لا يزداد اكثارا الا ازدادا حسانا (وخطب على رضى الله عنه) فقال فى خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقمتم اخذكم وان فررتم منه أدرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر الا وان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم فى كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر جرها شديد وقعرها بعيد وحلها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ادخلنا الله وايا كم دار النعيم وأجارنا وايا كم من العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال فى بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رضى الله عنه خطب بالبصرة فقال أيها الناس كل كلام فى غير ذكر فهو لغو وكل صمت فى غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن فى أضغاث أحلام قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان هلك فهذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال له معاوية أنت سيد الخطباء

(فصل فى ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهما) قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان المخضر الخالى وقيل أمسك على النابغة الجعدى اربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بنى جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله انحن باطلاق لسان شاعرنا اسر منا بالظفر بعدونا وقال ابو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء ولو لى خاطنك بالرجال وقال الخليل الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال اقرضت القريض قال نعم قال اروبت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا زياد بارك الله لك فى ابنك فاروه الشعر فقد وجدته كاملا وانى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اروا الشعر فانه

يدل على محاسن الاخلاق ويفى مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب وتعلموا من النجوم مايدلكم على سبلكم فى البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتنى الا قول القائل

اقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى او تستريحى

وقيل لم يرقط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الاحمر كان يعمل الشعر على السنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة ويذل له بعض الملوك مالا جزيلا على ان يتكلم فى بيت من الشعر شكوا فيه فأبى وكان الحسن بن على رضى الله عنه يعطى الشعراء فقيل له فى ذلك فقال خير مالك ماوقيت به عرضك وقال أبو الزناد مارأيت اروى للشعر من عروة قلت له ما أراك يا أبا عبد الله فقال ومارواية مع رواية عائشة رضى الله عنها ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل * كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا * ولم ينطق به موزونا فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشهد انك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له * ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم فمن ذلك قول قيس ابن الخطيم وهو شاعر الاوس وشجاعها

وما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى ما أخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهى معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

ومن ذلك قول عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

أخذه من قول امرئ القيس

فلو أنها نفس تموت شريتها * ولكنها نفس تساقط أنفسا

ويقال من سرق شيأ واسترقه فقد استحقه وهو ان يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ فمن السرقة الفاحشة قول كثير فى عبد الملك بن مروان

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد درّ يزينها

أخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروى

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها الؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة بحره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وتروبه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

وقد قال الشماخ

وامر ترجى النفس ليس بنافع * وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر

ترجى النفوس الشئ لا تستطيعه * وتخشى من الاشياء مالا يضيرها

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول

وأحسن من نور تفتحه الصبا * بياض العطايا فى سواد المطالب

أخذه من قول الاخطل

رأيت بياضا فى سواد كأنه * بياض العطايا فى سواد المطالب

(ومن سقطات الشعراء) ماقيل ان أبا العتاهية كان مع تقدمه فى الشعر كثير السقط روى انه لقى محمد بن مناذر بمكة فمازحه وضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة فى كل سنة وانا أقول فى كل سنة مائتى قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال ماهذا الذى يقول أبو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول

ألا يا عتبة الساعه * أموت الساعة الساعه

لقلت كثيرا ولكنى اقول

ابن عبد الحميد يوم توفى * هد ركنا ما كان بالمهدود

مادرى نعشه ولا حامليه * ماعلى النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه فى الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال

انما عظم سلمى حبتى * قصب السكر لا عظم الجمل

واذا ادنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله

اذا قامت لشيتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

ومع قوله فى الفخر

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا الليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وأبو الطيب المتنبى فى فضله المشهور وأخذه بزمام الكلام وقوته على رقائق المعانى وعلى مافى شعره من الحكم والامثال السائرة يقول

وضاقت الارض حتى صارهاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

وغير شئ معناه المعدوم والمعدوم لا يرى فهذا سقط فاحش ومما يستهجن من قوله وتكاد ان تمجه الاسماع قوله

تعلقت باللهم الذى قل قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله

ونهب نفوس أهل النهب أولى * بأهل المجد من نهب القماش

أخذه من قول أبي تمام

ان الاسود اسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

قال أبو عبد الله الزبيري اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها واذكروا لها امرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

واي ساعة احلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلي بسلام ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول

يقر بعيني ما يقر بعينها * واحسن شيء ما به العين قرت

وليس شيء اقر بعينها من النكاح اجب صاحبك ان ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما اراه هوى وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا حزني من ذا يهيم بها بعدي

فما له همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

أهيم بدعد ما حييت فان امت * فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذي يقول

من عاشقين تواعدا وترأسلا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة والذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تبن على واحد منهم واجم رواتهم عن جوابها رضي الله عنها (وروى) ابن الكلبي قال لما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدي بن ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا أيها الرجل المزجى مطيته * هذا زمانك اني قد خلا زمني

ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * أني لدى الباب كالمشدود في قرن

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فقال نعم يا أبا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك والسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضي الله عنه مالي وللشعراء فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فاعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي قال لا قرب الله قرابته

ولاحيا وجهه اليس هو القائل

ألا ليتنى فى يوم تدنو منيتى * شممت الذى ما بين عينيك والفم
وليت طهورى كان ريقك كله * وليت حنوطى من مشاشك والدم
وياليت سلمى فى القبور ضجيعتى * هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على أبدا فحن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذرى قال أليس هو القائل

ألا ليتنا نحيا جميعا فان نمت * يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
اظل نهارى لا أراها وتلتقى * مع الليل روحى فى المنام وروحها

والله لا يدخل على أبدا فحن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

ابعده الله فوالله لا يدخل على أبدا فحن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصارى قال أبعده الله والله لا دخل على أبدا أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بينى وبين سيدها * يفرق منى بها واتبعه

فحن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفتخر بالزنا فى قوله

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز لين الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الاحراس لا يفطنوا بنا * وولیت فى أعقاب ليل أباذره

والله لا دخل على أبدا فحن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبى قال أليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمرى * ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا * الى اطلال مكة بالنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو * قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا * واسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى فوالله لا دخل على أبدا ولا وطئ لى بساطا وهو كافر فحن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل

طرقته صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له قال عدى بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل وهو يقول

ان الذى بعث النبى محمدا * جعل الخلافة فى الامام العادل
وسع الخلائق عدله ووقاره * حتى ارعووا وأقام ميل المائل

انى لارجو منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل فى الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل
فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فأنشأ يقول

كم بالیمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعد لك يكفى فقد والده * كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت * أم قد كفانى ما بلغت من خبرى
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر
ان الخلافة جاءته على قدر * كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير مامت حيا لا يفارقنا * وبورك يا عمر الخيرات من عمر

فقال والله يا جرير لقد وافيت الامر ولا أملك الا ثلاثين دينارا فعشرة أخذها عبد الله ابنى وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله يا امير المؤمنين انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ورائى ما يسوءكم خرجت من عند امير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانثنى عنه لرأس ثم انشأ يقول

رأيت رقى الجن لا تستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(ومما جاء فى كبوات الجياد وهفوات الاجواد)

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته قلت عثراته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو ان عمرو ابن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا أبا بحر ما كان ابوك فى قومه قال كان اوسطهم وسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا فقال انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان ابوك قال كانت له فتوة ومروءة ومكارم أخلاق ولم يكن اهتم سلاجا وقال سعيد بن المسيب ما فاتنى الاذان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد (وقال قتادة) ما نسيت شيأ قط ثم قال يا غلام ناولنى نعلى قال النعل فى رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بنى امية وذهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادى حدا به يوما فقال

ان عليك ايها النجى * أكرم من يمشى به المطى

فقال هشام صدقت وذكر عنده سليمان واخوه فقال والله لاشكونه يوم القيامة الى أمير المؤمنين عبد الملك ولما ولى الخلافة قال الحمد لله الذى انقذنى من النار بهذا المقام قال التابغة اى الرجال المهذب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما اشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى) قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن ابى

هريرة

هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة اقوام أفئدتهم مثل افئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعانى أجبته ومن استغاثنى أغثته ومن استنصرنى نصرته ومن توكل على كفيته فأنا كافى المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين (حكى) أنه كان فى زمن هرون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما فامر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففى بعض الايام رؤى عبد يصفق ويرقص ويغنى فحمل الى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال أن سيدى عنده خزانة بر وأنا متوكل عليه أن يطعمنى منها فلهذا أنا اذا لا أبالى فانا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكى) أن حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور واناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا الذكر الحج فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم أن يذهب الى بيت ربه فى هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شأ ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه متناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ما تكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها الى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى عودت القوم بفضلك وانك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلنى معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من أنت قال الامير بابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها الى السماء وقالت الهى وسيدى سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير ياسيدى لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيأ وأخبرت انهم البارحة باتوا جياعا فقال الامير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروأة أن ينقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار ثم قال لاصحابه من

أحمني فلما فرغ من منطقته حمل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل الميت لا تعلمكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق ما لا جزيلا واسترد هامنهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء انما يحب أن تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله انما بكائي كيف بنا نا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى أحد طرفة عين اللهم انظر الى أبينا ودبره باحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فانه لما خرج محرما ومحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عند صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكله دعا له فعوفي الامير من وقته فأمر له بما ركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى اكبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه ومن كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذي قضي عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن تنفعك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام * ورفع الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الاموي وهذا كتابي الى العامل لا توصله له الا اذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعاد له بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به واذكر لي حاله وما آله وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولا قمت يوما أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهارا الا أنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموي فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فهتوا وسألوا عني فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لي هو في الحمام فأكرموني وأجلسوني وأمروا بمن معي ومن صحبني الى مكان آخر وأنا انتقد الدار وأتأمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم علي وسألني عن أمير المؤمنين فأخبرته انه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له

أطباق الفاكهة فقال تقدم يا منارة كل معنا فتأملت تأملا كثيرا اذ لم يكنني فقلت ما آكل فلم يعاودني ورأيت ما لم أره الا في دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يا منارة فكل قلت ليست لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت الى أصحابي فلم أجد أحدا منهم عندي فحزنت لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأتم الركوع والسجود وأكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما أقدمك يا منارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت انه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر أيمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات يا منارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا في ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة لي تحمل في كل سنة كذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى انفذني خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ما تدري ما تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيدا فريدا وأنت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد أخطأت فراستي فيك يا منارة ما ظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك فاذا أنت جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء امانا وحي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضى علي بأمر فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قد قدر الله علي بشيء فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضروني لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالي ذنب فأخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين بهتان وأمير المؤمنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتي فهو لا يستحل مضرتي وعلي عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا ثم أعرض عني وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال هات يا منارة أخبرني من يوم خروجك عني الى يوم قدومك علي فابتدأت أحدثه بامور كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدي لاصحابي فلم أجد منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه أسفر وجهه واستبشر فلما اخبرته بحديثي معه في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد أزعجناه وارعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله أخرج اليه وانزع قيوده وفكه وأدخله علي مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به أمير المؤمنين واجلسه

واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعي الى بلدي وجمع شملي بأهلي وولدي قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين في عماله ما احوجني الى سؤال قال فخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يا منارة اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذي أخذته منه قم في حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر الى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ما تمناه * وروى أن هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة في التوراة فكتبها وهي يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان مادام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد أبدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملآنة وخزائني لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك فان طلبتني وجدتني وان أنست بغيري فتلك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها الا ما قد قسمته لك وكنت عندي مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعي بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فاني لم انس من عصاني فكيف من أطاعني وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط قال الشاعر

وما ثم الا الله في كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتي ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم انفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن في الامر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

(الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله) جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يا رسول الله ما القناعة قال الاياس مما في أيدي الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهي الشئ فيدافعه سنة قال الكندي العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع وقال بشر بن الحرث خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فاعيا فأوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدبر ببصره اذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هي

اني رأيتك قاعدا مستقبلي * فعلمت انك للهموم قرين
هون عليك وكن بربك واثقا * فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الاذى عن نفسه في رزقه * لما تيقن انه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة

والتجارة والفلاحة وفى ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ماهم فيه فالحائك اذا رأى من صاحبه تقصيرا اوخلفا قال ويلك ياحجام والحجام اذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك ياحائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى الى البدوى فى بيت من قطعة خيش معه بعظام الجيف كلبه معه فى بيته لباسه شملة من وبر أوشعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلى زوجته الودع وثماره المقل وصيده اليربوع وهو فى مفازة لا يسمع فيها الاصوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مفتخر به وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه يابنى اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ الا أغناك الله عنه وأصاب داود الطائى فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبى حنيفة رضى الله عنه بار بعمائة درهم من تركة أبيه وقال هى من مال رجل ما أقدم عليه أحدا فى زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيأ لقبلتها تعظيما للبيت واكراما للحى ولكنى احب أن أعيش فى عز القناعة وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وأنشد المبرد

ان ضن زيد بما فى بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط
ان الذى قدر الاشياء حكمته * لم ينسنى قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيأ من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة ارفع من الرضا وهو رأس المحبة قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة وكان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدى فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له أذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما يملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شئ فقالا له انه لم يدع أحد شيأ لله الا عوضه الله منه بديلا فما عوضك عما تركت له قال الرضا بما أنا فيه وقال الثورى ما وضع أحد يده فى قصعة غيره الا ذل له وقال الفضيل من رضى بما قسم الله له بارك الله له فيه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس فى الشتاء جلالى ونور القمر سراجى وبقل البرية فاكهتى وشعر الغنم لباسى أبيت حيث يدركنى الليل ليس لى ولد يموت ولا بيت يخرب انا الذى كبت الدنيا على وجهها بيت مفرد

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

* وقال عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شئ من أرزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم أنكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها وقيل وفد عروة بن اذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه خلته فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى اليه فيعيني تطلبه * ولو قعدت أتاني ليس يعييني

وقد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال في نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجهته ورددته خائبا فلما أصبح وجه اليه بألفي دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ امير المؤمنين مني السلام وقل له كيف رأيت قولي سعيت فاكديت فرجعت فأتاني رزقي في منزلي ولما ولي عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له أنصاري وثقفي فلما سار تخلف الانصاري وقال الذي أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطيني فوفد الثقفي وقال أحوز الحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصاري قال رجع الى أهله فأمر للثقفي باربعة آلاف دينار وبعث الى الانصاري بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفي وهو يقول

فوالله ما حرص الحريص بنافع * فيغني ولا زهد القنوع بضائر
خرجنا جميعا من مساقط رؤسنا * على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما التقينا الناجعات ببابه * تخلف عني اليثربي ابن جابر
وقال ستكفيني عطية قادر * على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
فان الذي أعطى العراق ابن عامر * لربي الذي أرجو لسد مفاقري
فقلت خلالي وجهه ولعله * سيجعل لي حظ الفتى المتزاور
فلما رآني سال عنه صنيعة * اليه كما حنت ظؤار الاباعر
فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولا ضائر شيئ خلاف المقادر

قيل أوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أتدري لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال ولبعض العرب

ولا تجزع اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوي العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أترانى لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبي وابن نبي * ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك علي بغلتي فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج علي وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علي رضي الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له وقيل لراهب من أين تأكل فاشار الى فيه وقال الذي خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين وقال سليم بن المهاجر الجيلي

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل
فعاشت لم آت البخيل ولم اقم * على بابه يوما مقام ذليل
وان قليلا يستر الوجه أن يرى * الى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك فى رزقه شك فى خالقه وقال أبو حازم ما لم يكتب لى لو ركبت الريح ما أدركته وقال عمر بن أبى عمر اليونانى

غلا السعر فى بغداد من بعد رخصه * وانى فى الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع * غناه ولا المحرمان والله رازق

وقال القهستانى

غنى بلادنيا عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعلى عن الشئ لابه

وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندى * بين القنا والاسنه
والخبل تجرى سراعا * مقطعات الاعنه
من أن يكون لنذل * على فضل ومنه

وأنشد أعرابى

أيا مالك لا تسأل الناس والتمس * بكفيك فضل الله فالله اوسع
ولو تسأل الناس التراب لاوشكوا * اذا قيل هاتوا ان يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال عليك باليأس مما فى أيدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر وقيل اذا وجدت الشئ فى السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لولم نعش الا من حيث نعلم لم نعش وقال أعرابى أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك وقال المعرى

اذا كنت تبغى العيش فابغ توسطا * فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهى أهلة * ويدركها النقصان وهى كوامل

وقال آخر

اقنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فاصفا البحر الاوهو منتقص * ولا تعكر الا فى الزيادات

وقال أعرابى استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصرى

وكم ملك جانبته عن كراهة * لاغلاق باب أو لتشديد حاجب
ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب * اذا انصرفت عنى وجوه المذاهب

وقيل ينبغى ان يكون المرء فى دنياه كالمدعو الى الوليمة ان أتته صحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخى قال لى ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرنى عما أنت عليه قلت ان رزقت أكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ

فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

هى القناعة فالزمها تعش ملكا * لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال آخر

وان القناعة كنز الغنى * فصرت باذيالها ممتسك
فلا ذا برانى على بابه * ولا ذا برانى له منهمك
فصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلى الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيأ للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس لبلته يبكى من الفرح ويقول باى يد كانت منى تركت مثلى على هذه الحالة والله تعالى أعلم

(الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل) قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد فى رزقه وقيل لحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيئة تدعى اليها

وقال آخر واجاد

قد شاب رأسى ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا الفى تعب

وقيل للاسكندر ما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لنسيت الامل وغروره وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فأقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى ما أبلغه وعن أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه لا يزال الكبير شابا فى اثنتين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل مسىء العمل وقيل من جرى فى عنان أمله كان عاثرا بأجله لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ولقد أحسن أبو العباس أحمد بن مروان فى قوله

وذى حرص تراه يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

ولقد أحسن من قال فى الجناس الحقيقى

اذا ما نازعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم انت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من ألهاه أمله أخزاه عمله قال عبد الصمد ابن المعدل

ولى أمل قطعت به الليالى * أرانى قد فنيت به وداما

قال الحسن اياكم وهذه الامانى فانه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط فى الدنيا ولا فى الآخرة قال قس بن ساعدة

وما قد تولى فهو لاشك فائت * فهل ينفعنى ليتنى ولعلنى

وقال آخر

ولا تتعلل بالامانى فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب

وقال آخر وأجاد

الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذى المنى فى الصدر وسواس

وقال آخر

شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الارجاء فما ندرى أندركه * أم يستمر فيأتى دونه الاجل

وقال أبو العتاهية

لقد لعمت وجد الموت فى طلبى * وان فى الموت لى شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتى فيما خلقت له * ما اشتد حرصى على الدنيا ولا طلبى

وله أيضا

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وقد ضمنت البيت الاخير فقلت

اياما من عاش فى الدنيا طويلا * وافنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام او حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * اليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء فى الطمع وذمه) قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضى الله عنه ما الحزم صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفى الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال الذين يعملون به قال فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد ان علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس واجتمع الفضل وسفيان وابن كريمة اليربوعى فتواصوا ثم افترقوا

وهم مجمعون على أن افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام مجن بطنته ثلاثة اشياء الحرص والطمع والحسد فهى تجرى فى أولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطرى القراطيسى

حسبى بعلمى ان نفع * ما الذل الا فى الطمع
من راقب الله نزع * عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقال سابق البربرى

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى * سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع فى سوف ويهلك دونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جارى فأفت خبزى وقال أيضا ما رأيت رجلين يتساران فى جنازة الا قدرت أن الميت أوصى لى بشئ من ماله وما زفت عروس الا كنست بيتى رجاء أن يغطوا فيدخلوا بها الى وقال بعضهم

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما فى يديه
واغضب على الطمع الذى * استدعاك تطلب ما لديه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادى عشر فى المشورة والنصيحة والتجارب والتطرف العواقب)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر واختلف أهل التأويل فى أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه احدها انه امره بها فى الحرب ليستقر له الرأى الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها انه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها انه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان فى غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أمرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأى وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الرأى والمشورة وأما الرجل الذى هو نصف رجل فالذى له رأى ولا يشاور وأما الرجل الذى ليس برجل فالذى ليس له رأى ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عنى ثلثين لا تقل فى غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة وانى لاستشير حتى هذه الجبشية الاعجمية وقال اعرابى لا مال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق ان لا يخيب رأيه وقيل الرأى السديد احمى من البطل الشديد

قال أبو القاسم النهروندى

وما ألف مطرور السنان مسدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى ان يترددا

فأضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا * فان فساد العزم ان يتقيدا

ولمحمد بن ادريس الطائى

ذهب الصواب برأيه فكأنما * آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

ولمحمد الوراق

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

وقال الرشيد حين بدا له تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير أننى * عدلت عن الامر الذى كان أحزما

فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما * توزع حتى صار نهبا مقسما

أخاف التواء الامر بعد استوائه * وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما

وقال آخر

خليلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

ووصف رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب وقال اردشير بن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها وان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكونن أول مشير وايالك والرأى الخطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على محموح وقيل ينبغى ان يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب وكم ناقد فى شئ ضعيف فى غيره قال أبو الاسود الدؤلى

وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير ان يعلم الآخر به لمعان شتى منها ألا يقع بين المستشارين منافسة فتذهب اصابة الرأى لان من طباع المشتركين فى الامر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما سبق أحدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم أيضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك واذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من اذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجانى بمن لا ذنب له

وقيل اذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بان تقول أنت فعلت وأنت أمرتنى ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة وقال افلاطون اذا استشارك عدوك فجد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر فى السباخ قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة

يصير باعقاب الامور كانما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد ولما أراد نوح بن مريم قاضى مرو أن يزوج ابنته استشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وانت تستفتينى قال لا بد ان تشير على قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى * وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول ومن اعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجهد رأيه فقد قضى ماعليه ويقضى الله فى أمره ما يحب * وقال بعضهم خير الرأى خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا * وقيل سبعة لا ينبغى لصاحب لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته (وحكى) ان رجلا من أهل يثرب يعرف بالاسلمى قال ركبنى دين اثقل كاهلى وطالبنى به مستحقوه واشتدت حاجتى الى مالا بد منه وضاقت على الارض ولم اهتد الى ما اصنع فشاورت من اثق به من ذوى المودة والرأى فأشار على بقصد المهلب بن أبى صفرة بالعراق فقلت له تمنعنى المشقة وبعد الشقة وتيه المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادنى على ماذكره الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له اصلح الله الامير انى قطعت السلك الدهناء وضربت اكباد الابل من يثرب فانه أشار على بعض ذوى الحجى والرأى بقصدك لقضاء حاجتى فقال هل أتتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك أهلا لقضاء حاجتى فان قمت بها فاهل لذلك أنت وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم اياس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما فى خزانة مالنا الساعة فأخذنى معه فوجدت فى خزانته ثمانين الف درهم فدفعها الى فلما رأيت ذلك لم املك نفسى فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب بى اليه مسرعا فقال هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله

على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلمى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك أهل الارض قاطبة * فانت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت دينى ووسعت على أهلى وجازيت المشير علىّ وعاهدت الله تعالى ان لا اترك الاستشارة فى جميع أمورى ما عشت (وحكى) عن الخليفة المنصور انه كان صدر من عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن على وكان واليا على الكوفة ما افسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل امنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فكرته الى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة اكرامه ثم اخرج من كان بحضرته واقبل على عيسى وقال له يا ابن العم انى مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعدا الى على حمل ثقله فهل أنت فى موضع ظنى بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى فقال له عيسى بن موسى انا عبد أمير المؤمنين ونفسى طوع أمره ونهيه فقال ان عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على مارضه يبيح دمه وفى قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى اعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما اخذت عمى وافكرت فى قتله رأيت من الرأى ان اشاور فى قضيته من له رأى عسى ان اصيب الصواب فى ذلك فأحضرت يونس بن قرة الكاتب وكان لى حسن ظن فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين دفع الى عمه عبد الله وأمرنى بقتله واخفاء أمره فما رأيك فى ذلك وما تشير به فقال لى يونس ايها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فانى أرى لك ان تدخله فى مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل احد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وابوابا وأظهر لامير المؤمنين انك قتلته وانفذت امره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنى به اذا تحقق منك انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره أنكر أمره لك وآخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها واظهرت لامير المؤمنين انى انفذت أمره ثم جئ المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه اننى قد قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على ان يسألوه فى أخيهم ويستوهبوه منه فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه فى عبد الله فقال نعم ان حقوقكم تقتضى اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو فى مقام الوالد ثم امر باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال

يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي الى الحج عمى عبد الله ليكون عندك فى منزلك الى
حين رجوعى فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألنى فيه عمومتك
وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فائتنا به الساعة قال
عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك
ولو أردت قتله لاسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل
أخيكم مدعيا أننى أمرته بقتله وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به
ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فاخذونى الى الرحبة واجتمع الناس على فقام
واحد من عمومتى الى وسل سيفه ليضربنى به فقلت له ياعم أفاعل أنت قال اى والله كيف
لا اقتلك وقد قتلت أخى فقال لهم لا تعجلوا وردونى الى أمير المؤمنين فردونى اليه فقلت
يا أمير المؤمنين انما اردت قتلى بقتله والذى دبرته على عصمنى الله تعالى من فعله وهذا
عملك باق حتى تسوى فان امرتنى بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة فأطرق المنصور وعلم
ان ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم رفع رأسه
وقال ائتنا به فمضى عيسى واحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه
عندى وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا فقال عيسى فتركته وانصرف اخوته فسلمت روحى
وزالت كربتى وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان
المنصور اسكن عبد الله فى بيت اساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء حوله للاذاب
الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة
ومن سهام مراميها البعيدة (ومما جاء فى النصيحة) اعلموا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق
أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى
ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقال شعيب
عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول
الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله
وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة فى محابه
والبعد عن مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد فى رد العصاة الى
طاعته قولا وفعلا والنصيحة لكتابه اقامته فى التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه
والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله
تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب والنصيحة
للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته فى بث الدعوة وتأليف
الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كافوا القيام
به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد

بهم السوء واعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا اولو العزم وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لى فى وجهى ما أكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره وفى منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ان شئتم لا نصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون فى الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انى النذير فلا يغرركم أحد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله وتردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما ذخائره * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد انى قد أعددتك لامر قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعدلك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وأنشد الاصمعى

النصح أرخص ما باع الرجال فلا * تردد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى منا هلها * على الرجال ذوى الالباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عزلها القبول
فخالفت الذى لك فيه حظ * فنالك دون ما أملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب ان لا يضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس أهله فقال فيروز

امرتك امرا حازما فعصيتنى * فاصبحت مسلوب الامارة نادما
امرتك بالحجاج اذ أنت قادر * فنفسك أولى اللوم ان كنت لائما
فما انا بالباكى عليك صبابة * وما أنا بالداعى لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولا ترفدن النصح من ليس أهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصب الرشد أو يك غاويا

وفى مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فتجتهد * له الرأى يستغششك ما لم تتابعه
فلا تمنحن الرأى من ليس اهله * فلا أنت محمود ولا الرأى نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن

وقال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة * وروينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان * وقال شيخنا محيى الدين النووى رحمة الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب فى معناها انكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما أمر به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد بن عمار الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع اثر * ومن كلام على رضى الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب وانشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعى فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له اما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحى من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام * وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير * قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان أتيتنى بعبد آبق كتبتك عندى حميدا ومن كتبته عندى حميدا لم أعذبه بعدها أبدا * وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظنى واوجز فقال يا أمير المؤمنين هل أحد احب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت ان لا تسيء الى من تحب فافعل وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد بقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات * ولما لقى ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت أحب ان القاك فعظنى فقرأ الحسن البصرى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام يا سعيد لقد وعظتنى أحسن موعظة * ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعتريته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شىء فاتكما منها افاتكما عنها راحلان افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له اما سمعت ما اوصيت به اخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما

ثم أقبل عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وانما تعلمان أن أباه كان يحبه فأحباه ثم قال يابني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء يابني ماشر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يابني من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بيته ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الاندال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يابني الادب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين يابني العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحدة في ترك مجالسة السفهاء يابني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يابني لا شرف اعلى من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يابني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جادلكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له وقال الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب اموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين لو أن ذنوبا من النار صب ووضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو ان ثوبا من النار وضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة احذر أن يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وروى زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا ان اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس

عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله تعالى فى ملكه فأدخل عليه الجور فى حكمه فامسك
أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابى مخافة أن يناله شئ من
دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولنى هذه الدواة فأمسكت عنه فقال ما منعك أن
تناولنيها قال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما
عنى فقال ابن طاوس ذلك ما كان ينبغى قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من
ذلك اليوم وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا
قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا
فقال يا أمير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم
مما ترى فنكس عمر رضى الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا
فقال يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه
حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم
لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يا رب
لا أسألك اليوم الا نفسى وقال سيدى الشيخ أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه
دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو أمير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت رد جميلا وأكرمنى اكراما جزيلا وأمرنى بدخول
مجلسه وأمرنى بالجلوس فقلت أيها الملك ان الله تعالى قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك
منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك فى حكمه ولم يرض أن يكون امر
احد فوق امرك فلا نرض أن يكون احد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو
بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم ان هذا الذى اصبحت فيه من
الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما
خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى
فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان
ابن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم
وسخر له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا
عطاؤنا فامنن او أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما
حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربى
ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف
أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف واما نا للخائف ثم اتممت المجلس بان قلت
قد رحت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لى الاقامة فيها غير هذه
المملكة ثم انشدته

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقال الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع

الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا امير المؤمنين لو
ارسلت الى آتيتك فقال ويحك قد حاك فى نفسى شئ لا يخرجه الا عالم فانظر لى رجلا أسأله
عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من
هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو ارسلت الى آتيتك
فقال جدلما جئناك فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه
ثم انصرفنا فقال ما اغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن
همام فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت اجب امير
المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى آتيتك فقال جدلما جئناك
فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال
ما اغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لى رجلا اسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض
بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلى فى غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت
عليه الباب فقال من هذا قلت اجب أمير المؤمنين فقال مالى ولامير المؤمنين فقلت
سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى أعلى الغرفة فأطفأ السراج ثم
التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفى اليه
فقال اواه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة
بكلام نقى من قلب تقى فقال جدلما جئناك له رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت جلت على
نفسك وجميع من معك جلوا عليك حتى لو سألتهم ان يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا
ولكان أشدهم حبالك اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما
ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم انى قد
ابتليت بهذا البلاء فاشيروا على فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن
عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت
وقال محمد بن كعب ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك
اباً وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك
وقال رجاء بن حيوة ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحب
لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت وانى لاقول هذا وانى لأخاف عليك اشد
الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى
هرون بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له أرفق يا امير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته
أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق هرون الرشيد فقال زدنى فقال يا أمير المؤمنين بلغنى أن
عاملا لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا أخى اذكر سهر
أهل النار فى النار وخلود الابدان فان ذلك يطرد نبك الى ربك نائما ويقظان واياك ان تزل
قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى
البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك فقال له لقد خلعت قلبى بكتابك لا ولیت ولا یة
أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدنى قال يا امير المؤمنين ان

العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يارسول الله امرني امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني برحمك الله فقال ياحسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له اعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان سألني والويل لي أن لم يلهمني حجتي قال هرون انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما أمرني ان أصدق وعده واطيع امره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار فخذها وانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله أنا دللتك على سبيل الرشاد تكافئني أنت بمثل هذا سلك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا فان هذا سيد المسلكين اليوم * واعلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ اخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته * وقالت أم الدرداء رضي الله تعالى عنها من وعظ أخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه ويقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره * وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال كان الرجل اذا رأى من أخيه شيأ أمره فيما بينه وبينه في ستر فيؤجر في ستره ويؤجر في أمره ويؤجر في نهيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأيتم أخاكم زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فتوب عليه ولا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم وبالله التوفيق الى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول)

* (الفصل الاول في الصمت وصون اللسان) قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد واعلم أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شئ وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعي في الام اذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا في صحيحيهما عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قلت يارسول الله اي المسلمين افضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا في

والكفن من جميع المال مقدما على الدين والوصية والميراث الا ان تكون التركة عبدا جانيا او شيئا مرهونا فانه حينئذ والجناية والمرتهن مقدم على التكفين واذا لم يكن للميت مال فكفنه على من يجب عليه نفقته في حياته وكفن الزوجة على الزوج عند ابي يوسف وفي شرح الزيادة لصدرها والمرأة اذا لم يكن لها مال فكفنها ودفنها على الزوج عند ابي حنيفة وابي يوسف وقال محمد وانت فهمت ذلك على ما تبين من نفقتها من ذوي ارحامها انتهى فقد ضم قول ابي حنيفة الى قول ابي يوسف وقيد بما اذا لم يكن لها مال وفي المنظومة قيد بالاعسار ايضا لكن حفي الخلاف وقيد بما اذا لم يكن لها مال وفي المنظومة قيد بالاعسار ايضا لكن حفي الخلاف بأبي يوسف ولم يذكر صحة ابا حنيفة وكذا في عامة الكتب. وفي الفتاوى لم يقيد بالاعسار بل قالوا تجهيزها على الزوج وان تركت مالا عند ابي يوسف وعليه الفتوى انتهى. والاوجه حيث حمل الفتوى على قول ابي يوسف انه يقيد بما اذا كانت معسرة لانه غاية ما وجهوه به انه الغرم بالضم ولو تركت مالا يرثه الزوج فيكون غرامة تجهيزها عليه. ولا شك ان هذه العلة لا تخصه بل تعم سائر الورثة ومقتضاها ان تكون على الورثة بالحصص حال الاعسار ايضا حليف تجب عليه وحده على الساء فأشبه ما اذا انفقها عليه وحده على الحياة بخلاف ما تجب على القريب فانه للقرابة وهي باقية بعده فاذا تأملت وجدت التوجيه يرجح على القريب فانه للقرابة وهي باقية بعده فاذا تأملت وجدت التوجيه يرجح قول محمد والله اعلم ولو كفنه مديونه يرجع به في تركته وان كفنه من ارثه من اقاربه بغير امر الورثة لا يرجع سواء اشهد بالرجوع او لم يشهد ا

كتاب الترمذى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذى حديث حسن ورويناه فى كتاب الترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه والاحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة وفيما اشرت اليه كفاية لمن وفقه الله تعالى وأما الآثار عن السلف وغيرهم فى هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شئ منها فمما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة واكثم بن صيفى اجتمعا فقال احدهما لصاحبه كم وجدت فى ابن آدم من العيوب فقال هى اكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هى قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعى رضى الله عنه لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ويحقق شره ومما انشدوه فى هذا الباب

احفظ لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الفارسى

لعمرك ان فى ذنبى لشغلا * لنفسى عن ذنوب بنى ابيه
على ربى حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

قال على رضى الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابى لرب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشر فى عزلة الناس وقال على بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وحمى فان الصمت اولى واسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابى ذر رضى الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون على امر دينك ومن كلام الحكماء من نطق فى غير خير فقد لغا ومن نظر فى غير اعتبار فقد سها ومن سكت فى غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لاغمدت صفيحتك ولو رأيت ما فى ميزانك لختمت على لسانك ولما نوجع يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرنى فى بطن الحوت وقال حكيم اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ما هو أبلغ من الكلام لان السفيه اذا سكت عنه كان فى اغتمام وقيل لرجل بم سدتكم الاحنف فوالله ما كان باكبركم سنا ولا باكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه وقيل الكلمة اسيرة فى وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار فى وثاقها وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على ما لم أقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتنى

وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فاصابه فقال ما احسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك وقال علي رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان أكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك يقول الانسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(الفصل الثاني في تحريم الغيبة) اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا في الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بما يكره ولو بما فيه سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو عمامته أو ثوبه او مشيته أو حركته أو نشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك فأما الذين فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل في النجاسات ليس بارا بوالديه قليل الادب لا يضع الزكاة مواضعها الا يجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعمى أو أعرج أو أعمش أو قصير أو طويل أو أسود أو أصفر وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما أشبه ذلك أو كقولك فلان أبوه نجار أو اسكاف أو حداد أو حائك تريد تنقيصه بذلك أو فلان سيء الخلق متكبر مراء معجب بعجول جبار ونحو ذلك او فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك وقد روينا في صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان في اخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذي حديث حسن صحيح وروينا في سنن أبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها وروينا في سنن أبي داود عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وروى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال من اغتاب المسلمين واكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جيء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادي بالويل والثبور يعرف أهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة افضل الناس

عند الله اسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الاحنف في خصلتان لا اغتاب جليسي اذا غاب عني ولا ادخل في امر قوم لا يدخلوني فيه وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب احدا فقال لست عن نفسي راضيا فاتفرغ لذم الناس وانشد

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها * لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان واول من عمل السويق ذو القرنين واول من عمل الحميس يوسف واول من عمل خبز الجرداق نمرود واول من كتب في القراطيس الحجاج واول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان أصر فهو اول من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصري رضي الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك فاهدى اليه طبقا من رطب فاتاه الرجل وقال له اغتبتك فاهديت الي فقال الحسن اهديت الى حسناتك فاردت ان أكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا احدا اغتبت والدي لانهما أحق بحسناتي واذا حاكى انسان انسانا بأن يمشي متعارجا أو متطاطئا أو غير ذلك من الهيآت يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما تفهم بالتصريح فيقال لاحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة * واعلم أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع انسانا يبتدئ بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال باسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومما انشدوه في هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه
وكم ازعج الحرص من طالب * فوافى المنية في مطلبه

* (الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة) * قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو الهمزة اللمزة وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما العتل الفاحش السيئ الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير

العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبى هو الشديد فى كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذى لا يعرف من أبوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

وروينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله قال الامام أبو حامد الغزالى رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغى للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا فى حكايته فائدة لمسلم او دفع معصية وينبغى ان حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وأن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن ابى بردة برجل وكان امير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغى يعنى ولد زنا قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لا يتم على الناس الا ولد بغى وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذى يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذى قدرة فهى المهلكة والمحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال فى النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعى ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم من مة واصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار أن يصغى لساع أو يستمع لنمام ووجد فى حكم القدماء أبغض الناس الى الله المشاء قال الاصمعى هو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعادة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المروءات وفى المثل السائر من اطاع الواشى ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعى لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله

وروينا فى كتاب أبى داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغنى أحد من أصحابى عن احد شيأ فانى احب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر ومن الناس من يتلون ألوانا و يكون بوجهين ولسانين فيأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح ام على غش يناجينى
انى لاكثر مما سمتنى عجبا * يدتشيج وأنوى منك تأسونى
تغتابنى عند أقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل عنك يأتينى
هذان شيآن قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمى وتزيينى

وقيل لالف محوح جموح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بابى براقش وأبى قلمون فابو براقش طائر منقط بالوان النقوش يتلون فى اليوم ألوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذى لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بتمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح و يمناه ممدودة واصابعها مضمومة الا السبابة فاذا اشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور باضعف نسيم يصيبه والذى يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى ابا رياح أيضا ويقال اخلاق الملوك مثل فى المتلون قال بعضهم

ويوم كأخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه اياك يا من صفاته * دنو وإعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الاحنف فى شئ بلغه عنه فانكره الاحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية واذا اتاه ساع يقول له ان صدقتنا ابغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا اقلناك وكتب فى جواب كتاب ساع نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ واخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه اثما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها ان يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وانشد بعضهم

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن افاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

وقال آخر

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كاد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شئ لم يواجهك به * انما اللوم على من أعلمك

وقال آخر

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا * شرا أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقال آخر

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت احسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فافشاها فهو كالذى أتاها

(وما جاء فى النهى عن اللعن)

ما روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا فى صحيح مسلم أيضا عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها ويجوز لعن أصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك وثبت فى الاحاديث الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وانه قال لعن الله المصورين وانه قال لعن الله من لعن والديه وانه قال لعن الله من ذبح لغير الله وانه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وانه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى البخارى ومسلم بعضها فيهما وبعضها فى أحدهما والله أعلم

(وما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذى أدب كريم

وقال جعفر بن الفراء

من أخمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال أعرابى رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير يقول فى خصلتان ما يسرنى بهما رد بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلوقلبى من اجتماع الناس الى وقال عمر رضى الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على اطم من

آطام المدينة ونادى باعلى صوته ياصباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ماعندك قال قلت بيت شعر فأحببت ان تسمعوه قالوا هات ياحسان فقال

وان امرأ امسى واصبح سالما * من الناس الا ماجنى لسعيد

ولما بنى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك واسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية وقيل لعروة أخى مرداس لم لاتحدث بابيه بعض ماعندك من العلم فقال اكره أن يميل قلبى باجتماعكم الى حب الرياسة فأخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضيل فى مرضه نعوده فقال ماجاء بكم والله لو لم تجيئوا لكان أحب الى ثم قال نعم الشئ المرض لولا العيادة وقيل للفضل ان ابنك يقول وددت لو أنى بالمكان الذى أرى الناس فيه ولا يروننى فقال ويح ابنى لم لا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونى وقال على رضى الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه فى شغل والناس منه فى راحة وقال سفيان الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس وقيل لراهب فى صومعته الا تنزل فقال من مشى على وجه الارض عثر والكلام فى مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان وطاعة ولاة امور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه)

روى عن الحسن انه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله فى الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم نكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم اخبرنى عن هذا السلطان الذى ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ما هو قال ظل الله فى الارض فاذا احسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الا ضاقت عليه رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ وقال مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه وجدت فى بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك رقاب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا السنتكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما أحسن هذا الملك لو دام فقال لو دام لاحد ما انتقل الينا ومر طارق الشرطى بابن شبرمة فى موكبه فقال

اراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فرفع اليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكى وقال الجاحظ ليس شئ ألذ ولا أسر من عز الامر والنهى ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن اعناق الرجال لان هذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس وقيل الملك

خليفة الله فى عباده ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال اردشير لابنه يابنى الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين اس والملك حارس ومالم يكن له اس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامرأته حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولد له ولد فتملك وأغار العرب على نواحى فارس فى صباه فلما أدرك ركب وانتخب من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع أكتاف سبعين ألفا فقيل له ذوالاكتاف وأمر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وان يسكنوا بيوت الشعر وان لايركبوا الخيل الاعراة * وقيل من أخلاق الملوك حب التفرد كان اردشير اذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم ير على أحد مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على أهل المملكة ان يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الحجاج اذا وضع على رأسه عمامة لم يحترئ أحد من خلق الله ان يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرنى من سافر الى اليمن انه لايأكل الاوز بها أحد غير الملك وقيل من حق الملك ان يفحص عن اسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان اردشير متى شاء قال لا رفع اهل مملكته وأوضعهم كان عندك فى هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وماذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضى الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية أثره وتعرف الى زياد رجل فقال أتتعرف الى وأنا أعرف بك من أبيك وأمك وأعرف هذا البرد الذى عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى فى امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله مازال يصفها ويصف أحوالها حتى أبهتنى

(وما جاء فى طاعة ولاة أمور الاسلام)

أمر الله تعالى بذلك فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وروينا فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله فى أرضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله فى الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز لؤدبه كيف كانت طاعتى لك قال أحسن طاعة قال فأطعنى كما كنت أطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أمرى فقد أطاعنى ومن عصى أمرى فقد عصانى وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة ان النبى صلى الله عليه

وسلم أمر بالسمع والطاعة لولى الامر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم ارشدنى الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع ان من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة ان طاعة الائمة فرض على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين وان عصيان السلطان يهدم أركان الملة وان أرفع منازل السعادة طاعة السلطان وان طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ما قالت العلماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة برىء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وان الخروج منها خروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا فى أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها فى كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا من ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وان يصلح شأننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته)

(أما صحبة السلطان) فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال لى ابى يا بنى انى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وانى أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبى رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال اى والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر فى الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة *وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تتغير منه اذا اقصاك * وروى ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لى سترا ولا تشتم لى عرضا ولا تقبل فى قول قائل حتى تستشيرنى قال هذا لك فما الذى علىك قال لا افشى لك سرا ولا ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب للمستصحب انت وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه فى معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك اغلظ من ايقاعه * وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال أنسك بهم تزدد غما * وقالوا علم السلطان وكأنك تتعلم منه واشر عليه وكأنك تستشيره واذا احلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدرى متى يتغير منك فيكونون

عونا عليك واياك أن تعادى من اذا شاء ان يطرح ثيابه ويدخل مع الملك فى ثيابه فعل وفى الامثال القديمة احذر وا زمارة المخدة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فدار مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الاحمق * (وأما ما جاء فى التحذير من صحبة السلطان) * فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهى عن صحبة السلطان قال فى كتاب كليله ودمنه ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الامور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفى حكم الهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابى لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لانى رأيته يعطى عشرة آلاف فى غير شئ ويرمى من السور فى غير شئ ولا أدرى أى الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويبطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عنى أربعا لا تصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا ممن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به فكان كما قيل

عدوى اليليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فاهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * فى البحر ترجف دائما من خوفه

ان ادخلت من مائه فى جوفها * يغتالها مع مائها فى جوفه

وفى كتاب كليله ودمنه لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا ان يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركوبه اخوف * وقال محمد بن واسع والله لسف التراب ولقضم العظم خير من الدنو من أبواب السلاطين وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قبل ان يتأدب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأييسا واكراما فزده تهيبا واحتشاما * وقال أبو على الصغانى اياك والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بهار أبواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان وقال

حسان بن ربيع الحميري لا تثقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤون ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

ارى الملوك بادنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم فى ولاة بنى مروان

اذا ما قطعتم لبلكم بمدامكم * وأفنيتموا أيامكم بمنام
فمن ذا الذى يغشاكم فى مظلة * ومن ذا الذى يغشاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأسر بلغة * بلثم غلام او بشرب مدام
ولم تعملوا أن اللسان موكل * بمدح كرام او بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وقيل شر الملوك من أمنه الجرىء وخافه البرىء والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم واحوالهم وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى دلت هذه الآية على ان الوزارة تشد قواعد المملكة وان يفوض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على ان بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج أشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة وملك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال له هامان بينما أنت اله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الادميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفى الامثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تميزه وجودة عقله فى انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يحمل فى الخلق ذكره وترسخ فى النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفى كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن فى بنى

اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه صحائف فى كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذى يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافى فيه القساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا والى الماء محتاجا ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما أن السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس فى الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط فى الوزير أن يكون صدوقا فى لسانه عدلا فى دينه مأمونا فى أخلاقه بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الامانة والبصيرة وليحذر الملك أن يولى الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من اهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمه * وحبه مفترض واجب
ان الذى شرفت من اجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمى فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من ان يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتنى غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان فى الاولى انك لست بالله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك فى أكف الوزراء سبق فهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فثم ولا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من البصر فكما ان من لم ينظر فى المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير ان يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم واعلم انه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس وكما ان المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدأ كذلك السلطان لا يكمل امره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر)

(اما

(أما الحجاب) فقد قيل لا شئ أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل اذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم واذا عظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثني ابى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولى شيأ من امور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فما رؤى على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القسرى يقول لحاجبه اذا اخذت مجلسى فلا تحجبن عنى احدا فان الوالى لا يحتجب الا لثلاث عيب يكره أن يطلع عليه احد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسئل شيأ وكانت العجم تقول لا شئ اضيع للملكة من شدة حجاب الملك ولا شئ اهيب للرعية واكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذى هو اشد منه قال وقوف الشريف ببابب الدنى ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوى على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه انه لو أذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا افهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضا كان الحمار مطيتى * ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضربا شديدا وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب قال الشاعر

رأيت أناسا يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك اصبعا
ونحن جلوس ساكتون رزانة * وحلما الى أن يفتح الباب أجمعا

ووقف رجل خراسانى بباب ابى دلف العجلى حينا فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف فى وصولها اليه وفيها

اذا كان الكريم له حجاب * فافضل الكريم على اللئيم

فاجابه ابو دلف بقوله

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وابواب الملوك محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابى

ومن محاسن النظم فى ذم الاحتجاب قول بعضهم

سأهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لا بد سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهر انها * وان لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر

ماذا على بواب داركم الذى * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لو ردنا ردا جميلا عنكم * او كان يدفع بالتى هى احسن

وقال آخر

أمرت بالتسهيل فى الاذن لى * ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن ترانى بعدها عائدا * ولن تراه بعد مستأذنا

وقال آخر

ولقد رأيت بباب دارك جفوة * فيها لحسن صنيعك التكدير
مابال دارك حين تدخل جنة * وبباب دارك منكر ونكير

وقال آخر

اذا جئت ألقى عند بابك حاجبا * محياه من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر

* سأترك بابا أنت تملك اذنه * ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

وقال آخر

ماذا يفيدك أن تكون محجبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت الا فى الحصار معى فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

وقال أبو تمام

سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجى سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب الى نفسى وانما هى هجعة واهب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذى قال لك قال قال كلاما لا افهمه وهو يريد أن لا يأذن لك وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما أمهل فرعون مع دعواه الالوهية لسهولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهنى لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أمير يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسئلة الا أغلق الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته وجاء النامى الشاعر لبعض الامراء فجبهه فقال

سأصبر ان جفوت فكم صبرنا * لمثلك من أمير أو وزير
رجوناهم فلما أخلفونا * تمادت فيهم غير الدهور
فبتنا بالسلامة وهى غنم * وباتوا فى المحابس والقبور
ولما ننل منهم سرورا * رأينا فيهم كل السرور

وأنشدوا فى ذلك أيضا

قل للذين تحجبوا عن راغب * بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقيا كم بوابكم * فالله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء فأتى اليه الناس وفيهم كعب فقال ومايبكيك ياسعد فقال ومالى لا ابكى وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لاتبك فان فى الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

فى كل يوم لى ببابك وقفة * اطوى اليه سائر الابواب

واذا حضرت رغبت عنك فانه * ذنب عقوبته على البواب

(وأما ذكر الولايات ومافيها من الخطر العظيم) فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء فى التفسير ان من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود ان يكون الحق للذى فى قلبك حبه خاصة وبهذا سلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الذى اصاب سليمان ابن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب أن يكون الحق لاهل جرادة فيقضى لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد استرعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته الا لم يجد رائحة الجنة وفى الحديث من ولى من امور المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى اماكنها فان كان لله مطيعا اخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به فى نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضى الله عنه سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مالم اسمع قال نعم وكان سلمان وأبوذر حاضرين فقال سلمان اى والله ياعمر ومع السبعين سبعون خريفا فى واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضى الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله أنفه وألصق خده بالارض وروى أبوداود فى السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان ابى عريف على الماء وانى أسألك أن تجعل لى العرافة من بعده فقال النبى عليه الصلاة والسلام العرفاء فى النار وروى أبوسعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة

الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة وقال الحسن البصرى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خولنى فقال اقعد فى بيتك وقال أبو هريرة رضى الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الا جىء به يوم القيامة مغلولا أنجاه عمله أو أهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدرى يا أمير المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكى فما زال يبكى حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان الى أبى عبيدة السلمانى يتخيرون اليه فى الواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم لا اتولى حكما ابدا وقال أبو بكر بن أبى مريم جاء قوم فمات صاحب لهم بارض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ولا مرويا ولا عرافا ولا بريدا وانا ادلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فاعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام وقال أبو ذر رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر انى أحب لك ما احب لنفسى وانى أراك ضعيفا فلا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سمع ما حكى أن ملكا من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الأردن بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما اخبث مثلة فسار اليه أردشير فى جيوشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من اجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فهمت أردشير من رؤيته اياها فقالت له ايها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر اصحابه قبل أن تقتله أنت وانه اسرنى فى جملة الاسارى وانى بى فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى ارسلت تخطبها أحبتنى وسألت اباها أن يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد فلما ارسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض اقاربه من الملوك فقال أردشير ودت لو أنى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسرى وقال هذه اجنبية من الملك ولا احنث فى يمينى باخذها ثم انه واقعها وازال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت غلبت أبى وانا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الأردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت

انك أقسمت لتقتلنى فتحيات علـك بما سمعت والآن هـذا ولدك فى بطنى فلا يتهيأ لك
قتلى فعظم ذلك على أردشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها
وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير
عزمه قويا على قتلها خشى أن تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع
فقال أيها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية
فى هـذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك
وحنثته فى يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها
وهى أولى بالستر ولا أرى فى قتلها استرولا اهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت
خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها البلا الى بحر الأردن ومعه ضوء ورجال واعوان
فتحيل الى أن طرح شيأ فى البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه اخفاها عنده فلما
اصبح جاء الى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما
وقال أيها الملك انى نظرت مولدى فرأيت اجلى قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس
فى النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا انا مت ان رأيت وهذا
الحق فيه جوهر اسأل الملك أن يقسمه بين أولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من
أبى وليس عندى شئ اكتسبته منه الا هـذا الجوهر فقال له الملك بطول الزب فى عمرك
وما لك ولا ولادك سواء كنت حيا أو ميتا فالح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة
فأخذه الملك واودعه عنده فى صندوق ثم مضت اشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا
حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى انه ان اخترع
له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد اساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم
يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم
مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير
يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط
والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هـذا كله
وأردشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال
للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى ارى أنى ميت لا محالة وهـذا الملك
يأخذه من بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى
بعده الملك ثم ذكره بامر بنت ملك بحر الأردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها
ولو كنت ابقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها
الملك انها عندى حية ولقد وضعت ولدا ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك
أحق ما تقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بأبوة الاب وفى
الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين
غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا هو وانى اعطى كل واحد منهم
صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم

وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى منهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم لأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فاخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال له أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم احضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة فى هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وانثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك واحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما ابداه هذا الوزير من قوة النفس فى الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية وانبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول)

(الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم) قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بينهم بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن أبى حازم قال دخل عمر على أبى بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر فقال أتانى وبين يدى خصمان قد فرغت لهما قلبى وسمعى وبصرى وعلمت أن الله سائلى عنهما وعما قالا وقلت * واذعى رجل على على عند عمر رضى الله عنهما وعلى جالس فالتفت عمر اليه وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع على الى مجلسه فتبين لعمر التغير فى وجه على فقال يا أبا الحسن مالى أراك متغيرا اكرهت

ما كان قال نعم قال وماذاك قال كنت بحضرة خصمى هلا قلت ياعلى قم فاجلس مع خصمك فاخذ عمر برأس على رضى الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بابى انتم بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور وعن ابى حنيفة رضى الله عنه القاضى كالغريق فى البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا وارادعمر بن هبيرة أن يولى اباحنيفة القضاء فابى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه ابى حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط فى الدنيا اهون على من الضرب بمقامع الحديد فى الآخرة وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من اهل اليمن قال اقبل سيل باليمن فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه فكشف عن باب مغلق فظننا ه كنزا فكتبنا الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فكتب الينا لاتحركوه حتى يقدم اليكم كاتبى ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفى يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضى الارض داهن فى القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضى الارض من قاضى السماء

واذا عند رأسه سيف اشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن ابن أبى اوفى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله مع القاضى مالم يجر فاذا جار برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغنى أن نصر بن على راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لايجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم انى لهذا الامر كاره فاقبضنى اليك فقبض وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا الان يدخل الرجل اصبعه فى عينه فيقلعهما ويرمى بهما خير له من ان يكون قاضيا وقيل اول من اظهر الجور من القضاة بلال بن ابى بردة بن أبى موسى الاشعرى كان أمير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الى فاجد أحدهما أخف على قلبى من الآخر فاقضى له وتقدم المأمون بين يدى القاضى يحيى بن اكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لاتأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فاراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله مادفعت لك هذا المال الاخشية أن تقول العامة انى تناولتك من جهة القدرة ثم أمر ليحيى بمال وأجزل عطاءه وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبى يوسف بن يعقوب فى حكم فارتفع الخادم على خصمه فى المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك فى المجلس فتمتنع ياغلام ائتنى بعمرو ابن أبى عمرو النخاس فانه ان قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لاجزت بيعه ولم أردك الى ملكى فليست منزلتك عندى تزن رتبة المساواة بين الخصمين فى الحكم فان ذلك عود

السلطان وقوام الاديان والله تعالى أعلم وقال الابرش الكلبى يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * فى آخرين وملها رواضها
حتى اذا ماقام ألف بينها * بالحق حتى جمعت اوفاضها

وفى ضد ذلك قول بعضهم

أبكى وأندب ملة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ماعلمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الايام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جاء معك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضى يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ما قال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك ما رأيت ميتا يقضى بين الاحياء غيرك وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الاحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيدج وهو الذى قال فيه أبو اسحق الصابى

يارب عجل أعجل * مثل البعير الاهوج
رأيته مطلعا * من خلف باب مرتج
وخلفه عذبة * تذهب طورا وتجى
فقلت من هذا ترى * فقيل قاضى أيدج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهرى

رأيت رأسا كدبه * ولحية كالمذبه
فقلت من أنت قل لى * فقال قاضى شلبه

وتقدمت امرأة جميلة الى الشعبى فادّعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعى

فتن الشعبى لما * رفع الطرف اليها
فتنته بنتان * كيف لو أى معصميها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها
فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبى فضرب الاشجعى ثلاثين سوطا وحكى ابن أبى ليلى قال انصرف الشعبى يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهى تقول فتن الشعبى لما فتن الشعبى لما ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبى وقال رفع الطرف اليها ثم قال أبعده الله أما أنا فما قضيت الا بالحق وأنشد بعضهم فى امين الحكم

تمار وتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة لتيم

(الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وما جاء فى الديون) أما الرشوة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشى والمرتشى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل فى دين الله الرشا قال الشهيدى وأصحابنا اليوم أقبل للرشا منهم وفى نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فاهدى له

فقيل فذلك السحت فقيل له ما كان ترى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كبيته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الحكومة غلبت * علي وقالت قم فانك ظالم

(وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال)

فقد روى عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتي له بجنازة لم يسأل عن شئ من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتي بجنازة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين فقالوا دينار ان يارسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال علي كرم الله وجهه هما علي يارسول الله وهو بري منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله ان يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا نخرج الى الغزو فقال أشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضى دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على احد عليه دين ثم قال بعد أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلي قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لاهم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوي ان لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوي ان لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شئ أستقرضه الا استقرضته من نفسي أرادانه يصبر الى ان تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلا شئ على تركته * فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض سمير قلبي * فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي

واني لاقضي الدين بالدين بعدما * يرى طالبي بالدين ان لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمير

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض من الاصمعي خليل له فقال حباوكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تطلبه فقال يا أبا سعيد أما تثق بي قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبي اللهم أوف عنا دين الدنيا بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين

(الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك)

(أما ما جاء في ذكر القصاص والمتصوفة)

فقد روي عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وروي أن كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة * قيل وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النهشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها ان أقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن اكرم وأعظم من ان تذهب منه عقول الرجال * وسئل ابن سيرين عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان بمرو قاص يبكي بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة * وقال بعضهم قلت لصوفي يعني جبنك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأي شئ يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة * وعظ عيسى عليه السلام بني اسرائيل فأقبلوا يمزقون الثياب فقال ما ذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

(وأما ما جاء في الرياء)

فقد قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر ان يرى عليك آثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شئ . وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يمشي ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد ان يستظل معه فمنعه وقال ان أقمت معي لم يعلم الناس أن الغمامة تظلني فقال له الرجل قد علم الناس أنني لست ممن تظله الغمامة فخولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي يوما الناس يزعمون اني مراء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرت بذلك

أحدا اللهم أصلح فساد قلوبنا واستر فضائحنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك)

اعلم أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى انه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطاب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والمحق من المبطل واعلم ان عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الازمنة أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا نبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فاني ارجو أن لا اجور وأما الشهادة فأنى لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل بما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله ما الا برمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام ويقال ان المحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية الى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لأبلغنه الى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة ومن كلام كسرى لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل *ولما مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولامير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لامير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لاحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت أمير المؤمنين كأحد الغرماء فكتب اليه المنصور ملئت الارض بك عدلا *وكان احمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للظالم

وينصف المظلوم من الظالم (حكى) ان ولده العباس استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحى مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس اليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذى كسرت العود قال نعم قال أفعلت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لى فقال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فأطرق أحدين طويلا عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك * ووقف يهودى لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمنى فأنصفنى منه وأذقنى حلاوة العدل فأعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد فى التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم أحد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث فى الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودى حقه منه * وروى ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى الى المنصور فقال له أصلحك الله يا أمير المؤمنين أذكر لك حاجتى أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالى لعلمه أنه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله شكا الى السلطان لعلمه انه أقوى ممن سواه فان لم ينصف السلطان شكاه الى الله تعالى لعلمه انه أقوى من السلطان وقد نزلت بى نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتنى والا رفعت أمرى الى الله تعالى فى الموسم فانى متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل ننصفك وأمر ان يكتب الى واليه برد ضيعته اليه * وكان الاسكندر يقول يا عباد الله انما الهكم الله الذى فى السماء الذى نصر نوحا بعد حين الذى يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغنى ان الله تعالى أحب شيأ الا أحببته واستعملته الى يوم أجلى ولا أبغض شيأ الا أبغضته وهجرته الى يوم أجلى وقد أنبأت أن الله تعالى يحب العدل فى عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفى وسوطى ومن ظهر منه العدل من عمالى فليتكئ فى مجلسى كيف شاء وليتمن على ما شاء فلن تخطئه أمنيته والله تعالى المجازى كلا بعمله * ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان * وقيل مات بعض الاكاسرة فوجدوا له سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كأكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل فى خراجه بالعدل * وقيل تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت فى عمالى أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذى لحقنا ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا واذا فعل ذلك

لم يصبنا منه اكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم * وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغني أبيات عن سليم بن يزيد العدوى فى العدل فقم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذى معك قال عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يجب أن يسمع أبياتك فى العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول

حتى متى لا نرى عدلا نسر به * ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به * اذا تلون أهل الجور ألوانا
يا للرجال لداء لا دواء له * وقائد ذى عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور ودت لو انى رأيت يوم عدل ثم مت * وقيل لما ولى عمر بن عبد العزيز أخذ فى رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسألوها ان تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الامر الى معاوية جوه يمينا وشمالا وايم الله لئن مد فى عمرى لأردنه الى ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت له يا ابن أخى انى أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون القيامة فلا امنه الله * وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به ادخل الله النقص فى أهل مملكته فى الاسواق والزروع والضروع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل أو عمل به ادخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك * وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالى وتفسد بفساده * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالأمس فقال له الملك ما بال حلبها نقص أرعت فى غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن ان ملكنا رآها أو وصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه فى نفسه ان لا يأخذها ولا يحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها * ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذى كان يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها منى فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله ان لا يأخذها منها ابدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت ملء قدح (وحكى) سيدى ابو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ ممن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيأ فى ذلك العام ولا ثمرة واحدة وقال لى شيخ من اشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب ستين وبية وكان صاحبها يبيعها فى سنى الغلاء كل

وبة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت فى الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر * وروى أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون فى الاطعمة الرفيعة ويتغالون فى المناكح والسرارى ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغى للامام ان يكون على طريقة الصحابة والسلف رضى الله عنهم ويقتدى بهم فى الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبى مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التى يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته فسبحان من خلقها للثمرات وروحا للاجساد ولو تتبعت ما جاء فى العدل والانصاف وفضل الامام العادل لالفت فى ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأمه السامع وبالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك) *

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لاخيه قبله مظلمة فى عرض او مال فاتاه فتحلله منها قبل أن يأتى يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيأ يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الى يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولا أحد من عبادى عندأحد منهم مظلمة فانى ألعنه مادام قائما يصلى بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء

الا قال الله عز وجل لبيك عبدى حقا لأنصرنك ولو بعد حين وعنه أيضا انه قال الا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فأما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذى لا يطلب فظلم العبد نفسه * ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يا رب ان حملك على الظالمين قد أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين واذا منادى ينادى حملى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين * وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره * وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك ويقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم * ورؤى لوح فى افق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا * ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر

كنت الصحيح وكان منك فى سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا
دعت عليك اكف طالما ظلمت * ولن ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لاستحى ان اظلم من لا يجد على ناصرا الا الله وقال أبو العيناء كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن أبى داود وقلت قد تظافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت له أن لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيئ الا باهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله * وقال يوسف بن أسباط من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله فى أرضه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان أخاه لابيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون اى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين * وقال ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر فى البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لوان الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يجبك رحب الذراعين سفك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول ما هبت شيأ قط هيبتى من رجل ظلمته وانا اعلم ان لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله بينى وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله * وبكى على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكى على من ظلمنى اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبى صلى الله عليه

وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الاذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الاذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه أرضه وأرضا مع ارضه وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فقد أنوشروان عليه فلما ولي الملك قال للمعلم ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فاحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمنن الدهر جار ظلمته * فما ليل جار ان ظلمت بنائم

وروى ان بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضي الى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

أتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها اذا ما شاء ربي * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء اياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام وقال الهيثم بن فراس لسامي من بني سامة بن لؤي في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا السبيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل * ووجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بني وللبين سهام تنتظر * أنفذ في الاحشاء من وخز الابر
* سهام أيدي القانتين في السحر *

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين اراد ان يوليه القضاء ما كنت لأولي هذا بعد ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للظالم يوما فلما

انقضى

انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم أدنني اليك فاني مظلوم وقد
أعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست اصل اليك فاذكر حاجتي قال
وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك
قال ففيم ظلمتك قال في ضيعتي الفلانية اخذها وكيلك غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها
خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك ياخذ غلتها وانا أؤدي
خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه الى بينة وشهود
واشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة
هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شيء آخر فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء
وأي شيء هذه الاشياء ان هي الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت
والبلاء موكل بالمنطق واني لارى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وان يطلق له مائة
دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من اصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف
واعادة ضيعته له يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر
فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له له كيف الناس
الآن قال بخير قد اعتدت معهم الانصاف ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغصوب
وكشفت عنهم الكروب وانا ارجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب ومما
نقل في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء
بني اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج
يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى الى السوق ليبيعها
ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه
فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة
وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني ضعيفا وجعلته قويا
عندك فخذ لي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم
انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعتها
بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها
عقله وصار لا يقر بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها
أن تقطع الاصبع لئلا يسري الألم الى بقية الكف فقطع اصبعه فانتقل الالم والوجع
الى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن
تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الألم الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الى الساعد فما زال
هكذا كلما قطع عضو انتقل الالم الى العضو الآخر الذي يليه فخر هائما على وجهه
مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام
فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى خصمك الذي ظلمته
فأرضه فانتبه من النوم وفكر في امره فعلم أن الذي اصابه من جهة الصياد فدخل المدينة
وسأل عن الصياد وأتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه

ودفع اليه شيأ من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن فى الحال ألمه وبات تلك الليلة فردّ الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحى على موسى عليه السلام يا موسى وعزتى وجلالى لولا أن ذلك الرجل ارضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (ومما تضمنته أخبار الاخيار) ماروّاه أنس رضى الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضى الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسى ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعنى بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصرى أقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصرى فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرة قال انس رضى الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ماضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلع عمرو فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذى ضربنى قال أما والله لو فعلت مامنعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول انى لم أشعر بهذا وقيل لما ظلم أحمد بن طولون قبل ان يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم ونخولتم فعسفتم وردّت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ماشئتم فانا صابرون وجورا وافانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته (وحكى) ان الحجاج حبس رجلا فى حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا ايام ومن نعيمك ايام والموعد يوم القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بينة وكتب فى آخرها

ستعلم يا نؤم اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
اما والله ان الظلم لؤم * ومازال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن اناس * اداموه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

(وحكى) ابو محمد الحسين بن محمد الصالحى قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد ان اكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فاسرعنا الجواب فقال ويلكم اعينونى والحقوا بالشط فاول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتونى به ووكلوا

بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة منحدرة وهى فارغة فقبضنا عليه وكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال اصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين وأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال وأين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فامر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها واعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاى من أعلمك أوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها واقم عليه الحد ولا يفتك فكان ما شاهدتم فيتعين على كل ولى أمر أن يعدل فى الاحكام وان يتبصر فى رعيته وعلى كل عاقل ان يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله فى السر والعلانية ويعلم ان الله يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه واذا أخذ الظالم لم يفلته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال

قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملوك وما استعزوا بمثل العدل وما استنذروا بمثل الظلم وأسرع الامور فى خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور ومثل السلطان اذا أجحف باهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما ادخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذى يطين سطحه بتراب أساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء فى السلطان وروى ان المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل يوما

وبالبصرة يومة فخطبت يومة الموصل بنت يومة البصرة لابنها فقالت يومة البصرة لا أجيب
خطبة ابنك حتى تجعلي لي في صداق ابنتي مائة ضيعة خربة فقالت يومة الموصل لا أقدر عليها
ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس
للظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية وقال أبو الحسن
ابن علي الاسدي أخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية
ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون في زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من
أموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف
دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع
وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في
البلدان وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذر وسائر نفقات تطبيق
الأرض ثمانمائة الف دينار وما ينصرف للأرامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى
لا يخلو أمثالهم من بر فرعون اربعمائة ألف دينار وما ينصرف لكهنتهم وبيوت صلاتهم
مائتا الف دينار وما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا وينادى عليه برئت الذمة من رجل
كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا الف دينار فاذا فرقت الاموال
على أربابها دخل أمناء فرعون اليه وهنؤوه بفرقة الاموال ودعوا له بطول البقاء ودوام
العز والنعماء والسلامة وانهوا اليه حال الفقراء فأمر باحضارهم وتغيير شعثهم وعدلهم
السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان
ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذي كان له وما ينصرف في نفقات فرعون الراتبة في
كل سنة مائتا الف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك
ويجعل في بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار وقال
أبورهم كانت ارض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه
حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري
من تحتي الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض أعظم منه ملكا وكانت الجنان
بحافتي النيل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت
ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا ما دبروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين
الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فأخذ
في حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه ان يجري لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه
مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة
ويسوقه كيف أراد والى حيث قصد فليس خليج بمصر اكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك
اموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيدان
يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم ردعلى أهل
القرى أموالهم فرد عليهم ما أخذه منهم فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو

لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض قال هى خزائن مصر ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه السلام وكمل وصارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وكانت مصر أربعين فرسخا فى مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وناب عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام فأسلم وكانت السنون التى حصل فيها الغلاء والجوع مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمى بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لا تفعلى لانه ربما يتذكر كما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسىء اليك ويكافئك على ما سبق منك اليه فقالت انا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية فى طريقه يوم خروجه وكان يركب فى زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من أنت فقالت أنا التى كنت أخدمك بنفسى وأرجل شعرك بيدى وأكرم مثواك بجهدى وكان منى ما كان وقد ذقت وبال أمرى وذهبت قوتى وتلف مالى وعمى بصرى وصرت أسأل الناس فمنهم من يرحمنى ومنهم من لا يرحمنى وبعدما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقى فى قلبك من حبك اياى شىء قالت نعم والذى اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الى من ملء الارض ذهبا وفضة فخضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستهزئ بى هو لم يردنى فى أيام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز عمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلى ودعا الله تعالى باسمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته فوافقها فاذا هى بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب فى الاسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغى للقوى أن لا ينسى الضعيف وللغنى أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسؤل يصير سائلا وراحم يصير مرحوما فنسأل الله تعالى أن يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الارض كان يجوع ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف أن اشبع فانسى الجائع * ومن حسن سيرة العمال ما روى أن عمر رضى الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضى الله عنه أن اقدم علينا فلم يشعر عمر الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده وادواته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمير أجبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أما نهاك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها فقال له وما معك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا ان لقيته ومزود أحمل فيه طعامى واداوة أحمل

فيها ماء لشربي ولطهوري وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وآكل فيها طعامي فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معي قال فقام عمر رضي الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير فقال اخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يدوهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأتيتك به فقال عمر عد الى عملك يا عمير قال أنشدك الله يا امير المؤمنين ان تردني الى اهلي فأذن له فأتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لي عميرا وانزل عليه ثلاثة ايام حتى ترى حاله هل هو في سعة أم ضيق فان كان في ضيق فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة ايام قال يا حبيب ان رأيت ان تتحول الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا اوسع عيشا منا فاننا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها امير المؤمنين اليك فدعا بفروخلق لامرأته فجعل يصرمنها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى ان انفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك يا امير المؤمنين من عند ازهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال يا امير المؤمنين اما الثوبان فاقبلهما واما الوسقان فلا حاجة لي بهما عندا هلي صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم وروى أن عمر رضي الله عنه صر أر بعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجده قد عدة مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من أمره فمضى اليه وقال له كما قال لابي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل ابو عبيدة فرجع الغلام فأخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضي الله تعالى عنهم اجمعين

(الفصل الثاني في أحكام اهل الذمة) روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدائننا ولا فيما حوالينا كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها في خطط المسلمين في ليل ولا في نهار وان نوسع ابوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شركنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرباتنا الدخول في دين الاسلام ان اراده وان نوقر المسلمين ونقوم

لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس وأن لا نتشبه بالمسلمين فى شئ من ملابسهم من قلنسوة
ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد
بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع
الخمر وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كانوا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر
صلباننا ولا كتبنا فى شئ من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا الا
ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا
أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على
منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى
شئ مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة
والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه ان امض ما سألوه وألحق فيه حرفين واشترطهما
عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد
خلع عهده وروى أن بنى تغلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقالوا يا أمير
المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجامنا ففعلوا
فجز نواصيهم وشق من أرديتهم خرما يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج وأن يركبوا
على الاكف من شق واحد وروى ان أمير المؤمنين الخليفة جعفرا المتوكل أقصى اليهود
والنصارى ولم يستعملهم وأدانهم وأبعدهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وقرب منه أهل
الحق وأبعد عنه أهل الباطل فاحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم
عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى
فانهم أهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه
أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو
فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب يده على فخذه
وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا أمير المؤمنين لى
كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا ادنيهم اذ أقصاهم
الله وكتب بعض العمال الى عمر رضى الله عنه ان العدو قد كثروا ان الجزية قد كثرت
أفنستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث أنزلهم الله
ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال
انى أريد أن اتبعك واصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين
بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله
قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فاجابه
بمثل الاول فقال نعم فخرج به وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم فى أن لا
يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف
استعمالهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله أن لا تولوا

على أعمالنا الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في أهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون في غيرهم قال أصحاب الشافعي و يلزمهم أن يتميزوا في اللباس عن المسلمين وان يلبسوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة و يشدوا الزنانير على أوساطهم و يكون في رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات واما المرأة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى و يكون في عنقها خاتم تدخل به الحمام و يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤن بالسلام و يلجؤن الى أضيق الطرق ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها و يمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في أرض الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وان زنى أحدهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فمنهم من قال انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر رضي الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثني عشر دينارا وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل واحد قولي الشافعي ويجوز للامام أن يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وأما الكنائس فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر علية خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم)

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فاحب خلقه اليه انفعهم لعياله رواه البزار والطبراني في معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن

عبيد بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه ان لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم فى حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم فى الحلية ورويناه فى مكارم الاخلاق لابى بكر الخرائطى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن أبى الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الله الى غيرهم رواه الطبرانى ورويناه من طريق الطبرانى باسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فاسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد فى زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل يا رسول الله اى الناس احب اليك قال انفع الناس للناس قيل يا رسول الله فاى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة رواه الطبرانى وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجل على مؤمن سرورا الا خلق الله من ذلك السرور ملكا

يعبد الله تعالى ويوحده فاذا صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور فيقول له اما تعرفنى فيقول له من انت فيقول أنا السرور الذى أدخلتنى على فلان أنا اليوم أؤانس وحشتك وأقلع وحشتك وأثبتك بالقول الثابت واشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك الى ربك وأريك منزلك فى الجنة رواه ابن أبى الدنيا وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه برفعه اذا اراد احدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وانا انزلناه فى ليلة القدر وام الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع ومن كلام الحكماء اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا فى خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسؤل أتمت عن حاجتك فقال ما نمت عن حاجتك من أسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فيجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية ابسط من لسانى بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها وعنه ايضا قال لا تكثر على اخيك الحوائج فان البحل اذا افرط فى مص ثدى امه نظمته وقال ذو الرياستين لثمامة بن اشرس ما ادرى ما اصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى ان لا يلقاك منهم احد فقال له صدقت وجلس لهم فى قضاء حوائجهم وحدث ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخى قال عرضت على ابى الحسن على بن محمد بن الفرات رقعة فى حاجة لى فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشئ فأخذتها وقمت وانا اقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

واذا خطبت الى كريم حاجة * وابى فلا تعقد عليه بحاجب
فلربما منع الكريم ومابه * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا ابا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما اردت وسأل اسحق بن ربعى اسحق بن ابراهيم المصعبى ان يوصل له رقعة الى المأمون فقال لكاتبه ضمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتى واشدد عراها * فقد أضحت بمنزلة الضياع
اذا شاركتها بلبان انثى * اضر بها مشاركة الرضاع

وقال ابو دقاقة البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
اطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور معا بغير عقال

وقال سلم الخاسر

* اذا اذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ولله در القائل حيث قال

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدى العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فارسل الى رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لأستحيي من الله ان يراك ببابى وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال والذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد ودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم خص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما اثنى الله تعالى عليه شيأ من فضائله بمثل ما اثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضى الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض ويجلس على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد فى السمع ولو سألت ربى ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فاكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارقه فى سفره قارورة الدهن والمكحل والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضى الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكفه فى وقال هذه بتلك وكان له عبيد واماء لا يرتفع على أحد منهم فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو امى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضى الله عنه والذى بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا فى شئ لم أفعله لم لا فعلته ولا لامنى احد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى لا مانع من ان النبى صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من المرتبة التى

هى أعلى مرتبة من العبودية فالنبى صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا له متواضعا فحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا كاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى من دعاه لبيته ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذى يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة واتعبهم لله عز وجل بدنا واجدهم فى أمر الله لا تأخذه فى الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيأ الا أن يجاهد فى سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا ان يكون اثما او قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهى قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفى رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيئ الخلق أجنبى عند اهله وقال الفضيل لأن يعجبنى فاجر حسن الخلق احب الى من ان يعجبنى عابد سيئ الخلق لان الفاجر اذا حسن خلقه خف على الناس واحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه بيت مفرد

اذا رام التخلق جاذبته * خلائقه الى الطبع القديم

قيل أبى الله لسيئ الخلق التوبة لانه لا يخرج من ذنب الا دخل فى ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شئ لم يقل ما بال فلان ولكن يقول ما بال اقوام يقولون حتى لا يفضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم ما شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد فى رزقه ومن حسن بره لاهل بيته زيد له فى عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان فى الرزق وقيل سوء الخلق يعدى لانه يدعو الى ان يقابل بمثله وكتب الحسن بن على الى أخيه الحسين رضى الله عنهم فى اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين انت اعلم منى بأن خير المال ما وقى به العرض فانظر الى شرف ادبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كلامه بأنت اعلم منى وكان بينه وبين اخيه كلام فقيل له ادخل على اخيك فهو اكبر منك فقال انى سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما اثنين جرى بينهما كلام فطلب احدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وانا اكره أن اسبق اخى الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله عنهما وانشد فى المعنى

وانى لالقى المرء أعلم انه * عدو وفى احشائه الضغن كامن
فامنحه بشرا غير جمع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وسرق بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ الى الجوهريين بصفتها فقالوا بادها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه وأحضر بين يدى جعفر فلما رأى ماظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك واقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهرى بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به لا تبع بيع خائف ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يمسه بيده وجارية على رأسه تتبسم فقال لها المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك يا أمير المؤمنين تتعجب من قبحى واكرامك اياى فقال لا تعجبى فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع اطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وطرق برأسه الى الارض واطال الجلوس حتى اخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عنقه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى ان وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان اطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (وذكر) أن انوشروان وضع الموائد للناس فى يوم نوروز وجلس ودخل وجوه اهل مملكته فى الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب واحضرت الفواكه والمشموم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وانوشروان يراه فلما فقده الشرابى صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره بالقضية فقال قد اخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فلا تفتش احدا فأخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة فلما كان فى مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الارض وقال نعم اصلحك الله وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم ياغلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح ياغلام فدخل غلام تركى وهو يقول ما ينبغى للغلام ان يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح ياغلام ياغلام الى كم ياغلام فنكس المأمون رأسه طويلا فاشتكت أنه يأمرنى بضرب عنقه ثم نظر الى فقال ياعبد الله ان الرجل اذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه واذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه وانا لا نستطيع أن نسيء اخلاقنا لتحسن اخلاق خدمنا * وقال ابن عباس

رضى الله عنهما وردعلينا الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة واليا وكأن وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ماترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الينا بعين ارق من الماء ويكلمنا بكلام احلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر فى وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ماردها الا ذقن الوليد وانكب جميع مافيها فى حجره فبقى الغلام ممتلا واقفا مامعه من روحه الا مايقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه واقبل علينا تبرق اساريره جبهته فأقبل على الفراش وقال يابائس ماأرانا الا روعناك اذهب فأنت واولادك احرار لوجه الله تعالى ومرض أحمد بن ابى داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان اتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له احمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * احلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس فى داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم وألقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وكان ابن عمر رضى الله عنه اذا رأى احدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرآة له فكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدع له وروى ان أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع فى وقت الهاجرة فألقى من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا السنتهم فى الملقى للرماد فقال ابو عثمان لاتقولوا شيأ فان من استحق ان يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجز له ان يغضب وقيل لابراهيم بن ادهم تغدى الله تعالى برحمته هل فرحت فى الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما انى كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فمال على والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعنى وروى ان على بن ابى طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) ان ابا عثمان الحيرى دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل يا استاذ ليس لى وجه فى دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يا استاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال فى الاولى ثم فعل به ذلك اربع مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا أستاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على اخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال ابو عثمان لاتمدحنى على خلق تجده فى الكلاب فان الكلب اذا دعى حضر واذا زجر انزجر * وقال الحرث بن

قصى يعجبنى من القراء كل فصيح مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله فى المسلمين مثله ومن محاسن الاخلاق ما حكى عن القاضى يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته وقد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشى على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى انا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خيرا سيدى جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فأزعجك فقلت يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء واحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة واتمها عليك فأمر لى بالف دينار فأخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فيه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فأنتبه قال يحيى وكنت معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فنأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من اوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يحذبنى أن اتحول انا فى الظل ويكون هو فى الشمس فأمتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن فى مكانى ولاكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا ما وضعت يدك على عاتقى مثل ما فعلت أنا فانه لا خير فى صحبة من لا ينصف فانظر الى أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ما أحسنها والى أفعالهم ما أزينها نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا فى أرزاقنا انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك)

اعلم أن المودة والاخوة والزيارة سبب التآلف والتآلف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لاوليائه من الكرامة

اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلقون فيها من الالم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشدوا فى ذلك

* وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة * ولا خير فى الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون فى السراء والضراء ومن كلام على رضى الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعى الصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت فى اللذات فوجدتها كلها معلولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطىء والنظر الى الحسن من كل شئ قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهى أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره واقتضضت العذراء فلم يبق من لذاتى الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضى الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط واكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلى ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقى من اللذات ما تتوق اليه نفسى الا محادثة اخ كريم وانشدوا فى معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا * فقد صاروا اقل من القليل

وقال لبيد

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال آخر

اذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن انت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك اى الاخوان احق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه دانا ك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودته فعلا اكثر من مودة قوله وانشدوا فى المعنى

ان اخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

وقال

وقال غيره

وليس أخى من ودنى بلسانه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان أعوزته النوائب

وقال أبو تمام

من لى بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صفوان اى اخوانك احب اليك قال الذى يسد خلتى ويغفر زلتى ويقبل عثرتى وقيل من لا يؤاخى الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

وقال آخر

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على الاذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داوه كلمه واستر عورته وأبقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل انى برى مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم السيئ وقال صلى الله عليه وسلم الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام ان روحى المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه وفى ذلك قال بعضهم

هويتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

وقال آخر

تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا * من طيب ذكركم نشرا فاحيانا
فمن هنالك عشقناكم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ما تحاب اثنان فى الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه ما زار أخ أخا فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناديه ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل فى الرخاء المخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء ود من يهودى وحفظ من نصرانى ورياضة من دهرى وكرم من أعجمى والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أوجعته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا اصحب من الاخوان من اولاك جميل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسى جميلك وبقى شاكرا ناشرا ذاكرا لجميلتك يوليك عليها الاحسان الكثير

الجزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلي للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فاتنكر العينان فالقلب منكر * وما تعرف العينان فالقلب عارف

وقال آخر

وكنت اذا الصديق أراد غيظي * وشرقني على ظمأ بريق
غفرت ذنوبه وكظمت غيظي * مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال آخر

وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا * لضر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا وكان القعقاع بن شور الهذلى اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هناك رجل قد وسع له فى المجلس فدفعها للذى وسع له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور * وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضى الله عنهما المجالسة على ثلاث ان أرمقه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى له اذا حدث ويقال لكل شئ محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل المجالس الحسن كالعطار ان لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل المجالس السوء مثل الكير ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح ووصف المأمون ثمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل اول ما يتعين على المجلس الانصاف فى المجالسة بان يلحظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما فى محله وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضى الله عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس فى الصدر وينبغى للانسان ان لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه ان يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع انه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان مر بسمعه اولا ان لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى ان يستوعب منه القول وعدوا ذلك من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن فى حفظه وقيل ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم المجالس فى مجلس ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر على

رب البيت فى بيته والآتى الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس أن يراعى ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا اذا كان جلسه ذا هيبة فقد قيل رب كلمة سلمت نعمة وقال ابو العباس السفاح ما رأيت أعزر من فكر أبى بكر الهذلى لم يعد على حديثا قط وقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فأرمت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلى ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلى فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما لى قلب واحد فلما غمره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه محادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لارفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبنى أحد قط غلبة رجل يصغى الى حديثى وفى نوابغ الحكم أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق الملك اذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده او مد رجليه او تمطى أو اتكأ أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم من بحضرته وكان اردشير اذا تمطى قام سماره * ومن حق الملك ان لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لى قد سمعته منك وعن الشعبى قال ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء من أبى رباح ان الرجل ليحدثنى بالحديث فأنصت له كأنى لم أسمعه قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد الى الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما فى وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما واذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراءك وأهدئ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهى ولا يحملنك لطفه بك على ان تدخل بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عندهم وايالك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة المزاح وتهذيب الالفاظ والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة

ولا تجشأ بحضرتهم ولا تخلل اسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم واياك ان تمازح لبيبا او سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلى فى مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك

(وأما آداب المسايرة) فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته فى المشى مشى فيعز مان عليه أن لا يمشى فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر منى على مشى وما أنا بأغنى منكم عن اجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسى وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا فى ثلاث اذا سار والبلا أو خافوا سيلا او واجهوا خيلا وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته

(وأما ما جاء فى الاخوان القليلى الموافاة العديمى المكافأة الذين ليس عندهم لصديق مصافاة)

فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أقالنى عثرة ولا ستر لى عورة وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود قال الشاعر

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نفقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقل من معرفة الناس وانكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير وأنشد

الناس اخوان ما دامت لهم نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

ولما نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه احدا من اصحابه الذين كانوا يألفونه فى ولايته فلما ردت اليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانيا فقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال آخر

فما أكثر الاصحاب حين نعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل

وقال البحترى

اياك تغترأ وتخدعك بارقة * من ذى خداع يرى بشرا والطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * وسرت فى الارض أوساطا واطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا ابدا * ولا أخا بذل الانصاف ان صافى

وقال بعضهم فى المعنى أيضا

خليلى جربت الزمان وأهله * فما انى منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفى بالعهود ولا أنا

وقال آخر

لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خلا وفى للشدائد أصطفى
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

بيت مفرد

وكل خليل ليس فى الله ودّه * فانى به فى وده غير واثق

وقال آخر

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك أن يخونا
فانك لم تخنك أخ امين * ولكن قلما تلقى أمينا

وقال آخر

تحب عدوى ثم تزعم أننى * أوّدك ان الرأى عنك لعازب
وليس اخى من ودنى بلسانه * ولكن اخى من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان اعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وامر بقطع يده لما بلغه انه زوّر عنه كتابا الى اعدائه وعزله لم يأت اليه احد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له فى بقية يومه انه برى ء مما نسب اليه فخلع عليه ورد اليه وظائفه فأنشد يقول هذه الابيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا
يا ايها المعرضون عنا * عودوا فقد عادلى الزمان

ومثله فى المعنى

أخوك اخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعى استجابا
اذا حاربت حارب من تعادى * وزاد سلاحه منك اقترابا

وقال ابو بكر الخالدى

وأخ رخصت عليه حتى مانى * والشئ مملول اذا ما يرخص
ما فى زمانك من يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

فيجب على الانسان أن لا يصحب الا من له دين وتقوى فان المحبة فى الله تنفع فى الدنيا

والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة فى الله تبقى * على الحالين من فرح وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء فى لهب الحريق

فينبغى للانسان أن يجتنب معاشرة الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خلته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فاثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انما هو فى الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا فى خلائقه غليظا فى طبائعه قويا فى بدنه لا تؤمن ضغائنه فألحقه بعالم الغمورة والعرب تقول أجهل من غمر واذا رأيت الرجل هجاما على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلاب أن يحفو من لا يحفوه ويؤذى من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح ألست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فألحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار ان ادنيته بعد وان أبعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يحم على الاموال والارواح فألحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب واذا رأيت من يمشى بين الناس بالنميمة ويفرق بين الاحبة فألحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فألحقه بعالم الخنافس فانه يحبها كل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر فى عطفيه فألحقه بعالم الطواويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة الطويلة على السقطات فألحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الاشرار واهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكايد الخلق وأراح قلبه وبدنه والله أعلم

* (وأما الزيارة والاستدعاء اليها) * فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار
* لا يمنعنك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

ولتكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال الشاعر فى معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسئل بالايدى اذا هو أمسكا

ويقال الاكثار من الزيارة يمل والاقلال منها مخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت

اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فافضل قرب الدار منا على البعد

وقال آخر

وان مرورى بالديار التى بها * سليمى ولم ألمم بها لجفاء

وقال آخر

قد أتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لى وأقول

وقال آخر

أزور بيوتا لا صقات ببيتها * وقلبى فى البيت الذى لا أزوره

وزار محمد بن يزيد المهلبى المستعين ووهب له مائتى ألف درهم وأقطعه أرضا فقال

وخصصتنى بزيارة أضحى لنا * مجدبها طول الزمان مؤثل

وقضيت دينى وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن فى أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور

عجب ما نحن فيه يا أهل ودى * أنكم غبتم ونحن حضور

فاجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف أى الرسل أنجح قال الذى له جمال وعقل وقيل اذا أرسلتم رسولا فى حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يابنى لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا أبطأ الرسول فقل نجاح * ولا تفرح اذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم) قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذى يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذى يرحم المسلمين رواه ابو يعلى والطبرانى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن أبى بكر

الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى رواه أبو محمد بن عدى فى كتاب الكامل وروينا من طريق الطبرانى عن الشعبى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبرانى انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبدال أمتى لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

(الفصل الثانى فى الشفاعة واصلاح ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما او قمعت به ظالما او اغثت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة ان تعين بجاهك من لا جاه له وعن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءنى طالب حاجة فاشفعوا له لكى تؤجروا ويقضى الله تعالى على لسان نبيه ماشاء وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبرانى فى المكارم وقال على رضى الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكرى لك لا لغيرك وقيل كان المنصور معجبا بحداثة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه فى الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع ان يكلمه فى ذلك فكلمه وقال اعف أمير المؤمنين لا تثقل عليه فى الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى المنصور فقص عليهم القصة فأبوا الا أن يأخذها فقال اقذفوها فى كمى ثم دخل عليه وهو فى الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له أما ترى الى حسنها يا أبا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك باتمام نعمته عليك فيما اعطاك فما بنت العرب فى دولة الاسلام ولا العجم فى سالف الايام أحصن ولا احسن من

مدينتك

مدينتك ولكن سمجتها فى عينى خصلة قال وماهى قال ليس لى فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها فى عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقى عمرك اكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردّهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحق عليك الا أخبرتنى وأعلمتنى بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير الاكرمانا وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت وقال المبرد أتانى رجل لاشفع له فى حاجة فأنشدنى لنفسه

انى قصدتك لا أدلى بمعرفة * ولا بقرب ولكن قد فشت نعمك
فبت حيران مكروبا يؤرقنى * ذل الغريب ويغشينى الكرى كرمك
مازلت أنكب حتى زلزلت قدمى * فاحتل لتثبيتها الا زلزلت قدمك
فلو هممت بغير العرف ما علقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعى اليك الله لا شئ غيره * وليس الى ردّ الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين الفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ما قطعتها عنه شعر

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وما خاب من بالمصطفى يتشفع
الى باب مولانا رفعت ظلامتى * عسى الهم عنى والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبى فكل عبد * يجار اذا تشفع بالنبى
ولا تجزع اذا ضاقت امور * فكم لله من لطف خفى

وروى ان جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى الحياء) قالت عائشة رضى الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ماشئت وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن على عن آبائه يرفعونه من لم يستحى فهو كافر وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه انى لادخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فأحنى فيه صلبى حياء من ربى وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون فى الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا ان الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

(الفصل الثانى فى التواضع ولين الجانب وخفض الجناح) قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة التواضع وقال صلى الله عليه وسلم لا ترفعونى فوق قدرى فتقولوا فى ما قالت النصارى فى المسيح فان الله عز وجل اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فاخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم فى مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان اذا حدث بشئ مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدى بن ارطاة لاياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع فى الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له فى ذلك فقال ان أبى كان جبارا فأحببت ان أتواضع لربى لعله أن يخفف عن أبى تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودى فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يارب قال لانى رأيتك تتمرغ بين يدى فى التراب تواضعا لى وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال أبو مسلم صاحب الدعوة ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من تواضع لله رفعه الله فسبحان من تواضع كل شئ لعزجبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك)

اعلم ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التآلف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس ما تكبر أحد الا من زلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر أفلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال في مشيه فقال جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي وقال الاحنف عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر ومر بعض أولاد المهلب بمالك ابن دينار وهو يتبختر في مشيه فقال له مالك يا بني لو تركت هذه الخيلاء كان أجمل بك فقال أوما تعرفني قال أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بي يعني أتكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية في الكبر يقال انه كان لا ينادم أحدا تكبرا ويقول انما ينادمني الفرقدان وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى أنه قال لغلامه اسقني ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا اكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها لتكسر قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدي واما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بني عبد الدار ألا تأتي الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي وقيل للحجاج بن ارطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى ان يزاحمني البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا وقال لمعاوية أعرض هذه الارض عليه واكتبه له فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له أردفني خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطني نعليك قال ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه ناقعده معه على السرير وحدثه وقال المسرور ابن هند لرجل أتعرفني قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعاونكسا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لأحمق يلوي التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تتهِ
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبهِ

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت)

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبى معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة نزلت فى أبى جهل وعمار بن ياسر والنسب الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر فى الاسلام بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى ألا هل بلغت وقال الاصمعى بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حى يا قيوم لم تنم *
أدعوك ربى حزينا هائما قلقا * فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود فى كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى * فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى * فأين رجائى ثم أين مخافتى *

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهيجهم علينا قلت عبدك الاصمعى سيدى ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا أصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الاخبار النبوية ومحته العقول الذكية الا أن العرب كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا لا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم الاهم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لانى أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة فى الثناء عليها ويقول عند انشادها

أى علم بين جنبى وأى لسان بين فكى وقال الجاحظ لو لم يصف الطبيب مصالح دوائه للمجنون ما وجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع فى رسالته التى سماها اليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولو لم ينحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر فى هذا الباب ان شاء الله تعالى شيأ من نظم البلغاء ونثرهم فى الافتخار ومن تفاخرهم بعون الله وفضله وتيسيره قال أبو بكر الهذلى سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفى يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمر فى باحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال أنشدنى شعرا فأنشده شعرا لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بنى عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقروا له بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بنى تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكنى أحق ببيته منه ومن شعر أبى الطمحان

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
أضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال فيهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن على رضى الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل له عددا من المجرمين فانا ابن على وأنت ابن صخر وأمك هند وأمى فاطمة وجدتك قلة وجدتى خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخملنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله وروى أن معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن على رضى الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن على فقال له معاوية مرحبا برجل تركناه حتى نفدما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية انى قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد جدى من هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفى ذلك يقول على بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع

وله أيضا

انى وقومى من أنساب قومهم * كمجد الخيف من بجوحة الخيف

ماعاق السيف منا ابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلى بن أبي طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعى مفتاحه فقال على ما أدرى ما تقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ماذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عاشرهم فى النار والذى انتسب الى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم فى الجنة قال سلمان الفارسى

أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيى الموتى فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدى فدى الموؤدات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموؤدات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون أنا هام أهل الابطح

وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المروانى من الاندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألستم بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

* اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت له المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام وكان أبو العباس السفاح يعجبه التسمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المقحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر

ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والمحابة والبطحاء ومالا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال المبدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناثير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والمبدن بالمبدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناثيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فأذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا ساسة قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا وقال بشار بن برد يفتخر

اذا نحن صلنا صولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما

وقال السموأل بن عادياء

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لا ينال طويل
وانا أناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن ما في نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول بما قال الكرام فعول
وما حدثت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول
فانا بنو الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حي يفاخرنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤنس الفزع
ونحن الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لو كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم في مطمع طمع
يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بني تميم

أبى لي آل شداد علينا * ومابرحي لشداد فصيل
فان تغمد منا صلنا تجدها * غلاظا في أنامل من يصول

وقال سالم بن أبي واصة

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قمت به * أحمي الذمار وترمي بي الحدق
فما زلقت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

(وأما التفاضل والتفاوت)

فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهما كانا من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه اما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال احمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه * وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت ابا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع وربتهما فقال أشعب فكنت اسفل وكان يعلو حتى بلغت انا وهو هاتين الغايتين وقال ابو العوادل زكريا بن هرون

على وعبد الله بينهما أب * وشتان ما بين الطبائع والفعل
الم تر عبد الله يلحى على الندى * عليا ويلحاه على البخل

وج أبو الاسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبي ربيعة فغازلها فأخبرت أبا الاسود فأتاه فقال

واني لينهاني عن الجهل والخنى * وعن شتم أقوام خلائق أربع
حياء واسلام وتقوى وانني * كريم ومثلي من يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك انني * على كل حال أستقيم وتضلع

وقال ربيعة البرقي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب القيسي اني هجوته * ولكنني فضلت اهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول انا الكبير فعظموني * الا ثكلتك امك من كبير
اذا كان الصغير اعم نفعا * واجلد عند نائبة الامور
ولم يأت الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلو الهمة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله مالا فيذل معروفه وكف اذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم احدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا اني لم أشاتم الا أحد رجلين اما كريم فأنا أحق أن أجله واما لئيم فأنا اولى ان أرفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد ان يكون ملء العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس

فقال الحاجب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم ان لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم امير المؤمنين لأخبرته ان رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب وقال رجل للأحنف بم سدت قومك وما انت باشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وماذاك قال تركي من امرك مالا يعنيني كما عناك من امرى مالا يعنيك وقيل السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادى وعلى الاعداء كالليث العادى وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسى وسوددة انه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزنى الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمتها لامتار منها فلا أله عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ماراية رفعت بمجد * تلقاها عرابة باليمين

(واما علو الهمة فهو أصل الرياسة)

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه فقام رجل وقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبنى ضيعتى فقال المنصور يا عمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ما هو لى بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفنى به أمير المؤمنين ورفعنى واقعد فى أدنى منه لاجل ضيعة وتحدث السفاح هو وأم سلمة يوما فى نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبحتى هذه فان ثمنها خمسون ألف دينار فان هو قبلها علمنا انه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هى من الطرف وهى لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هى لك فرجع الخادم فقال قد وهبها الى فاعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه وأهدى عبيد الله بن السرى الى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف مع كل وصيف ألف دينار ووجه اليه بذلك ليفرده وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وكان سبب فتح المعتصم عمورية ان امرأة من الثغر سبيت فنادت وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما افتحها قال لبيك أيتها المنادية وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل له فى مرضه ان المريض يستريح الى الانين والى شرح ما به الى الطبيب فقال أما الانين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله منى أنينا فاكون عنده جزوعا وأما وصف ما بى الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله فى نفسى ان شاء أمسكها وان شاء قبضها ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير انه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمى الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعوا اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال

يا هذا انك اخترتني جارا واخترت داري دارا فجنايه يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبي على أهله وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه فاجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر ان يسميها وينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكرها اسما ولا نسبا ولكن قال

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب * فلا والذي عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبي حفصة

هم يمنعون الجار حتى كأنما * جارهم بين السماكين منزل

وقال ابن نباتة

ولو يكون سواد الشعر في ذمم * ما كان للشيب سلطان على القمم

وقيل ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وارغاب السجان واستمالته وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين اني ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه واغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الي واستجارني فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين ان لا يخزيني في ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد ان ترسل الي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد ابن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب ابن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبي أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد يتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل * وحكي ان رجلا من الشيعة كان يسعى في فساد الدولة فجعل المهدي لمن دل عليه أو أتى به مائة ألف درهم فأخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فربه

معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا أفعل فأمر معن غلمانه فأخذوه غصبا وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدى بالقصة فأرسل خلف معن فأحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجير على قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت فى يوم واحد فى طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيها طاعتى أفما ترونى أهلا ان تجيروا الى رجلا واحدا استجارنى فاستجرته المهدى وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأى أمير المؤمنين أن يصل من استجارنى فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغى أن تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى أمير المؤمنين ان يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة ألف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لسخط الخلفاء * وكان جعفر بن أبى طالب يقول لابيه يا أبت انى لاستحى ان أطعم طعاما وجيرانى لا يقدرون على مثله فكان أبوه يقول انى لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحى فقالوا نريد جارك فقال انما اذ جعلتموه جارى فوالله لا تصلون اليه وأجاره حتى طار فسمى بجير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات فى معنى ذلك كثيرة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثلاثون فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين)

اعلم ان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وانى والله أحبهم وأحب من يحبهم وأسأل الله أن يميتنى على محبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وان يحشرنا فى زمرتهم وتحت ألويتهم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

انى أحب أبا حفص وشيعته * كما أحب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * وما رضيت بقتل الشيخ فى الدار
كل الصحابة سادا تى ومعتقدى * فهل على بهذا القول من عار

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن فى أحد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدى نبى لكان عمر وقال له النبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق بشيرا ما سلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضى الله عنه قال يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذى بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضى الله عنه

الشام وقف على طور سيناء فأرسل البطريق عظيما لهم وقال انظر الى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته فى قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لا ترى بمحاربة هذا طاقة اعطوه ماشاء * وأما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها اخبرينى من كان أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضى على وقال معاوية لضرار بن حمزة الكنانى صف لى عليا فاستعفى فألح عليه فقال اما اذ فلا بد انه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان والله كأحدنا اذا سألناه وبأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد الله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين فكأنى الآن أسمعه يقول يا دنيا الى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى لقد أبنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزنى عليه والله حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا فى سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك انه صاح على أهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا زبير قال سمعت انك قتلت قال فماذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن أستعرض أهل مكة وروى أخبط بسيفى من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وأعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حوارى ودعا له قال الاوزاعى كان للزبير الف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها ويباع دارا له بستمائة ألف درهم فقيل له يا أبا عبد الله غبنت قال كلا والله انى لم أغبن اشهدكم انها فى سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال من حملك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال اقرئه السلام واعلمه انى لأراه يوم القيامة فى هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذى عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه ويأمرك أن تحبه من هذا الذى

بين يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة ومرت النار على عمار ومر أبو ذر
على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فلم يسلم
فقال جبريل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذي بعثك بالحق
نبيا لهو في ملكوت السموات السبع أشهر منه في الارض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده
في هذه الحطام الفانية وقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن ألف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر السفاح لابي بكر الهذلي بم بلغ الحسن ما بلغ قال
جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنتي عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم
يقلب درهما قط في تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشئ حتى يفعله ولم ينه عن شئ حتى
يدعه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد
الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن وأفصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا
الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها
وأويس لم يملكها فقيل لو ملكها الفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال
أنس في ثابت البناني ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب الفارسي من
أخيار الناس وهو الذي اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألفا كان يخرج المدرة
فيقول يا رب اشتريت نفسي منك بهذه ثم يتصدق بها وكان أيوب السختياني من أزهد
الناس وأورعهم ذكر عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد شهدت منه
مقاما عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم لا أذكر ذلك المقام الا اقشعر جلدي وقال سفيان
الثوري جهدت جهدي على ان أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر
وكان الخليل بن أحمد النحوي من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه
ويبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيأ وكان يحج سنة ويغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن
خارجة جالست ابن عون عشرين سنة فما أظن الملكين كتبا عليه شيأ وروى انه غسل كرز بن
وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو
انشقت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال في العلم والكرم والزهد والورع وحج
وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط في عباد ان أربعين ليلة وختم بها القرآن أربعين ختمة
وتصدق بأربعين ألفا وروى أربعة آلاف حديث وما روى واضعا جنبه قط ووقف عمر بن
عبد العزيز على عطاء بن أبي رباح وهو أسود مفلفل الشعر يفتي الناس في الحلال والحرام
فتمثل يقول * تلك المكارم لا قعبان من لبن * ومن مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم
أجمعين سيدي أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربي أستاذ ابراهيم بن شيبان كان عجيب
الشان لم يأكل مما وصلت اليه أيدي بني آدم سنين كثيرة وكان أكله من أصول العشب
شيأ تعود أكله * ومنهم سيدي فتح بن شحرف بن داود يكنى أبا نصر من الزاهدين الورعين
لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال أحمد بن عبد الجبار سمعت أبي يقول صحبت فتح بن شحرف
ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء ثم رفعها يوما فقال طال شوقي اليك فعجل قدومي

علك وقال محمد بن جعفر سمعت انسانا يقول غسلنا فتح بن شخرف فرأينا مكتوبا على فخذه لا اله الا الله فتوهمناه مكتوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات ببغداد فصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحوا من خمسة وعشرين ألفا الى ثلاثين ألفا * ومنهم سيدى فتح بن سعيد الموصلى يكنى أبا نصر من أقران بشر الحافى وسرى السقطى كبير الشان فى باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن نوح الموصلى رجع فتح الموصلى الى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشونى فقالوا ما عندنا شئ نعشيك به فقال ما بالكم جلوس فى الظلمة فقالوا ما عندنا شئ نسرج به فجعل يبكى من الفرح ويقول الهى مثلى يترك بلا عشاء ولا سراج بأى يد كانت منى فما زال يبكى الى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشى وحده ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت الى أين فقال الى بيت ربى عز وجل فقلت بماذا تحرك شفتيك قال اتلو كلام ربى فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا منى فقلت خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما على نقل الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادى يقينى وراحلتى رجلاى فقلت أسالك عن الخبز والماء قال ياعماه ارأيت لو دعاك مخلوق الى منزله أكان يحمل بك أن تحمل زادك الى منزله قلت لا فقال ان سيدى دعا عباده الى بيته وأذن لهم فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم وانى استقبحت ذلك فحفظت الادب معه أفتراه يضيعنى فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصرى فلم أره الا بمكة فلما رآنى قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين * ومنهم سيدى أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الجبرى صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى وكان يقال فى الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان الجبرى بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله الحلاج بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى الى شئ فسخطته * ومنهم سيدى سليمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع حذيفة المرعشى وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم الغنى من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت فى ذلك فبكى وقال رأيت جوامع الغنى فى التوكل ورأيت جوامع الفقر فى القنوط والغنى حق الغنى من أسكن الله فى قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمته رضا فذلك الغنى حق الغنى وان أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم من كلامه * ومنهم سيدى أبو سليمان ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الدارانى أحد رجال الطريقة قدس الله سره كان من اجل السادات وأرباب الجد فى المجاهدات ومن كلامه من أحسن فى نهاره كفى فى ليله ومن أحسن فى ليله كفى فى نهاره ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من ان يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شئ علامة وعلامة الخذلان

ترك البكاء وقال لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن ابى الحوارى شكوت الى أبى سليمان الوسواس فقال اذا اردت ان ينقطع عنك فاى وقت أحسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه لاشئ أبغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى اجتمعوا اليلا على أبى سليمان الدارانى فسمعوه يقول يارب ان طالبتنى بسريرتى طالبتك بتوحيدك وان طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك وان جعلتنى من أهل النار أخبرت أهل النار بحبى اياك وقال على بن الحسين الخداد سألت أبا سليمان بأى شئ تعرف الابرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه انه قال نمت ليلة عن وردى فاذا حوراء تقول لى أتنام وانا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام * ومنهم سيدى أبو محمد عبد الله بن خفيف من زهاد المتصوفة كوفى الاصل ولكنه سكن انطاكية ومن كلامه لا تغتم الا من شئ يضرك غدا ولا تفرح الا بشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة * ومنهم سيدى أبو عبد الله محمد ابن يوسف البناء أصبهانى الاصل كتب عن سبعمائة شيخ ثم غلب عليه الانفراد والخلوة الى ان خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان فى ابتداء أمره يكسب فى كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق بالباقى ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة فى مسجده خرج الى الجبل الى قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول فى الجبل يارب اما ان تهب لى معرفتك أو تأمر الجبل ان ينطبق على فانى لا أريد الحياة بلا معرفتك * ومنهم سيدى يحيى بن معاذ الرازى قدس الله سره يكنى أبا زكرياء احد رجال الطريق كان اوحد وقته ومن كلامه لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال لكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديق يحتاج الى ان يقال له اذكرنى فى دعائك وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله تشتغل فى أمرك الخلق وقال من كان غناه فى كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه فى قلبه لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروى انه قدم شيراز فجعل يتكلم على الناس فى علم الاسرار فأتته امرأة من نسائها فقالت كم تريدان تأخذ من هذه البلدة قال ثلاثون ألفا اصرفها فى دين على بخراسان فقالت لك على ذلك على ان تأخذها وتخرج من ساعتك فرضى بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت فقالت انه كان يظهر اسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك * ومنهم سيدى يوسف بن الحسين الرازى يكنى أبا يعقوب كان وحيد وقته فى اسقاط التصنع عالما اديبا صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى من كلامه اذا أردت ان تعلم العاقل من الاحمق فخذه بالمحال فان قبل فاعلم انه أحمق وقال اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجئ منه شئ وقال لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب الى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته

يقول أى شئ تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فمت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت فى نفسى جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا فى المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيأ قلت نعم وأنشدته

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت الى وقال يا بنى أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت * ومنهم سيدى حاتم بن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صحب شقيقا البلخى ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأنك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك فى التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتينى بغتة فأنا أبادره وعلمت أنى لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحى منه وسبب تسميته بالاصم ما حكاه أبو على الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسئلة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم ارفعى صوتك وأراها انه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه * ومنهم الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصرى وأبا على الروذبارى وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشدوا فى هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا *
تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك أودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس وقال محبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم وقال اذا سكن الخوف فى القلب لا ينطق اللسان بما لا يعنيه * ومنهم سيدى جعفر بن نصر الخلدى يكنى بابى محمد بغدادى المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روى أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكى بكاء بحرقة فقال لها ما لك تبكين فقالت ثكلى بولدى فانشأ يقول

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * شرابا أمر من الحنظل

وروى أنه كان له فص فوقع منه يوما فى الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا

به عادت فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع على ضالتى وقد روى أنه يقرأ قبله سورة والضحى ثلاثا وروى الحافظ أبوبكر الخطيب فى تاريخه قال ودعت فى بعض حجاتى المزين الكبير الصوفى فقلت زودنى شيأ فقال ان فقدت شيأ أو أردت أن يجمع الله بينى وبينك أو بينك وبين انسان فقل ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع بينى وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ أو الانسان * ومنهم سيدى معروف بن فيروز الكرخى قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو أستاذ السرى وكان أبواه نصرانيين فاسلماه الى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا موجعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أى دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقيل على أى دين فقال على دين الاسلام فأسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يامسكين كم تبكى وتندب أخلص تخلص وقال سرى سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شئ قدروا على الطاعات لله عز وجل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فرأينا صبيان فى زورق يضربون بالملاهى ويشربون فقال له أصحابه أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فادع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا أسألك أن تفرحهم فى الآخرة فقال له أصحابه انما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول للملائكة من هذا فقالوا أنت أعلم يارب قال هذا معروف الكرخى سكر بحبى لا يفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصى هذا فانى أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال أبوبكر الخياط رأيت فى المنام كأنى دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان واذا أنا بمعروف الكرخى بينهم يذهب ويجىء فقلت ياأبا محفوظ مافعل الله بك وليس قدمت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقى حياة لا نفاد لها * قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

* ومنهم قاسم بن عثمان الكرخى يكنى أبا عبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان الدارانى وغيره وكان من أقران السرى والحرث المحاسبى وكان أبو تراب النخشبى يصحبه ومن كلامه من أصلح فيما بقى من عمره غفر له ما مضى وما بقى ومن أفسد فيما بقى من عمره أخذ بما مضى وما بقى وقال السلامة كلها فى اعتزال الناس والفرح كله فى الخلوة بالله عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصى وطلب الحلال وأداء

الفرائض وقال لاصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا قصدوا الله بهممهم فأفردوه بطاعتهم واكتفوا به فى توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الا فيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت فى الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتى لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كان سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كنا فاعتزل بنا لنضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين على كل باب جارية فقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية فى يدها منديل قد هبطت الى الارض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقى باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقى استوهبنى بعض خواص الملك فوهبنى له فسمعتها تقول بأى شئ فاتك هذا يا محروم وأغلقت الباب فأنا يا أخى متحسر على ما فاتنى قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق * ومنهم سيدى أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى كان جليل القدر مالكى المذهب عظيم الشان صحب الجنيد ومن فى عصره وكان بالغ فى تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جد فى الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربى فأنا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع فى الآماق

وروى أنه قال كنت يوما حالسا فجرى فى خاطرى أنى بخيل فقلت مهما فتح الله على به اليوم ادفعه الى أول فقير يلقانى قال فبينما أنا متفكر اذ دخل على شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه فى مصالحك فأخذتها وخرجت واذا أنا بفقير مكفوف بين يدى مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لى ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عادتنا أن الفقير اذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها فى الدجلة وقلت ما أعزك أحدا لا أذلك الله تعالى * ومنهم سيدى زرقان بن محمد أخو ذى النون المصرى صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازى قال بينما أنا بجبل لبنان أدور اذ أبصرت زرقان أخا ذى النون المصرى جالسا على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الى وقال ما حاجتك فقلت بيتا شعر سمعتهما من أخيك ذى النون المصرى أعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكنى أقول

قد بقينا مذهلين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك منانا * واليه فى كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسى فقال رحم الله ذا النون المصرى رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمى زرقان بن محمد أخو ذى النون المصرى وأظن انه أخوه مؤاخاة لا اخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه * ومنهم سيدى أبو عبد الله النباجى سعيد بن بريد كان من أقران ذى النون المصرى ومن أقران أستاذى أحمد بن أبى الحوارى له كلام حسن فى المعرفة وغيرها روى عنه أنه قال أصابنى ضيق وشدة فبت وأنا مفكر فى المسير الى بعض اخوانى فسمعت قائلا يقول لى فى النوم ايجمل بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس * ومنهم سيدى بشر بن الحرث الحافى قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض وروى عن سرى السقطى وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم فى الدنيا مفارقة الاحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لقى رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر ويقول ياسيدى يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله وروى أن امرأة جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت انى امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على فى ذلك شئ فقال يجب أن تتبينى فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذى مات فيه قال له أهله نرفع ماءك الى الطبيب قال أنا بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فألحوا عليه فقال لاختهاد فمى اليهم الماء فدفعته اليهم فى قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصرانى فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق أهل زمانك فى الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو ماء راهب قد فتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافى لان ما فى زمانه أخوف منه قالوا هو ماء بشر فقال انا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا له ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندى نوديت يا بشر ببركة ما مات أسلم الطبيب توفى سنة سبع وعشرين ومائتين * ومنهم

سيدى

سيدى أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أجل المشايخ كبير الشان ومن كلامه مازلت أسوق الى الله تعالى نفسى وهى تبكى الى ان سقتها الى وهى تضحك وسئل بأى شئ وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل له ما أشد ما لقيت فى سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها الى شئ من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبنى فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك يا عبدى فاقول لبيك فقوله لى يا عبدى أحب الى من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بى ما يشاء وقال له رجل دلنى على عمل أتقرب به الى ربى فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فلعله ينظر الى اسمك فى قلب ولى فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفى سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى * ومنهم شيخ الطائفة سيدى أبو القاسم الجنيد بن محمد القوارير شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السرى والمحرث المحاسبى ودرس الفقه على أبى ثور وكان يفتى فى مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة ومن كلامه رضى الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فادب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤى فى يده يوما سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وقال حسن ابن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رأيت ابليس فى منامى وكأنه عريان فقلت له ألا تستحى من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندى ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وأنحلوا جسمى كلما هممت بهم أشاروا الى الله عز وجل فأكاد ان أحرق قال الجنيد فانتبهت من نومى ولبست ثيابى وجئت الى مسجد الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل للشئ تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا فى مسجد الشونيزى أبو حمزة وأبو الحسن الثورى وأبو بكر الدقاق رضى الله عنهم وقال محمد بن قاسم الفارسى بت الجنيد ليلة العيد فى الموضع الذى كان يعتاده فى البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف فى عباءة وهو يبكى ويقول

بحرمة غربتى كم ذا الصدود * ألا تحنو على الا تجود *
سرور العيد قد عم النواحى * وحزنى فى ازدياد لا يبيد
فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذرى فى الهوى ان لا أعود

توفى الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين * وممن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات على ببركته سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالى وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريني المالكى

قدس الله سره ونور ضريحه كان أوحد زمانه فى الزهد والورع قامعا لأهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق عجما وعربا وانتشر ذكره فى البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختاروا ان يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب الا فرج الله كربته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الارض لم يمتع نفسه فى الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من اعدائه وأحبابه يدخل اليه أعدى عدوه فيقبل بشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لألقى المرء اعلم انه * عدوى وفى أحشائه الضغن كامن
فامنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت جملة أهل زمانه عليه وأحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وما حملونى الضيم الا حملته * لانى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر الا أرشده الى الخير ونصحه صحبته رضى الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكأنها من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عنى حتى كنت أظن ان ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة يفيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه ما آربه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الامام مالك امام كبير لم تر له فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكنى أقول كان أوحد عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له فى آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الاول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل فى النزع الى ثلث الليل الاول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيدا حميدا فى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمانمائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف فى أقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حق فيه قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

رضى الله عنه ورضى عنا به ونفعنا ببركته فى الدين والدنيا والآخرة فشرعوا فى تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهنى معى فى تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لى والدا شفيقا وبارا محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضى

الله

الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على اعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أعز وردمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على انه كان قطب اهل زمانه * قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدى سليمان الدواخلى نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التى أنشأها بسندفامع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتى المسلمين سراج الدين ابى حفص عمر الطرينى المالكى فى قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا واياه فى زمرة سيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين ونسأله التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطرينى أدام الله ايامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

* (الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم) *

اعلم ان كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من ان تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم فى زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل * (حكاية) * قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقى مرارا فلم نر للاجابة اثرا فخرجت أنا وعطاء السلمى وثابت البنانى ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وابو محمد السختيانى وحبيب الفارسى وحسان بن ثابت بن ابى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى اذا صرنا الى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للاجابة أثرا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى بالمصلى فلما أظلم الليل اذا أنا بعبد أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى الى كم تردعبادك فيما لا ينفعك أنفد ما عندك أم نقص ما فى خزائنك أقسمت عليك بحبك لى الا ما سقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كافواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحيى مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لى وما يدريك أنه يحبك قال تنح عنى يا من اشتغل عنه بنفسه أفتراه بدأنى بذلك الا لمحبته اياى ثم قال محبته لى على قدره ومحبتى له على قدرى فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال انى مملوك وعلى فرض من طاعة مالكى الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفو أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبى فيهم فقال عودا الى فى غير هذا الوقت فلما اردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره واذا بالاسود

قائم يصلى فقلت حبيبى ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له يعنى هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا غلام ليست له همة فى الليل الا البكاء وفى النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاءه وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد ان تبرئنى من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الىّ وقال يا مولاى الصغير لماذا اشتريتنى وانا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدى انما اشتريتك لأخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذى عارضتك البارحة فى الكلام بالمصلى قال فجعل يمشى حتى أتى الى مسجد فاستأذننى ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى سر كان بينى وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشى أقسمت عليك بك الا ما قبضتنى اليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم فى أخينا ميمون هاكم الكفن فناولنى ثوبين ما رأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فمقبره نستسقى الى الآن ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه (وحكى) عن حذيفة المرعشى رضى الله عنه وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضى الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال على بدواة وقرطاس فأحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار رضختها * فأجر عبدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل نصرانى قال فجئت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتى الساعة فلما كان بعد ساعة أقبل النصرانى راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذى هداك للاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (وحكى) أن

بعضهم كان ملاحا بحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدى من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى ومن الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فبينما أنا ذات يوم فى الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليك فرددت عليه السلام فقال أتحملنى الى الجانب الغربى لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق وعديت به الى الجانب الغربى وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال انى أريد أن أحملك أمانة قلت وماهى قال اذا كان غدوقت الظهر تجدنى عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا الهمت فأتنى وغسلنى وكفنى فى الكفن الذى تجده عند رأسى وصل على وادفنى تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركنى فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما اصبحت انتظرت الوقت الذى قال لى فلما جاء وقت الظهر نسيت فاتذكرت الا قريب العصر فسرت سرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندى جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الى ثم عدت الى الجانب الشرقى وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا أنا بشاب قد أقبل على فحققت النظر فى وجهه فاذا هو من صبيان الملاهى كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم على فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التى عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لابد أن تخبرنى فقال لا أدرى الا أنى البارحة كنت فى عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغنى الى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لاستريح واذا برجل قد أيقظنى وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولى وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها فى الزورق وقال تصدق بها على من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركنى أتحرق وأبكى لما حرمت من ذلك وأقمت يومى ذلك أبكى الى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله فى النوم فقال يا عبدى أثقل عليك أن منحت على عبد خاص بالرجوع الى انما ذلك فضلى أوتيه من أشاء من عبادى وأنا ذو الفضل العظيم (وحكى) أبو اسحق الصعلوكى قال خرجت سنة الى الحج فبينما أنا فى البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة شمشاط كنت فى عزة ورفعة فطالبتنى نفسى بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقيض لى وليا من أوليائه وارجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لى والدة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتنى السباع والهوام وبكين معى وحملوا الى هذه الرياحين التى تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبى واذا بجنية عظيمة فى فمها

باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولى الله تعالى فان الله يغار على أوليائه قال فغشى عليه وغشى على فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعد ما حجمت فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى نادت يا أبا أسحق ما شأن الشاب الغريب الذى مات غريبا فانى منتظرتك منذ كذا وكذا فذكرت لها القصة الى أن قلت لها أشم ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن امرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع شعر

يا نسيما هب من وادى قبا * خبرنى كيف حال الغربا
كم سألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كان عليه فأبى

(وحكى) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمرض بعض الايام بمقبرة فأخذ منها عظما فتفتت فى يده ففكر فى نفسه وقال ويحك يا دينار كأنى بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهى وسيدى ألقيت اليك مقاليد أمرى فاقبلنى وارحمنى ثم اقبل نحو امه متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا أخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف واقراصا من شعير وغلين وافعلى بى كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاى يرى ذلى فيرحمنى ففعلت به ما أراد فكان اذا جن عليه الليل أخذ فى البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار أ لك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بنى ارفق بنفسك فقال دعينى أتعب قليلا لعلى أستريح طويلا يا أماه ان لى غدا موقفا طويلا بين يدى رب جليل ولا أدرى أيؤمر بى الى ظل ظليل أو الى شر مقيل قالت يا بنى خذ لنفسك راحة قال لست للراحة أطلب كأنك يا أماه غدا بالخلائق يسافون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فاخذ فى البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ فى بعض الليالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكى حتى أغشى عليه فجاءت أمه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبى وقرة عينى أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا أماه ان لم تجدينى فى عرصات القيامة فاسألى مالكا خازن النار عنى ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادى أيها الناس هلموا الى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض اصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر فى الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ويقول وعزته وجلاله سألنى ورحمنى وغفر لى وتجاوز عنى ألا اخبروا عنى والدتى بذلك * وحكى عن الحسن البصرى قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فاخبر الناس بذلك فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن فى المحراب مكتوبا عليه هذا

الكفن مردود عليكم بئس القوم انتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من احبابنا لا نكله الى غيرنا (وحكى) أبو على المصرى قال كان لى جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثنى باعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءنى شاب فى بعض الايام مليح الوجه حسن الثياب فقال لى اتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفنى على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هى أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهى تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فدخلت الدار واذا انا بالشاب الذى جاءنى يعالج سكرات الموت وروحه فى لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم اجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولى من اولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فاخذت فى غسله وانا ارتعد فلما ادرجته اتت الجارية وهى اخته فقبلته وقالت أما انى سألحق بك عن قريب فلما اردت الانصراف شكرت لى وقالت ارسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه انت فارتعدت من كلامها وعلمت انها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلى فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتى واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتى وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

شعر

أحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الانيسة فاستوت * رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومى فعينى لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعى بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يرانى نساما خليلى يظن بى * سرورا واحشاى السقام ملاها
وكم ضحكة فى القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله اياما بطيب حديثكم * تقضت وحياه الحما وسقاها
فما قلت ايها بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبى آها

(وحكى) سرى السقطى رحمه الله تعالى قال أرقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما أصبحت دخلت المارستان فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهى تقول

تغل يدى الى عنقى * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد * أحس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ماهذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما جننت ولكن * انا سكرانة وقلبى صاحى
لم غللتم يدى ولم آت ذنبا * غير هتكى فى حبه وافتضاحى
انا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح
ما على من احب مولى الموالى * ارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت ياسرى هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هى تكلمنى اذ جاء سيدها فلما رآنى عظمنى فقلت والله هى احق منى بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها فى الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها مغنية قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود فى حجرها يوما فجعلت تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا * فكيف أقر ياسكنى وأهدا
فيا من ليس لى مولى سواه * تراك رضيتنى بالباب عبدا

فقلت لسيدها أطلقها وعلى ثمنها فصاح وافقراه من أين لك عشرون ألفا ياسرى فقلت لا تعجل على فقال تكون فى المارستان حتى توفينى ثمنها فقلت نعم قال سرى فانصرفت وعينى تدمع وقلبى يخشع وأنا والله ما عندى درهم من ثمنها فبت طول ليلتى أتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل على رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفنى ياسرى قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بى هاتف وقال لى يا أحمد هل لك فى معاملتنا فقلت ومن أولى منى بذلك فقال احمل الى سرى السقطى خمس بدر من أجل الجارية الفلانية فان لنا بها عناية قال سرى فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى ان * عل من حبك صبرى
ضاق من غلى وقيدى * وامتهانى منك صدرى
ليس يخفى عنك أمرى * يامنى قلبى وذخرى
أنت قد تعشق رقى * وتفك اليوم أسرى

قال سرى فبينما أنا أسمعها واذا بمولاها قد جاء وهو يبكى فقلت لا بأس عليك قد جئتك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت تزيدك قال والله لو أعطيتنى ما بين الخافقين ما فعلت وهى حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالامس فقال حبيبى لا توبخنى فالذى وقع لى من التوبيخ كفانى وأشهدك انى قد خرجت من جميع مالى صدقة فى سبيل الله تعالى وانى هارب الى الله تعالى فبالله لا ترددنى عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكى فقلت ما يبكيك قال يا أستاذى ما قد انى مولاى لما ندبنى اليه ورد على ما بذلت أشهدك أنى قد خرجت من جميع ما أملكه لله تعالى فى سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية احرار لوجه الله تعالى قال سرى فقلت ما أعظم بركتك يا جارية قال فنزعنا الغسل من عنقها والقيد من رجلها واخرجناها من المارستان فنزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة من شعر وولت قال سرى فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال الى مكة فبينما نحن نطوف اذ سمعنا صوتا فتبعناه فاذا هى امرأة كالخيال فلما رأتنى قالت السلام عليك ياسرى فقلت لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك

بعد المعرفة فتأملتها فاذا هى الجارية فقلت لها ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت أنسى به ووحشتى من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهى كم تخلفنى فى دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفنا هما فى قبر واحد شعر

بحرمة ما قد كان بينى وبينكم * من الود الا ما رجعتم الى وصلى
ولا تحرمونى نظرة من جمالكم * فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلى
فوالله ما يهوى فؤادى سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

(وحكى) انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور فى بعض الايام فأزال الله عنه سحابته وحجب اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال يشتاق الى زمن الكرامة ويبكى ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالى فصلى ماشاء الله وبكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له فى المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك سحابتك فائت الملك الفلانى فى بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض حتى وصل الى تلك البلد التى ذكرت له فى المنام فدخلها وسأل من يرشده الى قصر الملك فجاء الى القصر واذا عند بابه غلام جالس على كرسى عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدى الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتى لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد فى الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتى ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد دائر وأقام يعبد الله تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذى يجلس فيه الملك جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس فى الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وأنظر فى أمرك قال فتحير صاحب السحابة فى أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه الى قصره ثم مشى به فى ذهليز القصر فلم يجد فى طريقه الا مملوكا واحدا فسار به حتى انتهى الى باب من جريد واذا به بناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش وليس هناك ما يساوى عشرة دراهم الا سجادة خلقة وقدح للوضوء وحصير رثة وشئ من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يا فلانة قالت

لبيك قال أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بها لحاجة فخرجت فاذا هي امرأة كالثلج البالي عليها مسح من شعر خشن وهي شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الي الملك وقال يا أخي نطلعك على حالنا أو نقضي حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم انه كان لي في هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بغض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح في الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديد شمل الدين فما يعوني وأنا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيأ وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح ارهابا لاهل الشرور وردعا عن أهل الخير وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذي رأيته يوصلني الى هذه الخربة فأدخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتي هذه التي رأيتها وهي ابنة عمي زهدت في الدنيا كزهدي واجتهدت حتى صارت كالثلج البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم اني أقمت لي نائبا ينوب عني طول الجمعة وعملت أني مسؤل فجعلت لي يوما في الجمعة أبرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خوصاتنا ونبتاع من ثمنها طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسي العمر فأخذ ما عملاه من خوص وساربه الى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقي ثمنه خرصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما فقاما في نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وأنك قد دللته علينا اللهم اردد ها عليه انك على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لي لك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معي كما كانت فأنا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى لسرهما شيأ الا أعطاني اياه رحمة الله تعالى عليهما شعر

أستعمل الصبر تجني بعده العسلا * ولازم الباب حتى تبلغ الامـلا
ومرغ الخد في أعتابه سحرا * واجهد لمرضاته في الحب كل بلا
فما يفوز بوصل يا أخي سوى * صلب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادي في الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعي قد وصلا

(وحكي) عن مالك بن دينار رحمة الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد

بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله انى لاخشى ان أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل فانه حليم اذا غضب رضى واذا رضى لم يغضب واذا وعد وفى ومتى توعد عفا فقال يا شيخ أتشير على بالتلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعى بين يديك فاقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لى شئ اتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه (وحكى) انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبى عبد الله الاندلسى وكان شيخ الكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج فى بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلى فلم نزل فى خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى ان وصلنا الى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا نذور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر فى آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلادة الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدلها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تجعلها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدى الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى فتقدمت اليه وقلت له يا سيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا أن الجارية التى رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلى فقلت له يا سيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريدك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم اعلموا ان القلم بما حكم ووقعت فى بحار العدم وقد أنحلت عنى عرى الولاية وطويت عنى أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى ان يحيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ان يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق وعم الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فاتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه فى البرية يرعى الخنازير فقلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فابى أن

يزوجها الا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير
ففعل ذلك كله وهاهو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت
بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه
قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام الى
المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا ياشيخ ماذاك وماذا وماهذه الكروب والهموم
بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخواني وأحبابي ليس لي من الامر شئ سيدي تصرف
في كيف شاء وحيث أراد أبعدني عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فاحذر الحذر
يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم
رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكي وينادي
ياشبلي اتعظ بغيرك فنادى الشبلي بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك
التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا امر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت
الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة
واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء
شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك ان ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد
استرعيت الخنازير بعد ان كنت أرعى القلوب فقلت ياشيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه
بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم
من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة
أيام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما
رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم اعطوني ثوبا طاهرا فاعطيناه
ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي رد عليك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى
لك وكيف كان أمرك فقال ياقوم لما وليتم من عندي سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاي
أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وبستره غطاني فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من
سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ما قدر هؤلاء
عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست
بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا
وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة
للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك
زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن
جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت
من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذي تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية

الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت تخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه قال أغمضي عينيك وأعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضي الى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له أن أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغيرلونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمه الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة)

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمر وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يابني كذب من قال الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احداهما الاخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عرى من خلة التقوى ومحى عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لدعائم دينه مضيع ولدواعي شيطانه مطيع شعر

كأنه التيس قد أودى به هرم * فلا لحم ولا صوف ولا ثمر

وقيل من فعل ما شاء لقي ما ساء وقيل زنى رجل بجارية فاحملها فقالوا له ما عدوا الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام وقيل لاعرابي كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي اذ ذاك بلذة المخاسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهي

تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت ياسيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى من قعود ويشمنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لأكثر الله فى المسلمين مثله وكانت ظلمة القوادة وهى صغيرة فى المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشرى رحمه الله أقمت بقمار سنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود القمارى كما ينسب الى عندل قال مسكين الدارمى

ولا ذنب للعود القمارى انه * يحرق ان نمت عليه رواتحه

وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما عهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم أديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم (ماجاء فى الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت وفى ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديد اى وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لو دق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا باستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لى من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافرا للاشهب

وقال آخر

اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب فى الامور كما يشاء

وقال أنوشروان أربعة قبائح وهى فى أربعة أقبح البخل فى الملوك والكذب فى القضاة والحسد فى العلماء والوقاحة فى النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكونن فى الامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال على رضى الله عنه اذا هبت أمرا فقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضى الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال حكيم لا يخرجن أحد من بيته الا وقد أخذ فى جره قيراطين من جهل فان الجاهل لا يدفعه الا الجهل أراد السفه قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له اى من لا سفيه له يدفع عنه وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالس اذ جاء اعرابى فلطمه فقام اليه واقد بن عمر فجلد به الارض فقال عمر ليس بعزيز من ليس فى قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا * أخا الحلم مالم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح

اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الاحنف بن قيس

وذى ضغن أبت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال
ومن يحلم وليس له سفيه * يلاق المعضلات من الرجال

وقال آخر

فان كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج
ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج *
فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج *

وقال آخر

فان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الاجواد وأحاديث الاجواد)

اعلم أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف فى وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (فمن الايثار ما حكى) عن حذيفة العدوى أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فاشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الى ابن عمى أن انطلق اليه واسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فاشار الى ان نعم فسمع آخر يقول آه فاشار الى أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات (ومن عجائب ماذكر فى الايثار) ما حكاه أبو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بمروظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فاحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالى لو لا أم لى وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له فى رقعتى الجلد وليس لى أم فخذ أنت رقعتى وأعطنى رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل وقيل لقيس

ابن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا أطعم ضيفاني البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطروه ويفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال أكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم مالم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال علي رضي الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس في فضله فقال صدقت وكان أسماء بن خارجة يقول ما أحب ان أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضي وكان مورق العجلي يتلطف في ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها في حل وقال الحسن رضي الله عنه باع طلحة بن عثمان رضي الله عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدري ما طارقه لغير بر بالله تعالى ثم قسمه في المسلمين ولما دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتني فاقة فقالت ما عندي شيء فلو كان عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها اليه في أثره فأخذها ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبد الله رضي الله عنه جاء اليه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطي بمكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة الف درهم يراح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زياد بن جرير

رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف فى مجلس وانه ليخيط ازاره بيده وذكر الامام أبو على القالى فى كتاب الامالى أن رجلا جاء الى معاوية رضى الله عنه فقال له سألتك بالرحم التى بينى وبينك الا ما قضيت حاجتى فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فأى رحم بينى وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم مجفوة والله لا كونن أول من وصلها ثم قضى حاجته وروى أن الاشعث بن قيس أرسل الى عدى بن حاتم يستعيره منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها مالا وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكى من الاجواد لم يناول أحدا شيأ وانما كان يطرحه فى الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فعرض على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال له ما هذا أعناك على الدهر فقال لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب فى حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكانى وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال على دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار يبكى فقالت له زوجته هلا تعللت حيث شقت عليك الاجابة فقال انما أبكى لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج الى ان سألنى ويروى أن عبد الله بن أبى بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب ولتأخذه بعض غلمانكم فانى امرأة غريبة مات زوجى منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال ياغلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بى فقال ياغلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال ياغلام احمل اليها ثلاثين ألفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضى الله عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحى والكسوة فى الاعياد ويعتق فى كل عيد مائة مملوك رضى الله عنه ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه فى العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع غنى الاخوان من الزيارة ثم أمر منادا ينادى من كان لقيس عنده مال فهو منه فى حل فكسرت عتبة بابه بالعشى لكثرة العواد وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سماعها ينكرها البعد عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم فى كل سنة فيفرقها فى الناس ولا يرى الا وعليه دين وسمن رجل بهيمة ثم خرج بها ليبيعها فمر بعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال ياصاحب البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هى لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا واذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة تحملا وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه

جميع ذلك واعتذر اليه رضي الله عنه ولما مات معاوية رضي الله عنه وفد عبد الله بن جعفر
على يزيد ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطيني ألف
ألف فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف فقال بأبي وأمي أنت فقال ولهذه ألف
ألف فقال أما اني لا أقولها لاحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين
لرجل واحد فقال والله ما أعطيته الا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم
لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين وخرج رضي
الله عنه هو والحسنان وأبو حية الانصاري رضي الله عنهم من مكة الى المدينة فأصابتهم
السماء بمطر فلجؤا الى خباء أعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح
لهم الاعرابي شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج
الاعرابي بعد سنين فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال قد نسيت
أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقي سيدنا الحسن رضي الله عنه فأمر له
بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم أتى الحسين رضي الله عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فأمر
له بألف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال كفاني اخواني الابل والشياه فأمر
له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا حية رضي الله عنه فقال والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن
اثتني بابلك فأوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار في عقب الاعرابي من ذلك اليوم وقال الحسن
والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم انك قد أسرفت في بذل المال فقال بأبي أنتما
ان الله عز وجل عودني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع
العادة فيقطع عني المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له
رجل مثل هذا الاسود تعطي له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد
استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثياباتبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى
وثناء يبقى وخرج عبد الله رضي الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل
لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام
فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال
ياغلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ماهي بأرض
كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال
أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا الاسخى مني فاشترى
الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من
النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لي فهو في سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك
منه فقال يجود هذا وأبخل انا لا كان ذلك أبدا وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
من الاجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا
وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدك قال رأيتك واقفا بفناء زمزم
وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائي حتى شربت فقال
أجل اني لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال

دفعها اليه وما أراها تفى بحق يده وقدم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما على معاوية مرة فاهدى اليه من هدايا النوروز حلالا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل فى نفسك منها شئ قال نعم والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام فضحك عبد الله وقال خذها فهى لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد على قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم وحبس معاوية عن الحسين بن على رضى الله عنهما صلاته فقيل له لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بحر ألف ألف فقال الحسين وأنى تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لبن المهادر فيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره انى شاطرته فان كفاه والا احمل اليه النصف الثانى فلما أتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمى وما حسبت انه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لى فى هذه الليلة مولود وانى سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك فى الهبة وأجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لابيه مائتى دينار ليتفقها على تربيته ثم قال للانصارى عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش بؤس وفى المال قلة فقال الانصارى جعلت فداءك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب وقال أبو جهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

يقينا ما نخاف وان ظننا * به خبرا أراناه يقينا
نميل على جوانبه كأنا * اذا ملنا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فامر له بمائة ألف درهم وأنشده عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال
ولم أر فى الخطوب أشد وقعا * وامضى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

فاعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تزعم انى لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال الحسن أو عجبا مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا

محمد الا ما أخبرتنى كم عليك دينا قال مائة ألف درهم فقال ياغلام اعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضى بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فاقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

اياجود معن ناج معنا بحاجتى * فليس الى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فأتى به فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وتفكر فى نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساء والله ظنه ولقد هممت ان أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد فى دياره * من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت نائله
تعود بسط الكف حتى لو أنه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن

دعينى أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله أخبار فى الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير ان رأيت أن تأذن لى فاصحبك قال اذا قدمت واسطا فائتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأتيته فقال لى بعض اخوانى اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت الى يزيد وقال ايه ياعقيل فقلت

أفاض القوم فى ذكر الجوارى * فاما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلى اذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت ان تأذن لى فى الرجوع فأكبت عدوى وأسر صديقى فقال انما أخيرك بين

خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغنني أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله مالا أقدر على وصفه وحدث أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضي الى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال اعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما اتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضرت بالمروين بعدك عود
وما السرور بعد عزك بهجة * وما الجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ويحي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فاخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الجنوب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا وراحلة كثيرة فقلت أبياتا في شكره فلما بلغت قولي

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن اطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضياع تقوم بالف ألف وقال أبو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن أبي داود أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة * ولا يمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد

ومابال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا يابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لاصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضى الله عنه أعرابى فقال ياأمير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى أن أذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير فقال ياقنبر اكسه حلتى فقال الاعرابى

كسوتنى حلة تبلى محاسنها * فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة * وليس تبغى بما قد متعه بدلا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه * كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لاتزهدن الدهر فى عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

فقال ياقنبر زده مائة دينار فقال ياأمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضى الله عنه صه ياقنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكر والمن أثنى عليكم واذا أنا كم كريم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جدعان

انى وان لم ينل مالى مداخلتى * وهاب ماملكت كفى من المال
لاأحبس المال الاحيث أنفقه * ولا يغيرنى حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يابنى لاتزهدن فى معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا ماليه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ماجاء للخير طالب
ولاتمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لاتدرى متى أنت راغب

وقال بعضهم

أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسى
وامنحه فرشى وأفترش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسى
حذار أحاديث المحافل فى غد * اذا ضمنى يوما الى صدره رمسى

وقال يحيى البرمكى أعط من الدنيا وهى مقبلة فان ذلك لاينقصك منها شيأ وأعط منها وهى مدبرة فان منعك لايبقى عليك منها شيأ فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لاتبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يابنى مادام قلمك يرعد فأمطر معروفا وقال بعضهم

لاتكثرى فى الجود لائمتى * واذا بخلت فاكثرى لومى
كفى فلست بحامل أبدا * ماعشت هم غدا الى يومى

وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه لاتستحى من عطاء القليل فالحرمان أقل منه وسئل

اسحق الموصلى عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالى أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبى جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين على فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى شهوات الى سليمان ابن عبد الملك وقال قد هجانى يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت انى أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتى دينار وقد أتيتك فقال لى بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالى فقال يا جارية هاتى مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لى فى كل زاوية مائتى دينار فخرجت وأنا أقول

* أبا خالد أعنى سعيد بن خالد * أخا العرف لا اعنى ابن بنت سعيد
* ولكننى أعنى ابن عائشة الذى * أبو أبويه خالد بن أسيد *
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
* ذروه ذروه انكم قد رقدتمو * وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب كلثوم بن عمرو الى بعض العمال رقعة فيها

اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال بل اجعله ذخرا الى واجعل الله ذخر الولدى وقسمه بين ذوى الحاجات وكان ابن مالك القشيرى من الاجواد قيل انه أنهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

يا خال ذرنى وما لى ما فعلت به * وخذ نصيبك منه اننى مودى *
فان أطعتك الا أن تخلدنى * فانظر بكيدك هل تسطيع تخليدى
المجد لا يشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود *

وقال المهلب عجبت لمن يشترى المماليك بماله كيف لا يشترى الاحرار بفعاله ونزل بأبى البحترى وهب بن وهب القرشى ضيفا فسارع عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فانكر ذلك عليهم فقالوا نحن انما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل ووفدت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت فيه

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لا تقولى غلام ولكن قولى همام يا غلام اعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها تمها فجعلها بلانا وقال أبو الفياض الطبرى

والعرض ضيف لا يراه بر به * من لا يرى بذل التلاد تلادا

والجود أعلى كعب كعب قبلنا * فمضى جوادا يوم مات جوادا

وقال آخر

أيقنت أن من السماح شجاعة * وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينها ياقوت وجواهر انفقت عليه مائة ألف الف دينار وثلاثين ألف دينار وسألته أن يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال احمد بن حمدون فقال لي ولاترجة الهاشمي اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورأيناه فوالله مارأينا في الدنيا شيأ أحسن منه ولا شيأ أحسن منا الا وقد عمل فيه فمددت أنا يدي الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته في كمي ثم جئناه فوصفنا له حسن مارأيناه فقال اترجة يا أمير المؤمنين انه قد سرق منه شيأ وغمزه على كمي فأريته الغزال فقال بحياتي عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما فمضينا فلا أنا أكما منا وأقمنا وأقمنا وأقمنا نمشي كالحبالى فلما رآنا ضحك فقال بقية الجاسوس ونحن فاذنبنا يا أمير المؤمنين فقال قوموا فخذوا ماشئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك وانظر يزيد المهلبي سطلا من ذهب مملوأ مسكا فأخذه بيده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم أن ينتهبوا الباقي فانتهبوه فوجهت اليه أمه تقول سر الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فانني أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله بالاول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هي لك فقال

يا طلح أنت أخو الندى وعقيده * ان الندى مامات طلحة ماتا
ان الندى ألقى اليك رحاله * فبحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الاعجم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف دينار فقال

ان السماحة والمروأة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

وقال زدني فقال كل شيء وثمنه ووفد أبو عطاء السدي على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له فأنزله وأحسن اليه وقال ماعندك يا أبا عطاء فقال وماعسى أن أقول وأنت أشعر العرب غيرانى قلت بيتين قال هات ماقلت فقال

يا طالب الجود اما كنت تطلبه * فاطلب على بابه نصر بن سيار
الواهب الخيل تغدو في أعنتها * مع القيان وفيها ألف دينار

فاعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيأ فبلغ ذلك نصرا فقال باله قاتله الله من سيد ما أضخم قدره ثم أمر له بمثله وقال العتبي أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذا هو باعرابي يرقل قلوصه فقال عمرو لحاجبه ان أرادني هذا

الاعرابى فأوصله الى فلما وصل الاعرابى سأله الحاجب فقال أردت الامير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ما حاجتك فانشد الاعرابى يقول

أصلحك الله قل مابيدى * ولا أطيق العيال اذ كثروا

أناخ دهرى على كلكله * فارسلونى اليك وانتظروا

فاخذت عمرا الاريحية فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الى وانتظروا اذن والله لا تجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بالف دينار * وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن فى ذلك فقال أنفذه فابقى الانفاذه وان خروج المال أحب الى من الاعتذار فاستشرفه الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وأنا أردت شيأ وأراد الجواد الكريم أن يعطى عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وأمره النافذ * ووقف اعرابى على ابن عامر فقال يا قمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بى الحاجة وأكدت بى الآمال الا بفنائك فامنحنى بقدر الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة فأمر له بمائتى ألف درهم وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته انى اذا للئيم

فقال أوقات دراهم خالد احملوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحائبك * ولما عزل عبد الرحمن ابن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكائى جزعا من العزل ولا اسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلى أمرها من لا يعرف لها حقها * وأراد الرشيد أن يخرج الى بعض المتفرجات فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك وكلائنا من الاموال قال سبعمائة ألف درهم قال فاقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور ابن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت أن رجاء توهم انا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا اليه فى وجهنا هذا فقال منصور أنا أستخبر لك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدى كما قبلت يده فلا تقل له شيأ فقد تركتها له * وقيل ان الرشيد وصل فى يوم واحد بألف الف وثلثمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور فى يوم واحد لبنى هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ما ذكر * وعن الاخفش الصغير قال كان أسد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأثبتهم جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية يتنفل لاهله فربه عميلة الفزارى فسلم عليه وقال ما أصارك يا عم الى ما أرى فقال بخل مثلك بماله وصون وجهى عن مسئلة الناس فقال والله لئن بقيت الى غد لاغيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام فى جنح ليل قال فكأنما ألقمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء ويأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ما هذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فانشأ يقول

رآنى على مابى عميلة فاشتكى * الى ماله حالى فواسى وماشعر
ولما رأى الجد استعارت ثيابه * تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سيماء لاتشق على البصر
كأن الثريا علقت فى جبينه * وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

وكان عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأ تقول

هنيأ لك المال الذى قد قبضته * ولم يبق فى كفى غير التحسر
ابوء بحزن من فراقك موجع * أناجى به صدرا طويل التفكر

فاجابها يقول

ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى
* عليك سلام لازيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشمقمق الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال ظالما * قدم الزمان عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بارض اقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم واذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام فى تلك السنة واسقاط ماعليه من البقايا وامر له بمائة ألف درهم معونة له على مروأته * وقال أبو العيناء حصلت لى ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضى فقال ان امير المؤمنين المأمون جلس للظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب *
ان لم يكن لى أسباب أعيش بها * ففى العلا لك أخلاق هى السبب

فقال بالسلامة انظر اى شئ فى بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ أبو العيناء يقول

شأن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها فى الشهر الف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ فى دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما يا ايها الامير انى اطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان اليد تمتد الى وفيها الحناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفاعطى ام ارد قال فاطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا ترددها * وقال سلمة بن عياش فى جعفر بن سليمان

وماشم أنفى ريح كف شممتها * من الناس الا ريح كفك أطيب

فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا مضيافا فتغدى عنده أعرابى يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس فى الدخول على هيئتهم بالامس فقال أوكل يوم يطعم الامير الناس قالوا نعم فانشأ يقول

كل يوم كأنه عيد اضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر

وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يمدها الف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقى فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة ان يخجل الفتى فذكر أن اباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله أن يكتب له كتابا الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لا ادعك تقاسى الذل على أبوابهم * ودخل رجل على على بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم وبنبيه الكريم الا ما اجرتنى من خصمى فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فاطرق الوزير ساعة وقال قد امرت لك بمائة ألف درهم فاخذها وانصرف فبينما هو فى الطريق اذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم وبنبيه الكريم متى أتاك خصمك معنفا فارجع البنا مترضما * وقال الاعمش كانت عندى شاة فرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد اجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى) أبو قدامة القشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فاتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فامر له بفرس ابلق كان مجببا به وبمائة دينار وخلعة سنية فاخذها وانصرف (وحكى) ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك ان تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام واتم نحره وقطع لحمه وطبخوه واكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى

ودم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب المعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الممت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته * وروى عن الهيثم بن عدى أنه قال تمارى ثلاثة نفر فى الاجواد فقال رجل أسخى الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعد بن عبادة فقال الآخر بل اسخى الناس اليوم عرابة الاوسى فتنازعوا فقال لهم رجل لقد أفرطتم فى الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى نتظر بم يعود فنحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله فى ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به قال فانزل رجله وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما فى الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما فى دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك قبل ان قيس لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها ولولم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت تفعله فخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

واذا ما اختبرت ود صديق * فاختبر وده من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما اصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شئ ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذى يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ وان شئت فاعتق فاخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لانه أعطى على جهد * قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فانشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا اننا العبيد
فقلت ومن مولا كما فتطاولا * الى وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زد تنازدناك فانشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق عمناه الندى وشمائله
هو البحر من أى الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسط الكف حتى لوانه * دعاها القبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زد تنازدناك فانشد يقول

تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى * وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب

وأنت ريشا فى الجناحين بعدما * تساقط منى الريش أوكاد يذهب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال ياغلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبى ما أخذت وانصرف * وأما الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية فهم حاتم بن عبد الله الطائى وهرم بن سنان وخالد بن عبد الله وكعب بن مامة الايادى وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم أشهرهما فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء فى المفازة ومات عطشا وليس له خبر مشهور وأما خالد بن عبد الله فانه جاءه بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشده يقول

ياواحد العرب الذى * ما فى الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

فقال ياغلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف وأما حاتم فاخباره كثيرة وآثاره فى الجود شهيرة ويكنى أبا سفانة وأبا عدى وكان يسير فى قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدى يعادى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث النبى صلى الله عليه وسلم علما الى طيء فهرب عدى باهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى بها الى النبى صلى الله عليه وسلم قالت يامحمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فان أبى كان سيد قومه يفك العانى ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد فى حاجة فردّه خائبا أنا بنت حاتم الطائى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته فى الدعاء له فأذن لها وقال لاصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا فى ردّها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له ياأخى ائت هذا الرجل قبل ان تعلقك حبائله فانى قد رأيت هديا ورأيا يغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبنى رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم وانى أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تذل فى عز اليمن فقدم عدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبى صلى الله عليه وسلم على الارض فأسلم عدى بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يابنية ان الكريمين اذا اجتمعا فى المال أتلفاه فاما ان اعطى وتمسكى واما ان أمسك وتعطى فانه لا يبقى على هذا شئ فقالت له منك تعلمت

مكارم الاخلاق قال ابن الاعرابى كان حاتم الطائى من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غالب واذا سئل وهب اذا سابق سبق واذا أسر أطلق وكان اذا أهل رجب الذى كانت تعظمه مضر فى الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال فى الجاهلية وكان طلاقهن ان يكن فى بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حولته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته الى المشرق وان كان من قبل اليمن حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقى حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده ياعدى ما ترى ما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فأخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبى الى ابن عمى مالك وقولى له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فأرسل الينا شيئا نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظرى الى جمله وخفه فان شافهك بالمعروف فاقبلى منه وان ضرب بلحته على زوره ولطم رأسه فأقبلى ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت له انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحته وقال اقرئيها السلام وقولى لها هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما لاجله وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبى الى حاتم وقولى له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل الينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فأطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذى طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شئ فقال لها ويحك ياماوية الذى خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها فى بقاع الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه فى سنة مجدبة (حكى) أن ملكان ابن أخى ماوية قال قلت لها يوما يا عمة حدثينى ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخى أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذنى وإياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فأقبل على يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى أنام فرفقت به لما به من الجوع فأمسكت عن كلامه لينام

فقال لى أنمت فلم أجبه فسكت ونظر فى فناء الخباء فاذا شئ قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ماهذا فقالت يا أباعدى أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها أحضرى صبيانك فوالله لاشبعنهم فقامت سريعة لاولادها فرفعت رأسى وقلت له ياحاتم بماذا تشبع أطفالها فوالله ماناموا صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقال والله لاشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعى واشوى وكلى وأطعمى صبيانك فأكلت المرأة وأشبعت صبيانها فأيقظت أولادى وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا لهو اللؤم تأكلون وأهل الحى حالهم مثل حالكم ثم أتى الحى بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الارض منها قليل ولا كثير الا العظم والحافر ولا والله ماذاقها حاتم وانه لاشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أما ترى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طئ فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى فى جيشه وأهل عشيرته ولقى القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم ياحاتم هب لى رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ماجواب من يقول هب لى ولما مات عظم على طئ موته فادعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما وضعته فى والله سبعة أيام لارضع حتى ألقمت احدى ثدىّ طفلا من الحجر أن وكنت أنت ترضع ثديا ويدك على الاخرى فانى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندى ما عاش حاتم طئ * وان مات قامت للسخاء مآتم

وكانت العرب تسمى الكلب داعى الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يحلب من الاضياف بنباحه والضمير الغريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالى الحى وربطوها الى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدى الضلال وتأتى الاضياف على نباحها والحكايات فى ذكر الاجواد والكرماء والاسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففى مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيأ يبقى على ممر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك فى القيامة كما ادخروا واعلم أن المأكول للبدن والموهوب للعادو المتروك للعدو فاختر أى الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والثلاثون فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم)

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخل جامع لمساوى القلوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء قالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما ان البخل لو كان قصاما لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلى وخالد بن صفوان فاما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فاشار الى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها وأما حميد الارقط فكان هجاء للضيفان فجاشا عليهم نزل به مرة اضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه وأما أبو الاسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعمنا المساكين فى اموالنا كنا أسوأ حالا منهم وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه باعبارك تعبر وكم تطوف وتطير لا طيلن حبسك ثم يطرحه فى الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهمى جمعت المال ثم خزنته * وخانت وفاتى هل أزاد به عمرا
اذا خزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل بن هرون كتابا فى مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبى فنن

ذرينى وأتلافى لمالى فانى * أحب من الاخلاق ما هو أجمل
وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدى بخيلا جدا أصابه القولنج فى بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما فى بطنه فى الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحمادى فى طريقه الى الحج فحدثه يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه شوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله الجمل ثم قال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فازلت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدو له فى ذهابه وايابه بغير مؤنة * وكان أبو العتاهية ومروان بن أبى حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لى المهدى فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه فى القدر دعا صديقه فردا اللحم على القصاب

بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فاضافته فقال ان وهب لى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا فى سفر أن يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها فى خيط ويجمعون اللحم كله فى قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من أشجع الناس قال من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء ابرا وجاء يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر ما أعاره اياها فكيف يكسونى وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبى بخيلا جدا مدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا وقال دعبل كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فاتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لأكره من يرمى برجله فكيف برأسه ويحك اما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لا آكله أما قلت عنده من يأكله انظر فى أى مكان رميته فأتنى به فقال والله لا أدرى أين رميته فقال لكنى أنا أعرف أين رميته رميته فى بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم فى أبى دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف
أبو دلف لمطبخه قتار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزى صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدافع الآلام اذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يحلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فخلا صدره ووجد به يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويحلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دوائك وغذائك فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من اهل خراسان ليلا فاتانا بسراجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشانا ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل

علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أمامس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين وقال الهيثم بن عدي نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاده * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنه فقال لما ما أكثر السؤال في هذا المكان قالت يا أبت ما دمت مسمكا لهم بهذه الكلمة فما تبالي كثروا أم قلوا * وألأم اللئام وأبخلهم حميد الارقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين اخرى تليها قيد أظفور

وقال فيه أيضا

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الانامل

واكل أعرابي مع أبي الاسود طباقا كثيرة فمد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فاخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها وقال أعرابي لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورحل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم وللحمدوني

* رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق اليه * ببيت لم يرد فيه القيام
أبي وابنا أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له أبن لي يا ابن كلب * على خبزي أصادر أو أضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام
فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فأين هذا من القائل

بخيل يرى في الجود عارا وانما * يرى المرء عارا أن يضن ويبخلا
اذا المرء اثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولا

وقال آخر

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس اخوان الكريم وما أرى * بخيلا له في العالمين خليل
وقالوا اذا سألت لئيما شيأ فماجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربي الهمداني
جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم
واني لارجو أن أموت وتنقضي * حياتي وما عندي يد للئيم
وانشد المحاظ لابي الشمقمق
ممن تعلمت هذا * أن لا تجود بشي
أما مررت بعبد * لعبد حاتم طي
ومما قالته الشعراء في البخلاء وطعامهم فمن اهجى ما قيل فيهم بيت جرير في بني تغلب
والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا
وله ايضا فيهم
قوم اذا اكلوا اخفوا اكلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار *
فتمنع البول شحا أن تجود به * وما تبول لهم الا بمقدار *
والخبز كالعنبر الهندي عندهم * والقمح خمسون اردبا بدينار *
فأين هؤلاء من الذي قال فيه الشاعر
أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره
وقال بعضهم في بخيل
* أنا نبخيل بخبزه * كمثل الدراهم في رقته *
اذا ما تنفس حول الخوان * تطاير في البيت من خفته
وقال آخر
تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان
وقال آخر وقد بات عند بخيل
فبتنا كانا بينهم اهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضا بعضنا بمصابه * ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد
وقال آخر
وجيرة لا نرى في الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ما تطبخ النار
وقال آخر واجاد
فصدق أيمانه ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فاعمث بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه
وقال آخر

ذهب الكرام فلا كرام * وبقى العضاريط اللئام
من لا يقيل ولا ينيل ولا يشم له طعام

وقال آخر

خليلى من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه خؤين
اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

وقال آخر

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى قحاب * وأما سيفه فعلى الكلاب

وقال آخر

زففت الى نبهان من صفو فكرتى * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
* فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وقال آخر

لو عبر البحر بامواجه * فى ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوأة خردلا * ماسقطت من كفه واحده

وقال آخر

* يا قائما فى داره قاعدا * من غير معنى لا ولا فائدة
قدمات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال آخر

نوالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد
فلو أبصرت ضيفا فى منام * لحرمت الرقاد الى المعاد

وقال آخر

لا تعجبن مخبز زل من يده * فالكوكب النحس يسقى الارض احيانا

وقال ابن أبى حازم

وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم
بلوت ومرتبى خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد لوم خير * ولا أحد يجود على عديم

ومن رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذى قال ردت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من المحدثين وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمى واستسهلوا شتمى حتى ينتشر ذلك فى الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لجعلنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء * وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالكما فقال احدهما ان

صديقا لى زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته وتغديناه واخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتحمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذى اشترى الرأس * وقال رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون اولاده ترمقه فقال ما اعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمشمشها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد لعاما هى ام لعامين قال لست بصاحبها فقال الأصغر يا أبت امصها ثم أدقها واسفها سفا قال انت صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما * ووقف اعرابى على ابى الاسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابى أما انى قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدى بها قال قد ولدت قال كان لابد لها ان تلد قال ولدت غلاما بن قال كذلك كانت أمها قال مات احدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال وماتت الام قال حزناء لى ولديها قال ما اطيب طعامك قال لاجل ذلك أكلته وحدى ووالله لا ذقته يا اعرابى * وقيل خرج اعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الايام ورد عليه أعرابى من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابنى عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الحى نبحا قال فما حال جلى زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابى ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أماته قال اختنق بعظمة من عظام جلك زريق فمات قال أو مات جلى زريق قال نعم قال وما الذى أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت فى سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا فى الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا اهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه أعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هى تكلمنى اذ أقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالامس فتبسمت فقال لم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية

وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التي رأيتها هي أختي وان بعلها أخو امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك

(أما اباحة الطيب من المطاعم) فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وكان الحسن يقول ليس في اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص لتيتك تأكل وتتقي الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من اساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى أنت الى احكام هذا احوج من ترك الخبيص *(وأما نعوت الاطعمة وما جاء فيها)* فقد نقل عن الرشيد أنه سأل أبا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما اطيب فقال يا أمير المؤمنين لا اقضي على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذه القمة ومن هذا القمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت ان أقضي لاحدهما اتى الآخر بحجته واختلف الرشيد وام جعفر في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فاحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار الا دينارا وسمع الحسن البصري رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الاصمعي أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى اعرابي بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وهو يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول عائشة اذا

طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد القلب الحزين وهى شجرة أخى يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبى رافع قال كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوى المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية ويصلى خلف على ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل وهو أعلم والجلوس وحدى لى أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الارز يزيد فى العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الارز يرى منامات حسنة ومن رأى منامات حسنة كان فى نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الارز الابيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لابى الحرث ما تقول فى الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا فى صدرى والله لو أن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لا تعرف الالوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضى الله عنه فاتخذ الالوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبونا مائدتى بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقى اللحم فى العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لا يتغير ويقال للسكاج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

فى حبة القلب منى * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله قال لا ينتظر به الادام اذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفى الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعونى الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى أصف من حسن لونه فيه سمائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول فى المازنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح * وصنع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لوزان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فاقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على

رؤس الناس ألف وصفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج اف والله ماتركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا * وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى فأجابه والله العظيم ماعملت الا قبل ان توجد أصبهان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان اباجهم بن عطية كان عينا لابى مسلم الخولانى على المنصور فأحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أباجهم

وقال أبو طالب المأمونى

فما حملت كف امرئ متطعما * ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة * ودخل السائب على على رضى الله عنه فى يوم شات فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما وانك لو شربته لم تزل دفئا شهرا ان سائر يومك * وعن نافع بن أبى نعيم قال كان أبو طالب يعطى علبا قدحا من اللبن يصبه على اللذات فكان على يشرب اللبن ويصول على اللذات

*(وأما الزهد فى المآكل) فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضى الله عنها والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى ان قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول اف اف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الادم الخل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط ماقرب اليه وقال عمر رضى الله عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام شكا الى الله الضعف فأمره أن يطيب اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب مدح الفقراء ان شاء الله تعالى

*(وأما ما جاء فى آداب الاكل) *فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم الاكل فى السوق دناءة وعن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الاكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفتن يمنا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجالس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة ومن هذا ما رواه الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الطعام والشراب وقال على رضى الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤكل الطعام حارا وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ما عاب النبى صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال عمرو بن هبيرة عليكم بمباكرة الغداء فان مباكرته تطيب النكهة وتعين على المروأة قيل وما اعانته على المروأة قال ان لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم من لقط شيأ من الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث بن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فليتم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الحجاج لاعرابى يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعينى مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدى الحسن بن على رضى الله عنهما دجاجة ففككها فقال معاوية هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية ان الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضى الله عنهما وحضر اعرابى على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يسرع فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك *(وأما ما جاء فى كثرة الاكل)* فقد روى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد ما رأيت الحسن ضاحكا الا مرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذانى طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت فى معدتك الحجارة لطحنتها وقال على كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تجد منا ما وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الاكل وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعي لرجل من بني فهد

اذا لم أزر الا كل أكلة * فلا رفعت كفي الى طعامي

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضي الله عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشترى غلاما فألقى بين يديه تمرا فأكل فأكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الاكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من الاكيل السوء وشكا أبو العيناء الى صديق له سوء الحال فقال اشكر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحرث حميدة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لاكلا لان لصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا

(وأما أخبار الاكلة) فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك بلح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو في بطنك * وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازني ما أكلة بلغتني عنك قال جعت مرة ومعي بعير لي فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شأ يسيرا حملته على ظهري فلما كان الليل أردت أن أجامع أمة لي فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل الى وبيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال أربعة أيام وقال الاصمعي ان سليمان بن عبد الملك كان شرههما وكان من شرهه أنه اذا أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوى لا يصبر الى ان يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى يأتي عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعي ما أعلمك بأخبار الناس اني عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثتني ثم أمر لي بجبة منها فكنت اذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الى وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدي كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا فخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال اني صائم فأكله ثم قال يا شمردل ويلك أما عندك شئ قلت ست دجاجات كأنهن أفحاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك شئ قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ما هو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان فقعدوا كل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عتلا * وقال اعرابي لرجل رآه سمينا أرى عليك قطيفة من نسيج اضراسك * وقال أبو المحسر الاعرابي كانت لي بنت تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كأنها صلفة في ذراع كأنه جمارة فلا تقع عنها على لقمة

نفسه الا خصتنى بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فوالله لن تسبق عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها * وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة ويقال فلان يحاكى حوت يونس فى جودة الالتقام وعصا موسى فى سرعة الالتهام وقيل لاعرابى أى الطعام احب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولى السوء فى مال اليتيم * وقال صدقة بن عبيد المازنى أولم لى أبى لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريد من جزور فكان أول من جاءنا هلال المازنى فقدمنا له جفنة مترعة فأكلها ثم أخرى فأكلها حتى أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوأة من النبيذ فوضع طرفها فى شدقه وفرغها فى جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل فى كل يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بنى شيبان الغداء أصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزبدين فى أحدهما تين وفى الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدى فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فألقى اليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله * وحدث الشيخ تقى الدين الجوهرى انه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبى سفيان كان يأكل فى كل يوم مائة رطل بالدمشقى ولا يشبع * ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصده قال الى الاردن قال لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا حاذقا اسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على

(وأما المهازلة على الطعام) فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال قالت عائشة رضى الله عنها كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة فجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أولا لطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها فتناولت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك * واشترى غندر يوما سمكا وقال لاهله اصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا شم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت * ودخل المجدونى على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتمونى ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات فى ذلك كثيرة

(وأما الضيافة واطعام الطعام) فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم

المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذجاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لادواء له وقال الحسن كانسمع ان احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه السلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ماخيرت بين شيئين الا اخترت الذى لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لى به ولا تغديت ولا تعشيت الامع ضيف ويقولون ماخلا مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا الله واحدة من ضيف وكان الزهرى اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لايحدثه عشرة أيام * وقالوا المائدة مرزوقة أى من كان مضيافا وسع الله عليه * وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه السلام وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه فى الاسلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شئ فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجنى الى ان افد على الناس فما استحسنته من اخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته * (وأما آداب المضيف) * فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة فى الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتى بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البدوى رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما فى وجهه متهللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتى به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال الطائى

سلى الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
أأبسط وجهى انه أول القرى * وأبذل معروفى له دون منكر

وقال آخر فى عبد الله بن جعفر

انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى

ولله در القائل

الله يعلم أنه ماسرنى * شئ كطارقة الضيوف النزل
مازلت بالترحيب حتى خلتنى * ضيفا له والضيف رب المنزل

أخذه من قول الشاعر

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق

وكل ما فيه حلال له * الا الذى حرمه الخالق

وقال الاصمعى سألت عيينة بن وهب الدارمى عن مكارم الاخلاق فقال أو ما سمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

وقال بعض الكرام

أضاحك ضيفى قبل أنزل رحله * ويخصب عندى والمحل جديب

وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال آخر

عودت نفسى اذا ما الضيف نبهنى * عقر العشار على عسر ويسار

ومن آداب المضيف أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندى تلوصاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من تمام المروأة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة ومن آداب المضيف ان يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وان لا يحدث بمصابر وعهم به كما حكى بعضهم قال استدعانى اسحق بن ابراهيم الظاهرى الى أكل هريسة فى بكرة نهار فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فأسر اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعى خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد فى أول النهار يخدم القوم ويأنسون به ففى آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فخاف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكى الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا على ولدى فانه بالامس سقط من على السطح فمات لساعته فقالوا له لم لا أخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغى لعاقل ان ينغص على أضيافه فى التذاذهم ولا يكدر عليهم فى عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف ان يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الامراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا ينخدع لا يمكنه الله منا والا ليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه

وعليه أن يسهر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وان يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند انه قال اذا ضافك أحد فأره الكنيف فاني ابتليت به مرة فوضعته في قلنسوتي وقالوا لا بأس أن يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصدقة الوكيدة وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الانصاري وكذلك كانت عادة السلف رضي الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودي ثلثمائة وستون صديقا فكان يدور عليهم في السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضي الله عنها فأكل طعامها وهي غائبة وكان الحسن رضي الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام مابدالك يا أبا سعيد في الورع فقال له يا لكع اتل علي آية الاكل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما في يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما قدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف

(وحكي) عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفراني ببغداد فكان الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعي منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدم اجلة الالوان دفعة لأكل كل شخص ما يشتهي

*ومن السنة ان يشيع المضيف الضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضني سراج لا يضيء ورسول بطيء ومائدة ينتظر لها من يجيء ونزل الامام الشافعي رضي الله عنه بالامام مالك رضي الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت مني فخدمة الضيف على المضيف فرض

اعرض طعامك وابذله لمن أكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابري العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه ويصف زياديه ويشتهي أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها الى النفوس ويعتذر ان في اصحابه من يحضر بالغداة عنده (وحكي) عن بعض البخلاء انه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل ان يرفعه فظن البخيل ان ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى ان تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل

يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخي والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك * وحكى عن بعضهم انه قال غلب على الجوع مرة فقلت أمضي الى دار فلان لا تغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لا قلت لك عليه الا ان أعطيتني كسرة قال فرجعت هاربا ومن البخل تقديم الشئ اليسير وتفخيمه (حكى) عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه انا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذي يقول

قالت أما ترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم
قالت فهل عندك شئ له * قلت نعم جهد الفتى المعدم
فبكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس يا هذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

وقال بعض البخلاء

سرى نحونا يبغي القرى طاوي الحشى * لقد عملت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا الى الصبح شاتم * يعدد تطفيل الضيوف وضارب

فشتان ما بين القائلين

(وأما آداب الضيف) فهو أن يبادر الى موافقة المضيف في أموره منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن * فقد حكى انه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما احتاج الى مكان ابيت فيه فقال الاعرابي اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري فاني لا أرى ان تمدحني في البلاد وتهجوني فيما بيني وبينك (وحكى) عن بعض التجار قال استدعاني أبو حفص محمد بن القاسم الكرخي لاعرض عليه قماشا من تجارتي فبينما أنا بين يديه واذا باطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يا فلان ما هذا الخلق العامي اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثراة في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني الا وقد جاءني غلامه ببغلته فاستدعاني اليه فقال لي يا فلان اني قليل الاكل بطيء الهضم ولقد طابت لي مؤاكلتك بالامس فأريد أن لا تنقطع بعدها عني قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في طلبي فحصل لي بقربي منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل عن شئ من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وان لا يتطلع الى ناحية الحريم وأن لا يخالفه اذا أجلسه في مكان واكرمه به وان لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل في بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عريبدا على أضيافه سيئ الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل أنه كريم الاخلاق وما أظن سوء اخلاقه الا لسوء أدب الاضياف ولا بد ان اتطفل عليه لاري حقيقة امره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى ان جاء الى باب داره

فأذن لى فدخلت فأجلسنى فى صدر مجلسه فجلست حيث أجلسنى وأعطانى مسندا فاستندت اليه فأخرج لى شطرنجا وقال أتتقن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لى ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا وأراد أن يسكب الماء على يدى فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدى بعد ان قدم نعلى فلم أردّه عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت ياسيدى أنشدك الله الا فرجت عنى كربة قال وماهى فأخبرته الخبر فقال والله ما يحوجنى لذلك الا سوء أدبهم يصل الضيف الى دارى فأجلسه فى الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم اليه الطعام فلا أتحفه بشئ مستطرف الا ردّه على ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ما تفعل ثم اريد ان أشيعه فلا يمكننى من ذلك فأقول فى نفسى لا يحكم الانسان على نفسه حتى فى بيته فعند ذلك أشتمه وألعنه بل وأضربه وفى معنى ذلك يقول بعضهم

لا ينبغى للضيف ان يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان فى بيته * ان شاء أن ينصف أو أن يحيف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الا ان يكون بدويا فانها عادته ومنها ان يتتبع طريق الشرهين كمن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادى والامراق والحلوى وغير ذلك ومنها ان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكى وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخال والمزبد والمرخ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباب والنفاخ والحامى والمجمح والشطرنجى والمهندس والمتمنى والفضولى فاما المتشاوف فهو الذى يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا الناحية الباب يظن ان كل ما دخل هو الطعام وأما العداد فهو الذى يستغرق فى عد الزبادى ويعد على أصابعه ويشير اليها وينسى نفسه والجراف هو الذى يجعل اللقمة فى جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر والرشاف هو الذى يجعل اللقمة فى فيه ويرشفها فيسمع لها حين البلع حس لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة فى فيه وينفض أصابعه فى الزبدية والقراض هو الذى يقرض اللقمة باطراف اسنانه حتى يهذبها ويضعها فى الطعام بعد ذلك والبهات هو الذى يبهت فى وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذى يلت اللقمة باطراف أصابعه قبل وضعها فى الطعام والعوام هو الذى يميل ذراعيه يمنة ويسرة لاخذ الزبادى والقسام هو الذى يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها فى الطعام من فيه والمخال هو الذى يخلل اسنانه باظفاره والمزبد هو الذى يحمل معه الطعام والمرخ هو الذى يرخ اللقمة فى الامراق فلا يبلع الاولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذى يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه والمفتش هو الذى يفتش على اللحم باصابعه والمنشف هو الذى ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذى يملأ الطعام اباما والصباب هو الذى ينقل الطعام من زبدية الى زبدية ليبرده

والنفاخ هو الذى ينفخ فى الطعام والحامى هو الذى يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذى يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له فى المجلس فلا يشق عليه الاكل والشطرنجى هو الذى يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذى يقول لمن يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه ههنا حتى يأتى قدامه ما يحب والمتمنى هو الذى يقول ليتنى لم يكن معى من يأكل والفضولى هو الذى يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقى عندك فى القدور شئ فأطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلذ له حديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق فى يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تسوك بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدئ بالهندسة أولا فيقول كان ينبغى ان يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغى أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان ما استحكم جوعه استغنى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكى عن معن غير محمد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا أنه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له اين أكلت قال أكلت فى بطنى واذا قيل له أين شربت قال شربت فى فى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشترى شيأ فأذوقه فيعجز صاحب المنزل ويخجله اذا لم يكن فى بيته شئ موجود وليت شعرى اذا كان لا يأكل فلأى شئ حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسرا الى صديقه شيأ فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم أخلاق وانما ذلك يكون فى بيته لا فى بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتى وشهوتى أو يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول أنا والله كما مر على تمام تزايدت شهوتى وكثر لهذا الفن تشوقى ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ما هى فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن فى نفسه أنه يعشق وان رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع فى الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت وبهن أولاده ويظن انه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقى ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال

صاحب البيت بغير اذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقلده بذلك المنن وأكثر الناس واقع فى ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت ياجبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال مازال جبريل عليه السلام يوصينى بالعفو فلولا علمى بالله لظننت أنه يوصينى بترك الحدود وقال الحسن بن أبى الحسن اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال على كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حببت الى العفو حتى انى أخاف ان لا أثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتى فى العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبى للعفو لما تقربوا الى الا بالجنايات وقال على كرم الله وجهه اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال رضى الله تعالى عنه أقيلوا ذوى المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله يرفعه وقال رضى الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل وقال المتنصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه اباك اعنى فقال له وعنك أعرض وكان الاحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما آذانى احد الا أخذت فى امره باحدى ثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان مثلى تفضلت عليه وان كان دونى أكرمت نفسى عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال انصر لى من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف اليه فى الحلم كما يختلف الى الفقهاء فى الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا فقال ذعرتم أخى اطلقوه واحملوا الى أم ولدى ديته فانها ليست من قومنا ثم انشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين ادعوه وذا ولدى

وقيل

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد فى العالمين ذكره والعرب تقول لا سودد مع الانتقام والذى يجب على العاقل اذا امكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق فى انتقامه الا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدى بك خطيب السنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعى ذكر له عنه أنه يميل الى بنى على والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبى ثم قال

فهبنى مسيئا كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم اكن للعفو منك لسوءما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة واحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذى فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله وأحضر الى الهادى رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا أمير المؤمنين ان اقرارى يلزمنى ذنبا لم أفعله ويلحق بى جرما لم اقف عليه وانكارى رد عليك ومعارضة لك ولكنى أقول

فان كنت تبغى بالعقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز فى الاجر

فقال لله درك من معتذر بحق او باطل ما امضى لسانك واثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضى الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للامير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال أصلح الله الامير انت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجها فقال انى لا امل دابتى حتى تملنى ولا امل رفيقى حتى يملنى فقال اصلح الله الامير اما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الام قال على الخبير سقطت أمى النابغة بنت حوملة بن عزة سبتها رماح العرب فأتى بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان امه كانت بغيا عند عبد الله بن جدعان فوطئها فى طهر واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت فيه أمه فقالت هو للعاص لان العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبى سفيان وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى أخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الامير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم أحد لانكم حاربتم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسميتم الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على

ابن أبي طالب رضي الله عنه على منابركم وضربتم علي بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحدا فقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر برد أموالها عليها وبالغ في الاحسان اليها وكان معاوية رضي الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول اني لآنف أن يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة لا يسعها جودي وهذه مروأة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك فقال ذاك الذي أعجب أبا سفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه يعتذر اليه من شئ جرى بينهما يقول من معاوية بن أبي سفيان الى عقيل بن أبي طالب أما بعد يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله الى أن يغيب في الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أني * أرى أن لا أراك ولا تراني
ولست أقول سوأى في صديقي * ولكني أصد اذا جفاني

فركب اليه معاوية رضي الله عنه وناشده في الصفح عنه واستعطفه حتى رجع وحكي عنه رضي الله عنه انه لما ولي الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعده في مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا في القول الصحيح والمريض وآل حديثهم الى من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تتعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب علي تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضي الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون علي فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضي الله عنه بئسما أشرتم به وقبحا لما قلتم أيحسن أن يشتهر عني أني بعد ما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وقفت لصاحبها اني اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة ان أنفذ الى الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها في هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال أ لست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قدمات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان

الكواكب لا تضيء مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد
ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها فصبرا
يا معشر المهاجرين والانصار فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب
الحق باطله فانه لا يستوى الحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال
النزال والصبر الصبر الا وان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير
الامور عاقبة اثنوا الخرب غيرنا كصبن فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك
وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا فى كل دم سفكه فقالت أحسن الله
بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه فقال معاوية
أو قد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرنى قولك وأنى لى بتصديقه فقال لها معاوية والله
لوفاؤكم له بعد موته أعجب الى من حبكم له فى حياته فاذكرى حوائجك تقض فقالت
يا أمير المؤمنين انى آليت على نفسى أن لا أسأل أحدا بعد على حاجة فقال قد أشار على
بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا بل نعفو عنك
ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن
اساء وأعطى من غير مسئلة قال فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها فى كل
سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها سالمة وكتب الى والى الكوفة بالوصية بها
وبعشيرتها * وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون
فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية فى أرض
عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول له فيه أما بعد يا معاوية ان عبيدك
قد دخلوا فى أرضى فانههم عن ذلك والا كان لى ولك شأن والسلام فلما وقف معاوية على
كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بنى ما ترى قال أرى ان تبعث اليه
جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بنى ثم أخذ
ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب
ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى فى ما ساءه والدنيا ياسرها هينة عندى فى
جنب رضاه نزلت عن أرضى لك فاصفها الى أرضك بما فيها من العبيد والاموال
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على كتاب معاوية رضى الله عنه كتب
اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من
قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به
الى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بنى من عف اساد ومن حلم عظم ومن
تجاوز استمال اليه القلوب فاذا ابتليت بشئ من هذه الادواء فداره بمثل هذا الدواء * ولما
دخل الفيل دمشق واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر اليه فبينما
هو كذلك اذ نظر فى بعض الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم
يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا فى قصرى وتحت جناحى تهتك
حرمتى وأنت فى قبضتى ما حملك على هذا قال فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى فقال له

معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فعفا عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجانى وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضتم أتينا كم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وحكى) عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا ربط جاشا وأثبت جنانا من رجل سعى به الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى باحضاره فاحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى عندك لبنى أمية فاخرج لنا منها وأحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم فى أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فأطرق المنصور وتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقوقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعله فى بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة بينة عادلة أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب علينا شئ وما ينفعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتى يا أمير المؤمنين أن تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله الذى لا اله الا هو ما فى يدى لبنى أمية مال ولا وديعة ولكنى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من طلبى له فسعى بى عند أمير المؤمنين قال فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وانه اختلس المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع فى يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته ثلاثة الآلاف التى أخذها وثلاثة آلاف أخرى أدفعها اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة كلامك لى وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع * وغضب الرشيد على حميد الطوسى فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لانه لا بد منه وانما بكيت أسفا على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على فضحك وعفا عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع * وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لى بك حرمة قال وما هى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فردز يادكه على فمه وضحك وعفا عنه * وأمر الحجاج بقتل رجل فقال اسألك بالذى أنت غدا بين يديه اذل موقفا منى بين يديك الا عفوت عنى فعفا عنه * ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بنى تميم فقال والله يا حجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب أحسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله * وكان ابراهيم

ابن المهدى يقول والله ما عفا عنى المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق فى العفو يكره أن تكسد بقتلى * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان * وفى بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو زيادة فى العمر وأصله قوله تعالى وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض وقال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد ليلا يدعونى فأوجست منه خيفة فقال له أنت القائل انا ركن الدولة والثائر لها والضارب اعناق بغاتها لا أم لك أى ركن وأى ثائر أنت قلت يا أمير المؤمنين ماقلت هذا انما قلت انا عمد الدولة والثائر لها فاطرق وجعل يحل غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت احسن من هذا قولى

خلافة الله فى هرون ثابتة * وفى بذيه الى ان ينفخ الصور

فقال يا فضل اعطه مائتى ألف درهم قبل ان يصبح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ما أقبح بى ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فما تعلق باطواقك وأقول أى رب سل مصعبا لم قتلنى فقال اطلقوه فلما أطلقوه قال أيها الامير اجعل ماوهبت لى من حياتى فى خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

* وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لان امكننى الله منه لافعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وامر له بصلة * وقال الحسن ان افضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال أبو تمام

رقيق حواشى الحلم الوان حلمه * يكفيك ماماريت فى انه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ما شئ أشد على الشيطان من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته أشد على من كلامه شعر

اذا كنت تبغى شيمة غير شيمة * طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أقرب مايكون العبد من غضب الله اذا غضب * وفى التوراة اذكرنى اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتى فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فاندرعتها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ أشد قال غضب الله قال فما ينجينى من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب اضاع الادب قال أبو العتاهية

ولم ار فى الاعداء حين اختبرتهم * عدوا العقل المرء اعدى من الغضب

وقال أبو هريرة رضى الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضى الله عنه كفى بالمرء اثما ان يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك * وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عامل من عماله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر

ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق فى كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب و يشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبى فقم الى بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثانى اذا سكن بعض غضبى فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبى فناولنيها وكان فى الاولى اقصر فاذا أنت وهذا الغضب انك لست بالله انما أنت بشر يوشك ان تأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذاك روى أنه أنوشروان وكان الشعبى أولع شئ بهذا البيت

ليست الاحلام فى حال الرضا * انما الاحلام فى حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء وروى ملأه الله امنا وايمانا * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت التقوى أحدا شفى غيظه * وقال أبو ذر لغلامه لم أرسلت الشاة على علف الفرس قال اردت ان أغيظك قال لاجمعن مع الغيظ اجرا انت حر لوجه الله تعالى * واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضى الله عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك بن مروان اعرابى يقال له حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حمزة من السجن يقول شعر

يدى يا امير المؤمنين اعيذها * بعفوك ان تلقى مقاما يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت خبيثة * اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال فأبى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه أم حمزة وقالت يا أمير المؤمنين بنى وكاسبى وواحدى فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التى تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله

شعر

اذا ما طاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق
فلست اذا اخا عفو وصفح * ولا لأخ على عهد وثيق
اذا زل الرفيق وأنت ممن * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا أنت اتخذت أخا جديدا * لما أنكرت من خلق عتيق
فما تدرى لعلك مستجير * من الرمضاء فى النار الحريق
فكم من سالك لطريق أمن * أتاه ما يحاذر فى الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا فانى أبيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن أجيبها كبيرا وانى لاكافئ من عصى الله فى بأكثر من ان أطيع الله فيه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه

فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله تعالى * وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات اقولها قال قل فانشأ يقول

زعموا بان الصقر صادف مرة * عصفور برساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
انى اراك لا أتم لقمة * ولئن شويت فانى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وافلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله قال الشاعر

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان

قال بعضهم

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف
* لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال آخر

اذا ذكرت أياديك التى سلفت * مع قبح فعلى وزلاتى ومجترمى
أكاد اقتل نفسى ثم يدركنى * علمى بانك مجبول على الكرم

وروى ان عمر رضى الله عنه رأى سكران فاراد ان يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبنى فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلا أحب ان أضرب مسلما لحمية نفسى * وغضب المنصور على رجل من الكتاب فأمر بضرب عنقه فانشأ يقول

وانا الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله واكرمه * وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا الامنان اذا وهب ولا حقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عمن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجدنا صرا وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
واما الذى مثلى فان زل اوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

وقال الاحنف بن قيس لابنه يابنى اذا أردت ان تؤاخى رجلا فأغضبه فان انصفك والا فاحذره قال الشاعر

اذا كنت مختص النفس صاحبا * فن قبل ان تلقاه بالود اغضبه
فان كان فى حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد قال الشاعر

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لاصفح ذل ولكن صفح اكرام

وقال آخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف اياكم ورأى الاوغاد قالوا ومارأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا * وقال رجل لابى بكر الصديق رضى الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معى * وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو يمشى فى الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له ياهذا ان كان قد بقى معك شئ فهات وقله ههنا فانى اخاف ان يسمع فتيان الحى فيؤذوك ونحن لانحب الانتصار لانفسنا وقال لقمان لابنه يابنى ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه ومن أشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو اصابك جاهل

وقال آخر

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال آخر

قل ما بدا لك من صدق ومن كذب * حلمى اصم واذنى غير صماء

ويروى فى بعض الاخبار ان ملكا من الملوك أمر ان يصنع له طعام واحضر قوما من خاصته فلما مد السماط اقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شئ يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيها على رأس الملك فقال له ويحك ماهذا فقال أيها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبى الذى به تقتلنى قتله فى ذنب خفيف لم يضره واخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر فى قتلى وترفع عنك الملامة قال فاطرق الملك ملبا ثم رفع رأسه اليه وقال ياقبيح الفعل باحسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور فى الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدى عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم

ابن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم احضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بعفوك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى أعظم مما تحاول وأكثر مما تأمل ولقد حببت الى العفو حتى خفت ان لا أوجر عليه لا تثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فان حقنت ما اوليت من كرم * انى لبالؤم أولى منك بالكرم

* وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلنى فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا بنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

احجاج اما ان تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا
احجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين واربعا
احجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة * ولما قدم عيينة ابن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذى يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخى لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لى عليه فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم ان يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضى الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى (وحكى) ان رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن انه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل

فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع فى ان يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فطرق الفضل برأسه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتنى ستر الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان ان يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما واحسنهم خلقا واكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وابرهم للمعتر عليه نجما صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

وأما ما جاء فى العتاب فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ شعرا

اسطو عليه وقلبى لو تمكن من * يدى غلهما غيظا الى عنقى
واستعير له من سطوتى جنقا * واين ذل الهوى من عزة الحنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيح من الحى فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير فى شئ ثمرته العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين فى الهوى * عتابهم فى كل حق وباطل

كتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسنا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

وقال آخر يعاتب صديقه

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

وقال أبو الحسن بن منقذ

أخلاقك الغر السجايا مالها * جلت قذى الواشين وهى سلاف
ومرآة رأيك فى عبدك مالها * صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه خط عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * فكفى بنفسك لى عليك حسيبا

اكذا

اكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان ارسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذرى ان أجبت بمثله * اوكنت بالعتب العنيف مجيبا
لكننى خفت انتقاص مودتى * فبعدا حسانى اليك ذنوبا

وقال آخر

أراك اذا ماقلت قولا قبلته * وليس لاقوالى لديك قبول
وماذاك الا ان ظنك سيئ * بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسى تائها * بنفسك عجبا وهو منك قليل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضاقة ثم ولى عملا فأثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب اليه

لئن كانت الدنيا اتالتك ثروة * فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وقال آخر فى المعنى

دعوت الله ان تسمو وتعلو * علو النجم فى أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عنى * فكان اذا على نفسى دعائى

وكان ابن عرادة السعدى مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته * وصاحبت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد

ويرجعنى اليك اذا نأت بى * ديارى عنك تجربة الرجال

وقال أبو الحسن القاسى

اذا أنا عاتبت المطول فانما * أخط بأقلامى على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ماقيل فى العتاب

وفى العتاب حياة بين أقوام * وهو المحك لدى البس وابهام

فما شئ أحسن من معاتبة الاحباب ولا ألذ من مخاطبة ذوى الالباب والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم)

أرجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذى من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والآيات

فى ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون وروى فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والمحال الحميدة يعظم صاحبه فى العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطره وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل شئ رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

اذا قلت فى شئ نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

وقال آخر

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها * واحذر خلاف مقال للذى تعد

وقال اعرابى وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابى أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار خالد بن برمك فأمر له بعشرين ألفا فأبطأت عليه فقال لقائده أمنى حيث عرفا مه فرفأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

اظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لها برق وابطر شاشها
فلا عيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يأتى فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمى

لئن جمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير فى وعد اذا كان كاذبا * ولا خير فى قول اذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهذلى أم ولد فأمر المنصور الربيع ان يعزيه ويقول له ان أمير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسلك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل الهذلى يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلى فقال المنصور وهو بالمدينة انى أحب أن أطوف الليلة المدينة فأطلب لى من يطوف بى فقال الهذلى أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الاخوص

يا بيت عاتكة الذى اتعزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل
انى لامنحك الصدود وانى * قسما اليك مع الصدود لاميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير ان يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذى كان وعد به الهذلى فأنجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تعجيل وعد المرء أكرومة * تنشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر

وقال آخر

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد * لا خير في وعد بغير قيام
أنعم علي بما وعدت تكرما * فالمطل يذهب بهجة الانعام

وقال آخر

لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فأوله حمد وآخره شكر
وقد جمعت فيك المكارم كلها * فما لك عن تأخير مكرمة عذر

وقال آخر

ومعاد الكريم عليه دين * فلا تزد الكريم على السلام
يذكره سلامك ما عليه * ويغنيك السلام عن الكلام

وقال آخر

شكاك لساني ثم أمسكت نصفه * فنصف لساني بامتداحك ينطق
فان لم تنجز ما وعدت تركتني * وباقي لساني بالمذمة مطلق

وقال آخر

باتت لوعدك عيني غير راقدة * والليل حي الدياجي منبت السحر
هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر

وقال آخر

تذكر بالرقاع اذا نسينا * وبأبى الله ان تنسى الكرام

وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السامع ويشنف المسامع كقضية الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها ان النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأراده ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيأ لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائي علم انه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك ان يأذن لي في أن أوصل اليهم هذا القوت وأرضي بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود الى الملك وأسلم نفسي لتنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك وقال له

يا شريك بن عدي * ما من الموت انهزام
من لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام

بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلى * بضمان والتزام ولك الله بأنى * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أصلح الله الملك على ضمانه فرا الطائى مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتى المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو ان يكون الطائى فان لم يكن فامر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائى قد اشتد عدوه فى سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت أن ينقضى النهار قبل وصولى ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما اما أنت يا طائى فما تركت لاحد فى الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها فى الكرماء فلا كون انا الأم الثلاثة الاوانى قد رفعت يومى يؤسى عن الناس ونقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى * فعددت قومهم من الاضلال
انى امرؤ منى الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال ديني فمن لا وفاء فيه لا دين له فأحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما الى أهله وانا له ما تمناه * ومن ذلك ما حكى ان الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد أبى طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شئ من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله فى زى الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط أهلها وداخل كبراءها واستمالهم الى القاسم بن محمد العلوى واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوى واكشف لى باطنه وابحث عن دفين نيته وائتنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس فى مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولى الامان قال نعم فأظهر له ما أراده ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أو تنصفنى فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يحب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب على وأنا فى هذه الحالة التى تراها من الحكم والنعمة والولاية ولى خاتم فى المشرق وخاتم فى المغرب وأمرى فيما بينهما مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت يمينا وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا على أفتدعونى الى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتنى الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت

بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فأخبره بصورة الحال فسره ذلك وزاد فى احسانه اليه وضاعف انعامه عليه ومما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم وبحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم ما رواه حمزة بن الحسين الفقيه فى تاريخه قال قال لى أبو الفتح المنطيقى كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا ناما وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين وسلوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فأحضروه وان كان قد توفى فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والاخرى عاتق فرجعنا الى كافور واخبرناه بذلك فسر فى الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاهما ما لا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا انى مررت يوما بوالدهما المنجم وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الى واستجلبنى وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ عنده مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب منى شيأ فأعطيته درهمين كانا معى ولم يكن معى غيرهما فرمى بهما الى وقال ابشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال وايدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرنى اذا صرت الى الذى وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدنى أنك تفى لى ولا يشغلك ذلك عن انتقادى فعاهدته ولم يأخذ منى الدرهمين ثم انى شغلت عنه بما تجدد لى من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته فى المنام قد دخل على وقال لى أين الوفاء بالعهد الذى بينى وبينك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد فى احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده والله اعلم * ومما سفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات فى الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضرب به الامثال فى الوفاء بالاتفاق حديث السموأل بن عادياء وتلخيص معناه ان امرأ القيس الكندى لما أراد المضى الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوى من المال جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا أدفعها الا لمستحقها وأبى أن يدفع اليه منها شيأ فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتى ولا أخون أمانتى ولا أترك الوفاء الواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معى فان سلمت الى الدروع والسلاح التى لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك

ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموأل ما كنت لاخفر ذمامي وأبطل وفائي فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده بصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال في الوفاء تضرب بالسموأل واذا مدحوا أهل الوفاء في الانام ذكروا السموأل في الاول وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطاق الايدي المقبوضة عنه بالاحسان اليه * ومما وضع في بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسنة من الاوائل والاواخر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فانه قد بلغني ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلي ودينار حتى تراقبوا هذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فائتوني به قال فأخذتهما وضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها ورددها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندي ايادي خطيرة أفتأذن لي ان أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثوبيات لي كنت قد أعددتها للاستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له في

وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد عذر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر الساطانى فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد أولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار بدنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن فى المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى اكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب فى كمى وأخذت الصينية فى يدى وقمت وجعلت ألتفت الى ورائى مخافة ان أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى اذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم أمرنى بالجلوس فجلست فقال ممن الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فأتى به فقال له يا بنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدى وأدخلنى الى دار من دوره فأكرمنى غاية الاكرام وأقمت عنده يومى وليلتى فى ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرنى بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمنى غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمنى أخوه أحمد ثم لم أزل فى أيدى القوم يتداولونى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم أم فى الاحياء فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لى قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلمت الدنانير والصينية واخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فانى مأمور بقضاء جميع ما تأمرنى به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل الى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعونى فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفنى عمرو بن مسعدة وألزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفى دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت فى أواخر الليل أقصد خرابات القوم فاندبهم وأذكر حسن صنيعهم الى وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير

المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته فى ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه فى مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له ياهذا قد أحسنا اليك فلم تبك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خرابا تهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبرى بأمير المؤمنين ففعل بى ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر وقيل اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ماضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله اطلال الوفاء بكفه * فقد درست اعلامه ومنازله

وقال آخر

اشد يديك بمن بلوت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمى كنت جالسا فى ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكانا نخوض فى الفقه مرة وفى المذاكرة مرة وفى اشعار العرب وأمثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحدهما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع فى المعرفة والتصرف فى فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله انى لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جلسك فقال ان تعش قليلا فسترى العيون طامحة الى والاعناق نحوى متطاولة فاذا صار الأمر الى فاعلك أن تنقل الى ركابك فلا أملأ أن يديك فلما افضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآنى أعرض عنى فقلت لعله لم يعرفنى أو عرفنى واظهر لى نكره فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب فقال أين مالك بن عمارة فقمت فأخذ بيدى وأدخلنى عليه فمد الى يده وقال انك تراءيت لى فى موضع لا يحوز فيه الامار أيت فاما الآن فمرحبا وأهلا كيف كنت بعدى فاخبرته فقال لى أتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو بميراث وعيناه ولا أثررويناه ولكنى أخبرك بخصال منى سمت بها نفسى الى الموضع الذى ترى ما خنت ذا ودقط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهى حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه ان يرفع الله تعالى منزلتى وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له ياغلام بوئه منزلا فى الدار فأخذ الغلام بيدى وأفرد لى منزلا حسنا فكنت فى أكرم حال وأنعم بال وكان يسمع كلامى وأسمع كلامه ثم أدخل عليه فى وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتى ويقبل على ويحادثنى ويسألنى مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لى عشرون ليلة فتغديت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أى الامرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة لك فى المعاشرة أو الرجوع الى أهلك ولك الكرامة فقلت يا أمير المؤمنين فارقت أهلى وولدى على انى

أزور أمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمرنى أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد فى زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوتك وحملناك أترانى قد ملأت يديك فلا خير فيمن يندى اذا وعد وعد اذا شئت صحبتك السلامة ومن ذلك ما روى عن أبى بكار الاعمى وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرنى الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده ابا بكار الاعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت فى هذا والله قد اتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأهويت وضربت عنقه فقال أبو بكار ناشدتك الله الا ألحقتنى به فقلت له ما الذى حملك على هذا فقال اغنانى عن الناس فقلت حتى أستأمر الرشيد ثم احضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبى بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع اضممه اليك وانظر ما كان يجرى عليه جعفر فاد فعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا أكد فى يمينه قال لا والذى جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره فى الحروب فقال كان رحمه الله يفعل كذا وكذا فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطى وتترحم على عدوى فقال ان نعمة عدوك لقلادة فى عنقى لا ينزعها الا غاسلى فقال له المنصور ارجع يا شيخ فانى أشهد انك لوفى حافظ للخير ثم أمر له بمال فأخذه ثم قال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء طاعته ما لبست لاحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن فى قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب فى بعض جبابين الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكى قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك فى أمير المؤمنين بعلا فنظرت الينا ثم أنشأت تقول

فان تسألانى عن هوى فانه * يحول بهذا القبر يا فتيان
وانى لأستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يرانى

ومن ذلك ما روى عن نائلة بنت الفرافصة بن الاخوص الكلبى زوج عثمان رضى الله عنهما ان عثمان لما قتل اصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما يعجب الرجل منى قالوا نناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا فى نكاح نساء بنى كلب ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته ألف الف وقال له انج بهذا فأخذه زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندى وديعة فأمهله حتى آتيك بها فقال أسرعى فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت الى السوق واتت الى قصاب فقالت اعطنى شفرتك وخذ

هذين الدرهمين وأنا اردها عليك فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت اترانى بعد هذه متزوجة بعد ما ترى فقال الآن طابت نفسى بالموت فجزاك الله من حليلة وفية خيرا ولنجعل لهذا الباب من القضا ختاما هو اوجزها كلاما وأحسنها نظاما وابينها حكما وأحكاما وهى قضية جمعت الامرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفى بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات منياه ما أمل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بأموره عالما بورود وصدوره فقال ما معناه ان احمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة واحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده ابا الجيش خمارويه به فأخذه اليه فلما مات احمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندى بمكانة أرعاك بها ولكن عادتى أنى آخذ العهد على كل من اصرفه فى شئ انه لا يخوننى فما هده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أموره بيوته عليه فقال له يوما يا احمد امض الى الحجرة الفلانية ففى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله ان اخون الامير وقد احسن الى وأخذ العهد على ثم تركها واخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من احمد بعد ما اخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكرها للامير فاقامت أياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الخائبة الغادرة العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما اعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة المجدودة السعيدة المسعدة الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الاليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب اضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعانت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودنى عن نفسى فلما سمع الامير ذلك

استشاط غيظا وغضبا وهم فى الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى فى فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه فى الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه واحضر عنده ندماءه الخواص وادناهم لمجلس قربه واحمد اليتيم واقف بين يديه آمن فى سربه لم يخطر بخاطره شئ ولا هجس هاجس فى قلبه فلما مثل بين يدى الامير وأخذ منه الشراب شرع فى التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز فى طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه المجلوس معهم فقال أنا ماض فى حاجة للأمير أمرنى باحضارها فى هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك فى احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذى كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله فى الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فاخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له المجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذى تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير ابو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل ازمة جميع ما يتعلق به بيديه فانظر رحمك الله الى آثار الوفاء كيف تحمى من المعاطب وتنجى من قبضة التلف بعد امضاء القواضب ويفضى بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس فى الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا فى طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا يمسك له من بعده وقالوا ليس شئ أوفى من القمرية اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه)

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فعل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز فى السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله

تعالى وماهو على الغيب بظنين أى بمتهم وفى الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان امناء الاسرار أقل وجودا من امناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان الاسرار لان أحراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحراز الاسرار بارزة يذيعها اللسان ناطق و يشيعها كلام سابق وحمل الاسرار أثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشى به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب مالا يلحقه من حمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الامور ان الاموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزانها كان اضيع لها وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ ما آربه ولو كتمه أمن من سطواته وقال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوى

ولست بمبد للرجال سريرتى * ولا انا عن اسرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بنى مروان اذ جهدوا
مازلت أسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف المستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ومن أحسن ما قيل فى كتمان السر قول الشاعر

ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بانها فى طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوى فقال

انى كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكا * فى حبها برشاده أو غيه
ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بأنها فى طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما أنه لا خير فى آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير فى انسان لا يمسك سره قال الشاعر

ومستودعى سرا كتمت مكانه * عن الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال

وقال قيس بن الحطيم

أجود بمكنون التلاد وانني * بسرى عمن سالنى لضنين
وان ضيع الاقوام سرى فانني * كتوم لاسرار العشير أمين

وقال جعفر بن عثمان

ياذا الذى أودعنى سره * لاترج أن تسمعه منى
لم أجره قط على فكرتى * كأنه لم يجر فى أذنى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أفشيت سرى الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدرى به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه على قال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال آخر

اذا ماضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فانا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لاتودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولاتودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن * وقيل لاعرابى ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبى ثم أجمعه وأنساه كأنى لم أسمعه * وكان يقال أحزم الناس من لايفشى سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ماغفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ماحييت له ذكرا
ولست اذا ماصاحب خان عهده * وعندى له سرا مذيعا له سرا

وأين هذا من القائل

ولاتودع الاسرار اذنى فانما * تصب ماء فى اناء مثلم

أو القائل

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تعلو على قلبى
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

اناس أمناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولله در المتنبى حيث قال

وللسر منى موضع لايناله * نديم ولا يفضى اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الغدر والخيانة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الاشياء عقوبة البغى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة فى النار وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وكم أوقع الغدر فى المهالك من غادر وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزى فهو على فكه غير قادر وأوقعه فى خعلة خسف وورطة حتف فماله من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ما أحاطت به علوم ذوى الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصارى وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من أنصار النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أما لك فى رسول الله اسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق نبيا لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى بقية الصلوات فى غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بنى سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بنى سليم فخذا صدقاتهما ففرحا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية أو ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا قال خذاه فان نفسى به طيبة فراعى الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الا جزية أو ما هذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيا قال فذهبا من

عنده وأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فأي خزي أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوي الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بامر كنت أنت جذبتنا * اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الامين للمأمون في بيت الله الحرام وهما ولياعهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي الامين في ذلك الوقت عند نزوحه من بيت الله يا أبا العباس أجد في نفسي ان أمري لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لاني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر وكان كذلك لم يتم أمره وورد في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالخورنق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذي الاكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار الى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى شيء ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت اي حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه فرآها ورآته فعشقها وعشقته

وأرسلت اليه تقول ما تجعل لى ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبى فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم اطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا اسقى الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة واعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ فى فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما أغدره * وتقول العرب جزانى جزاء سنمار وهو أن ازدجرد بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مرى فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره أن يبنى له جوسقا فامتثل أمره وبنى له جوسقا كاحسن ما يكون وكان الذى بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت أنكم توفونى أجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبنى أحسن من هذا ولم تبنه ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزانى جزاء سنمار * وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلى رضى الله عنه وقتله * وعمرو ابن جموز غدر بالزبير بن العوام رضى الله عنه وقتله * وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدى عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس ذبى عنهم * بسيفى ونار الحرب زاد سعيرها
فتحت لهم شرق البلاد وغربها * فذل معاديها وعز نصيرها
أقطع أرحاما على عزيزة * وأبدى مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الامر فى مستقره * ولاحت له شمس تلألأ نورها
دفعت عن الامر الذى أستحقه * وأوسق أوسافا من الغدر عيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى أجؤوها الى خباء اعرابى فاجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقى كما لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * أحالب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

* وحكى بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدرى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب اخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وبيناه

فلما

فلما كبر فعل بشاتى ماترى وأنشدت

بقرت شويهتى وجفعت قومى * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنبأك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغى وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الثانى فى السرقة والسراق) قيل مر عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال ماهذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك انى فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره وسرق مدنى قميصا فاعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاء له فقال بكم بعته قال برأس المال وقال أكتل السلمى وكان لصا فاتكا

وانى لأستحيى من الله ان أرى * اجر جحلى ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدنى بعيره * وأجمال ربى فى البلاد كثير

وقال الفرزدق

وان أبا الكرشاء ليس بسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة الجبلى أخ قد كلف ببنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فاخذه اخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القسرى وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو أخوه

اخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
اقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

(الفصل الثالث فيما جاء فى العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء فى كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو انى بليت بهاشمى * خؤلته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

ونث رجل فى وجه أبى عبيدة مكروها فانشأ يقول

فلو أن محيى اذوهى لعبت به * سباع كرام أو ضباع وأذؤب
لهون وجدى أو لسلى مصيبتى * ولكنما اودى بلحمى أكلب

وقيل لكسرى أى الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوى قيل وكيف ذلك قال

لانه اذا كان عاقلا كنت منه فى عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل اخوف من الكاشح المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفى وبطن وقالوا اياك ان تعادى من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك فى لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده
ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهى حبلى بهجرس ابن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبى خالى وما أنا بالذى * أميل وأمرى بين خالى ووالدى
وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما اعترتنى حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك

يا للرجال لقلب ماله جلد * كيف العزاء وثارى عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترنى تأرت أبى كليبا * وقد يرجى المرشح للدخول
غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذى البتول

(بيت)

سن العداوة آباء لنا سلفوا * فلن تبيدوا لآباء ابناء

ويقال دار عدوك لاحد أمرين اما الصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد الى مصعب

فبلغ مصعبا عنى رسولى * وهل تلقى النصيح بكل واد
تعلم ان أكثر من تناجى * وان ضحوا اليك هم الاعادى

ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال الحجاج لخارجى والله انى لابغضك قال ادخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فانكروا عليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت فى اخلاقهم ما علمت فقال ان الأبناء ينسبون الى الآباء لا الى الأمهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستدل من ذلك فيه فقيل هو بغيض فى الناس فقال أواه هلك ابنى هرمز فقد قيل اذا كان فى الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة فى الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض فى الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

وفى المعنى قيل

وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن أبى حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت

الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وانا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الاعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين فى نسب أو مجاورين فى بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لايوب عليه السلام أى شئ كان عليك فى بلائك أشد قال شماتة الاعداء وأنشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداوعلل قلبك بالسلو
وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن ابى جهينة المهلبى

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء

وقال الجاحظ مارأيت سنانا أنفذ من شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم أبلغ أبابكر اذا ماجئته * ان البغايا من بنى مرثام
اظهرن فى موت النبى شماتة * وخضبن أيديهن بالعلام
قطع هديت أكفهن بصارم * كالبرق أومض فى متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا فى فسادك ولا رفعة الا فى سقوط حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * أقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد

(بيت مفرد)

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسىء فيجلب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله فى الماضين تكفينا
كاد الاعادى فلا والله ماتركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن فى سر وفى علن * على مقالتنا يارب انا كفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

(الفصل الرابع فى الحسد) قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم مابال فلان يبغضك قال لانه شقيقى فى النسب وجارى فى البلد وشريكى فى الصناعة فذكر جميع دواعى الحسد وقال اعرابى الحسد داء منصف يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود وهو مأخوذ من الحديث

قاتل الله الحسد ما اعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه ابو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل ان يصل حسده الى المحسود أولها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق (ومن ذلك ما حكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم احتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما واكثر فيه من الثوم فلما اكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فحلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به امير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال اين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ما تقول فيمن يربحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل قال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فاعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بان له أياما ما ظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فاخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس انى أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لى به علم وانما كان ذلك مكر امنه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء واجدادا
ان العراقين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شئ الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضى الله عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل

ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتي متسخط لفعلي غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي قال الشاعر

أيا حاسدا لي على نعمتي * أتدري على من أسأت الادب
أسأت على الله في حكمه * لانك لم ترض لي ماوهب
فانزاك ربي بأن زادني * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعي رأيت اعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلو السيد من ود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضي الله عنه الا لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقي الا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش في أمن وفي دعة * رغدا بلا ترصفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وقال آخر

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وفي نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

اني حسدت فزاد الله في حسدي * لا عاش من عاش يوما غير محسود

وقال نصر بن سيار

اني نشأت وحسادي ذوو عدد * يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
ان يحسدوني على ما لي لما بهم * فمثل ما بي مما يحلب الحسدا

وكان عمر رضي الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس ما بال المحسود اشد غما فقال لانه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الاربعون في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان)

(الفصل الاول في فضل الجهاد في سبيل الله وشدة البأس) قد أثنى الله تعالى على الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه أفضل الجزاء والرأي في الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم في سبيله أو قطرة دمع في جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبد الله بن قيس رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال اقرأ عليكم

السلام ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن مسعود رفعه ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخى الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين احسنوا فلهم الحسنى وزيادة

(الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها) اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة وعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله فى ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة اوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادى هل من مبارز والثانى اذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لاموره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب فى وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجى الضعيف ويعدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع اقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه حماه حتى يبأس العدو منهم وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدى ابو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه فى كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا فى بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة خودة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه لم يرقط ضربة اقوى منها ولم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها فى كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا اقواما هذا ضربهم فيرحل ابطال الروم اليها ليروها قالوا ومن الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا فى تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولنصف منها اشياء نبدأ منها أولا بما ذكره الله تعالى فى القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبى صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وأفضل العدة ان تقدم بين يدى اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهى عن منكر وامثال ذلك والشان كل الشان فى استجادة القواد وانتخاب الامراء وأصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغى أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجها والا رد الغنم الى الزريبة واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغى للعاقل العظيم القياد أن يكون فيه عدة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح ومواساة الكركى وغارة الذئب وسمن نغر وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء * وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجمال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد خلق ربك الهم اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن * ومن الحيل فى الحرب أن يبث جواسيسه فى عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوى الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوى أطماعهم فى نيل ما عنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وساومهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمى بها فى جيوشهم واعلم ان الحيلة لا ترد القضاء والقدر وان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى فى حلول البلاء كانت الآفة فى الحيلة وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب فى الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى ببقاء مدته فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الأبطال فى القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوى اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب

الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فافلح واتراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلى القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من اهل الحروب ويقال حبب الى عدوك الفرار بان لا تقتعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى امه * ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتى ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصرة خالقي * وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه درع وذلك فى أيام قتال يزيد بن المهلب فانشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد انما ذاك اذا حاربنا اكفاءنا وأما مثل هذا ونظرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه * وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد عليهم بهرام جور فقال اعمدوا الى أسدين جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا فدنا منهما فاهوى بانحوه فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم * وقيل لم يكن فى العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال فى أى موضع تريدين أن أضع هذا السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناث وأناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما فى موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبي وأذنه بنشابة فرمى أصل الأذن ببندقة ثم أهوى الظبي برجله الى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه * ويقال ان من أعظم المكايد فى الحرب الكمين وذلك ان الفارس لا يزال على جمة فى الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه وعليك باقتخاب الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما ترى فيه العجب فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصرانى على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن روميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لى من فى عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفونا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان فعد تسعة رجال فقال له انظر من فى عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا اليه ساعة ثم حملوا عليه حملة واحدة وداخلونا

هذا خلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك السبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن فى خسارة معهم فأشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فلعتبر ذوالحزم والبصيرة من جمع يحتوى على أربعين ألف مقاتل ولم يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر نفرا وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستشاره بالغنيمة لما زاد فى أبطاله رجل واحد *(وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه قال سمعت أستاذنا القاضى أبا الوليد يحيى قال بينما المنصور بن ابى عامر فى بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المنجمى فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له المنصور ما ترى هل يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن المنجمى فقال له المنصور ما سكوتك أليس فى هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا فخنق المنصور ثم قال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا قال فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوأ حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لهائم جعل العلج يموج بين الصفين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادى ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المنجمى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد قال أن تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره ان شاء الله تعالى ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهرت اوراكها هزالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل فى حليته ونفسه غير متصنع فقال له ابن المنجمى ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذى تريد قال أريد أن تكفى المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالارض وبرز اليه غير مكترث به فتجاولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هناك واذا برأس العلج يلعب بها فى يده ثم ألقى الرأس بين يدى المنصور فقال له ابن المنجمى عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن المنجمى الى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين *(وحكى)* انه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم فى زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى أن الروم كان اذا

سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون فى الماء فحسده نظرا وه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز عجل الى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومى يجول بين الصفين وينادى هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادى ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين ان يخرج اليه وبقى الناس فى حيرة فقيل للسلطان مالها الا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى ما يصنع هذا العلج فقال ها هو بعينى قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفى المسلمين شره فلبس قميص كان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فتعجب منه النصرانى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصرانى سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لا شئ منه فى السرج ثم انقلب فى السرج وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ فى صنعه مع أبى الوليد بن فتحون فاعتذر اليه وأكرمه وأحسن اليه وبالغ فى الانعام عليه وردّه الى أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغى لقائد الجيش ان يخفى العلامة التى هو مشهور بها فان عدوّه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كى لا يلتمس عدوّه غرّته منه واذا سكن الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوّه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدوّ يمشى خارج عسكره يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدوّ فقتل الملك وكان الفتح وبمثل هذا قهر الب أرسلان ملك الترك ملك الروم وقمعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك الب ارسلان وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتداننان الى ان عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا لالب ارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة

الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الله الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فأمر الب ارسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء فى الثور الاسود فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص أصوب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالفوا وناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا الب أرسلان بسم الله نحمل عليهم فقال الب ارسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان الب ارسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلى ويتبع أثرى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث أضرب بسيفى وأرمى بسهمى ثم حمل برجاله حملة رجل واحدا الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدى الب أرسلان والحبل فى عنقه فقال له الب ارسلان ماذا كنت تصنع بى لو أسرتنى قال وهل تشك أننى كنت أقتلك فقال له الب ارسلان أنت اقل فى عينى من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل فى عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيأ حتى باعوه من انسان بكلب فأخذه الذى ينادى عليه وأخذ الكلب وأتى بهما الى الب ارسلان وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيأ سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد انصفك ان الكلب خير منه ثم أمر الب ارسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار فانظر ماذا يأتى على الملوك اذا عرفوا فى الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

(الباب الحادى والاربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن)

(الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام) * حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله قتل فى غزاة أحد رماه وحشى مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبى صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه فى الصلاة سبعين تكبيرة * أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه آية من آيات

الله ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيدا بالتأييد الالهى كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوى الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روى عنه رضى الله عنه أنه قال والذى نفس ابن أبى طالب بيده لا ألف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه الا اوصى بعضنا على بعض وقال رضى الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الى ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معى وبذلك القلب ألقى عدوى وقيل له كرم الله وجهه اذا حالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتمونى وقيل له كيف كنت تقتل الابطال قال لانى كنت ألقى الرجل فاقدر أنى أقتله وبقدر هوانى قتلته فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان على رضى الله عنه حذرا فى الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدر الاظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا مكنت عدوى من ظهرى فلا أبقى الله عليه ان أبقى على قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنة الله تعالى عليه غدره وهو فى صلاة الصبح وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق اسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وامة وان تقتل على بن أبى طالب فقال لها لك ما سألت الا على بن أبى طالب وكيف لى به قالت تغتاله فان سلمت ارحت الناس من شره وأتيت مع أهلك وان أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المخذم

فلا مهر أغلى من على وان علا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد فى الغلس وذلك فى تاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين كفن رضى الله عنه فى ثلاثة اثواب ودفن فى الرحبة مما يلى باب كندة من ابواب المسجد قالوا ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فأخذه فأومأ على رضى الله عنه الى المغيرة أن صل بالناس فصلى بهم الفجر واقبلت همدان فدخلوا على على فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس قال ثم ان الحسن رضى الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحبنا وكرهنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وانى أحتسب عند الله عز وجل مصابى بأفضل الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فلتسل بمصيبته فى فانها أعظم المصائب والله الذى لا اله الا هو الذى أنزل على عبده الفرقان لقد قبض فى هذه الليلة رجل ما سبقه الاولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الآخرون فعند الله نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الا حقا لقد دخلت مصيبته اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض فى الليلة

التى رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع ابن نون عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم أراد ان يبتاع بها خادما لاهله الا ان أمور الله تعالى تجرى على أحوالها فما أحسنها من الله وأسوأها من أنفسكم الا ان قريشا اعطت ازمتها شياطينها فقادتها باعنتها الى النار فمنهم من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اظهره الله تعالى عليه ومنهم من اسر الضغينة حتى وجد على النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى فى كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن انى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به عاهدت الله تعالى على ان أقتل أباك وقد قتلته فان تخلنى أقتل معاوية فان أنا قتلته أضع يدى على يدك وان أقتل فهو الذى تريد فقال الحسن رضى الله عنه أما والله لا سبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله ❊ ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى رضى الله عنه سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور فى الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذى فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة فى الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع شبر الا وفيه أثر من طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا أموت على فراشى لا نامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لا ترعبونا بالسيوف المرقه ✻ ان السهام بالردى مفوقه
والحرب دونها العقال مطلقه ✻ وخالد من دينه على ثقه

رضى الله عنه ❊ الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته بطل شجاع لا يمارى وشهم لا يجارى قتله عمرو بن جرموز اغتالا وهو فى الصلاة ❊ عمرو ابن معديكرب الزبيدى فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا وروى عنه رضى الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمرو أى السلاح أفضل فى الحرب قال فعن أيها تسأل قال ما تقول فى السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول فى الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول فى السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انى عابر على هذا الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عرفنى القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بنى زبيد علام تدعون صاحبكم

والله ما ظن انكم تدركونه حيا فلما وافانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فغار وشب فصرعني ويروى انه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند في وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس

اذا مات عمرو قلت للخيل اوطئي * زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

* طلحة الاسدي رضي الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا عظيما ففل خالد بن الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح * المقداد بن الاسود رضي الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوي الجنان رابط الجأش وله في الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضي الله عنه وأرضاه * سعد بن أبي وقاص الزهري الانصاري رضي الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو أول من رمى في سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف انفه * أبو دحانة الانصاري رضي الله عنه الذي خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام انها لمشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع * المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف في حرب القادسية * عمار بن ياسر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر انه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع علي رضي الله عنه * هاشم بن عتبة رضي الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية علي رضي الله عنه بصفين * مالك بن الحرث النخعي الاشتر رضي الله عنه مات مسموما في شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل * القعقاع بن عمرو طاعن الفيل في عشية القادسية رضي الله عنه (الطبقة الثانية) عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذي كان يرى انه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة صف لي عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فرجز من حجارة المنجنيق بين لحييه وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع قتله الحجاج بعد ان حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج ألا الى الله تصير الامور * أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية رضي الله عنه كان أبوه يلقيه في الوقائع ويتقي به العظائم وهو شديد البأس ثابت

الجنان قيل له يوما مابال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لانهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقى عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضى الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد ان يقطع منها فقال له محمد يا ابت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالاخرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه فى الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف انفه بشعب رضوى * عبد الله بن حازم السلمى رضى الله عنه والى خراسان شجيع مضر وفارسها فى عصره قتله وكيع بن أبى سويد بخراسان فى الفتنة * وكيع بن أبى سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والى خراسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره لوجه مات حتف انفه * مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبد الله بن زياد فى الحروب التى كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان * عمير بن الحباب السلمى فارس الاسلام قتله بنو تغلب فى الحرب التى كانت بينهم وبين قيس * مسلمة بن عبد الملك بن مروان فحل بنى أمية وفارسها ووالى حروبها قيل انه جلس يوما يقضى بين الناس بمصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت اقل حياء من هذا قط فكشف عن ساقه فاذا فيها اثر تسع طعنات فقال لها هل ترين أثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلى قيد شبر لما أصابتنى واحدة منهن وما منعنى من تأخيرها الا الحياء وانت تخجلينى قلته * المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن فى بنى العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن ابى داود كان المعتصم يقول لى يا أبا عبد الله عض على ساعدى يا كثر قوتك فاقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسى بذلك فيقول انه لا يضرنى فاروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الاسنان ويقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فاقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان شديدا على كتابة الدينار فيمحوها وياخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا فى العنق * ابراهيم بن الاشتر النخعى كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو فى أربعة آلاف وعبيد الله فى سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحر الجعفى شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخبار فى الشجاعة مشهورة * حجر بن ربيعة العكلى كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا قهر أهل اليمامة وابادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوبخه بتغلب حجر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجه العامل اليه فئة من بنى حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا حجرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفئة فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت حجر قال نعم أصلح الله الامير قال ما جرأك على ما بلغنى عنك قال أصلح الله الامير كلب الزمان وجفوة السلطان وجراءة الجبان قال وما بلغ من أمرك قال لوا بتلانى

الامير وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا حجدر انى قاذف بك فى حاجر فيه أسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الامير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فامر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتاد له أسدا ويحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له أسدا كان كاسرا خبيثا قد افنى عامة المواشى فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه فى تابوت وسجنوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقى فى الحاجر ولم يطعم شيأ ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بحجدر أن ينزلوه اليه فاعطوه سيفا وأنزلوه اليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الاسد ما هو صانع بحجدر فلما نظر الاسد الى حجدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال وارتاعت أهل الارض فشد عليه حجدر وهو ينشد ويقول

ليث وليث فى مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وفتك
وصولة وبطشة وفتك
ان يكشف الله قناع الشك * فانت لى فى قبضتى وملكى

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فاخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما ان نأذن لك فتلحق ببلادك واهلك على ان تضمن لنا ان لا تحدث بها حدثا ولا تؤذى بها احدا قال بل اختار صحبتك أيها الامير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث ان ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان * المهلب بن أبى صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة وأولاده كلهم أنجاد أبطال الا ان المغيرة من بينهم كان أشدهم تمكنا وكان المهلب يقول ما شهد معى حربا الا رأيت البشرى فى وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفى يده شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبد الله بن معمر ما لقى خيلا قط الا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط فى كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب فى الحروب مكايد مشهورة ووقائعه ابادت الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف انفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الاعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفاح

وكان فى الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه فمنهم أبو بلال مرداس خرج فى أربعين فهزم ألفين * وشبيب الخارجى الذى غرق فى الفرات نذرت امرأته غزالة ان تصلى فى جامع الكوفة ركعتين تقرأ فى الاولى البقرة وفى الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وادخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرتها والحجاج فى الكوفة فى خمسين ألفا * ومنهم قطرى بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بأمير المؤمنين وعظموه ويجلوه وأشعاره فى الشجاعة تدل على مكانه منها قتل فى بعض وقائع الخوارج

(الطبقة الثالثة) معن بن زائدة الشيبانى قتله الخوارج بسجستان فى أيام المهدى * الوليد

ابن طريف الشيبانى قتله يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه انه كان يتصيد فتتبع حمار وحش ومازال يركض الى ان حازاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أوسكين فى يده حتى قتله * أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق فى غيره طعن فارسين ردفين فانفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته * ميلا اذا انظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيأ فقال له أتسأل وجدك القائل

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وانا لناس بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

فخرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفه فى طريقه الا وكيل لابى دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فانى علمته على نفسى * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فاتك له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة

(ومما جاء فى مدح السيف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ما خانني يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

خليلى لم أخنه ولم يخنى * اذا ما صاب أوساط العظام
خليلى لم أهبه من قلاه * ولكن المواهب للكرام
حبوت به كريما من قريش * فسر به وصين عن اللئام
ورعت الصفى صفى نفسى * على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل فى آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسرى بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بنى مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه فجد الهادى فى طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان فى يمين يمانى

وقال ابن الرومى

لم أر شيأ حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

وقال زيد بن على رضى الله عنهما

السيف يعرف عزمى عند هزته * والرمح يدرى خبرى والله لى وزر
انا الثأمل ما كانت أوائلنا * من قبل تأمله ان ساعد القدر

وقال عبد الله بن طاهر

بيت ضجيعى السيف طورا وتارة * تعض بهامات الرجال مضاربه

أخو ثقة أرضاه فى الروع صاحبا * وفوق رضاه أننى أنا صاحبه
وليس أخو العلياء الافتى له * بها كلف ما تستقر كتائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له رده على فانه السيف الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له عبد الملك أو تعرفه قال نعم قال بماذا قال أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقال الاجدع الهمدانى

لقد علمت نسوان همدان أننى * لمن غداة الروع غير خذول
وأبذل فى الهيجاء وجهى وانتى * له فى سوى الهيجاء غير بذول

وقال آخر

عشرون ألف فتى ما منهم أحد * الا كالف فتى مقدامة بطل
راحت مزاودهم مملوأة أملا * ففرغوها وأوكوها من الأجل

(ومن أخبار الشجعان) ما حكاه الفضل بن يزيد قال نزل علينا بنو ثعلب فى بعض السنين وكنت مشغوفا باخبار العرب ان أسمعها وأجمعها فبينما أنا أدور فى بعض أحيائهم اذا أنا بمرأة واقفة فى فناء خبائها وهى آخذة بيد غلام فلما رأيت مثله فى حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب واكثر ما أسمع منها أى بنى وهو يتبسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت أنظر اليهما فقالت يا حضرى ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت يا حضرى ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل ان أضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ما هو الا ان صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش أبيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخر قومه وآبائه واجداده فلما ان بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحى الخيلاء فأخذ فى قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق ان نزلنا بمنهل من المناهل بين احياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب ثارلهم وشاء الله تعالى ان أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا معن القوم ولم يبق فى الحى غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا ان ادبر الليل واسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فاهو الا هنيهة حتى احوزوا الاموال دون أهلها وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر

اشفاقا عليه وضنا به حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الاسد وأمر باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صيدا صغيرا لامدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى آذا مدهم وراءه وامتدوا فى أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقال كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به اولا هلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجا بنفسه فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول فى وجوه فتيات الحى هذه الابيات

تأملن فعلى هل رأيتن مثله * اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كأنه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه * من السمهرى اللدن والمرهف العضب
انا ابن ابى هند بن قيس بن مالك * سليل المعالى والمكارم والسيب
ابى لى أن أعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده * صميم الجبال الرواسى لانحطن الى الترب
وعرض نقى أتقى أن أعيبه * وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب
فان لم أقاتل دونكن وأحتمى * لكن وأحميكن بالطعن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين الى أبى * يهنينه بالفارس البطل الندب

وقال الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وقال آخر

فوارس قوالون للخيل أقدمى * وليس على غير الرؤس مجال
بأيديهم سمر العوالى كأنما * تشب على أطرافهن ذبال

وقال آخر

قوم اذا اقتحموا الهجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أوجارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

(ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم) قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل

وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال فى وصف الجبان ان أحس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أغمى عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث خديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان فى فاع اطم مع النساء يوم الخندق فاتاهم فى ذلك اليوم يهودى يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم اخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه فانه ما منعنى من سلبه الا انه رجل فقال مالى بسلبه من حاجة * وقيل كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا فاصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك فى زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج والجارية تكنسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدرى أين هى وبلغ الحجاج ذلك فأمر منادیا أن ينادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث أن أتى له بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندى من أحب الناس الى فاخترت لك ابن عمى شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت انك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدى اسمع قصتى ثم اصنع بى ما شئت قال هاتى ولا تخفى شيأ قالت كنت للفتى القرشى فاحتاج الى ثمنى فحملنى الى الكوفة فلما قربنا منها دنا منى فوقع على فسمع زئير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل على وما برد ما عنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذى اخترته لى لما أظلم الليل قام الى فلما علا بطنى وقعت فارة من السقف فضرط ثم غشى عليه فمكث زمانا طويلا وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمنى به فهربت فزعا منك فاملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به أحدا قالت على ان لا ترد نى اليه قال لك ذلك * وحدث جار لابى حنيفة النمرى قال كان لابى حنيفة سيف ليس بينه وبين العصافرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا فى داره وهو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذى سمعت به اخرج بالعفو عنك قبل ان أدخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على وجل فاذا كلب فدخرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانا حربا * وخرج المعتصم يوما الى بعض

متصيدا له فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجمه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفسك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان * ورأى الاسكندر رجلا يهزم فقال له يا رجل اما ان تغير فعلك واما ان تغير اسمك * ووقع في بعض الغارات فرس فوثب خراساني الى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت * وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة ابي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمه ابن أبي زياد فقال لأن يذمني ابن أبي زياد حيا أحب الي من ان يمدحني ميتا وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفي ذلك يقول بعضهم شعرا

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أنازل منهم كل ليث مناهز
ففي السكر قيس وابن معدي وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول)

(الفصل الاول في المدح والثناء)

* المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها ويكون نعتا جميلا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا في وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وفي حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ في الرد عليه والثاني كأنه يقال له يكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الديلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذي أمره عمر رضي الله عنه على السرية وناداه في خطبته بقوله يا سارية الجبل فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضي الله عنه قوله

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الانصارى رضى الله عنه قوله

لولم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

ولما حجت وزرته صلى الله عليه وسلم تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكى من جملتها

يا سيد السادات جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمى بحماكا
والله يا خير الخلائق ان لى * قلبا مشوقا لا يروم سواكا
ووحق جاهك انني بك مغرم * والله يعلم أنني أهواكا
أنت الذى لولاك ما خلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاكا
أنت الذى من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذى لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذى ناداك ربك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذى فينا سألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
أنت الذى لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوب لضر مسه * فأزيل عنه الضر حين دعاكا
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك ماد حا العلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك فى القيامة مرتج لنداكا
والانبياء وكل خلق فى الورى * والرسل والأملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكا
نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضب قد لباك حين أتاكا
والذئب جاءك والغزالة قد أتت * بك تستجير وتحتمى بحماكا
وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لندكا
والماء فاض براحتيك وسبحت * صم الحصى بالفضل فى يمناكا
وعليك ظللت الغمامة فى الورى * والجذع حن الى كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك فى الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من أمراضه * وملأت كل الارض من جدواكا
ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما * جرحا شفيتهما بلمس يداكا
وعلى من رمد به داويته * فى خيبر فشفى بطيب لعاكا
وسألت ربك فى ابن جابر بعدما * قدمات أحياه وقد أرضاكا
ومسحت شاة لام معبد بعدما * نشفت فدرت من شفار قياكا
ودعوت عام المحل ربك معلنا * فانهل قطر السحب عند دعاكا

ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين ندا كا
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هنا كا
أعداك عادوا فى القليب بجهلهم * صرعى وقد حموا الرضا بجفا كا
فى يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعدا كا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافا كا
هود ويونس من بهاك تحملا * وجمال يوسف من ضياء سنا كا
قد فقت يا طه جميع الأنبيا * نورا فسبحان الذى سوّا كا
والله يا ياسين مثلك لم يكن * فى العالمين وحق من نبا كا
عن وصفك الشعراء يا مذثر * عجزوا وكلوا عن صفات علا كا
انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * وأتى الكتاب لنا بمدح حلا كا
ماذا يقول المادحون وماعسى * أن يجمع الكتاب من معنا كا
والله لو أن البحار مدادهم * والعشب أقلام جعلن لذا كا
لم تقدر الثقلان تجمع ذرة * ابدا وما اسطاعوا له ادرا كا
لى فيك قلب مغرم يا سيدى * وحشاشة محشوة بهوا كا
فاذا سكت ففيك صمتى كله * واذا نطقت فمادح علیا كا
واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى آلا كا
يا مالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغنا كا
يا أكرم الثقلين يا كنزا لورى * جد لى بجودك وارضنى برضا كا
أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سوا كا
فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا مستمسكا بعرا كا
ولأنت أكرم شافع ومشفع * ومن التجا لحماك نال وفا كا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لوا كا
صلى عليك الله يا خير الورى * ما حنّ مشتاق الى مثوا كا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والا كا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى وأثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والاشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له يا هذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه * وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت أنى حيث أنتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك

* وقال المحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاة الخير فى عمنه قذى * ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال اعرابى لرجل لا يذم بلد أنت تأويه ولا يشتكى زمان أنت فيه وكان الحجاج يستثقل زياد ابن عمرو العكلى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لا عمرو أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لابى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم لبوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان

وقال أوس فى حاتم الطائى

فان تمسكى مارية الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه * فكاك أسير أو معونة غارم

وقال ابن حمدون فى آل المهلب

* آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
* شاد المهلب مابنى آباؤه * وأتى بنوه مابناه فشادوا
وكذاك من طابت مغارس نبته * وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا وقال سرى بن عبد الرحمن الرقاء فى خالد بن حاتم

ياواحد العرب الذى دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا
انى لأرجو ان لقيتك سالما * ان لا أعالج بعدك الاسفارا

وقال كعب بن مالك الانصارى فى آل هاشم

يا آل هاشم الاله حباكم * مالم يبلغه اللسان المفصل
قوم لاصلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبى المرسل

وقال الحسين بن دعبل الخزاعى

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود فى أمواله * وأطاع أمر الله فى أحكامه

وقال آخر

يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لسنى القنا * فعقرت ركن المجدان لم تعقر
واذا تراءى شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر
أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتنى الاعداء ان لم تنحرى

وقال شاعر بنى تميم

اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أثاروا
يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جار بنى تميم * فأنت لأكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بنى نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذى يقول

لعمرى ما رماح بنى نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الاعجم قالت أشهدكم ان له الثلث من مالى وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحات اذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة وعلى المعالى مقصورة كالذهب الابريز الذى يعز كل أوان والشمس المنيرة التى لا تخفى بكل مكان هو النجم المضىء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن هانئ

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

وله فى الفضل بن الربيع

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * بجود كفك تأسو كل ما جرحا

وقال زياد الاعجم فى محمد بن القاسم الثقفى

ان المنابر أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب سورة سودد من مولد

ومن بدائع مدائح المتنبى قوله

ليت المدائح تستوفى مناقبه * فما كليب وأهل الاعصر الاول
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فاعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع ان يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان احدكم يأتينا بمدح حنافية تغزل فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بابيات يسيرة ثم قال

انى أمنت من الزمان وصرفه * لما عقلت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجوه نعالا

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فأذن له وعنده الشعراء فانشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشدك أيها الامير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فانشده قصيدته التي منها قوله

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فاى فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فما فاته جود ولا ضل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب لها طربا وأمر له بالف دينار ووصيف ووصيفة (وحكى) أن أبا دلف سار يوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للاخرى هذا ابو دلف قالت نعم الذى يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فبكى أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخى تبكى فقال لانى لم أقض حق الذى قال هذا قال أولم تعطه مائة ألف درهم قال والله ما فى نفسى حسرة الا لكونى لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال بعضهم

اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

*وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن جيوش محمد بن نصر صاحب حلب فاجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لازهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فجاد أبو نصر بالف تصرمت * وانى على أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمدانى انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يعطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وقال آخر

أخو كرم يفضى الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود فى مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ودخيله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله مواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وغوثه مبذول للضعيف يطفو جوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تتفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فواضله ان طلبت كريما فى جوده مت قبل وجوده أو ماجدا فى أخلاقه مت ولم تلاقه باسل تعود الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى الاحجام عارا لا تمحوه الايام له خلق لو مازج

البحر لنفى ملوحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار أطيب من زمن الورد فى الايام وأبهج من نور البدر فى الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المتشتتة فى مودته هو ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كأنما أرجى التوفيق الى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يعبث بالكلام ويقوده بألين زمام حتى كأن الالفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره والمعانى تتغاير فى الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه بشتدمرة حتى تقول الصخر أو أيبس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو اذا أنشأ وشى واذا عبر حبر واذا أوجز أعجز تاهت به الايام وباهت فى يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

وقال آخر

لو كان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الافلاك طالع سعده * ما صار نحس فى نجوم سمائه

وقال آخر

ووجهك بدر فى الغياهب مشرق * وكفك فى شهب السنين غمام
عجبت لبدر لا يزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

وقال الحسين بن مطير الاسدى

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصبح على الارض معدم

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

والله ما عجبى لقدرك أنه * قدر على باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

ولصفى الدين الحلى

أثنى فتثنينى صفاتك مظهرا * عياوكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أننى والخلق جمعا ألسن * نثنى عليك لما قضينا الواجبا

وللشيخ برهان الدين القيراطى

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر فى الافق
كما أحاديث الندى عنكم * تسندها الركبان من طرق

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

روت عنك أخبار المعالى محاسنا * كفت بلسان المحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

وقال غيره

من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولابى فراس بن حمدان

لئن خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

وقال آخر

ان الهمات التى جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازالت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العليا ء مقتصر

ولمحمد بن مناذر فى آل برمك

أتانا بنو الاملاك من آل برمك * فياطيب أخبار وأحسن منظر
لهم رحلة فى كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المنور
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فاخلقت الاجود اكفهم * وأقدامهم الالسعى مظفر
اذا رام يحيى الامر ذلت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وأنشد

ليت شعرى أى قوم أجدبوا * فاغيثوا بك من بعد الجحف
نظر الله لهم من بيننا * وحرمناك بذنب قد سلف
ياأبا اسحق سر فى دعة * وامض محبوبا فما منك خلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

وقال آخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا فى شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فأنتم سادة الناس

وللحسين بن مطير الاسدى فى المهدى

لو يعبد الناس يا مهدى أفضلهم * ما كان فى الناس الا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة * لابل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة * فى السود طرا اذن لابيضت السود

وقال آخر

أوليتنى نعما وفضلا زائدا * وبررتنى حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم * ما كنت الا راكعا لك ساجدا

ثناؤك فى الدنيا من المسك أعطر * وحظك فى الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والانامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر
أعذك بالرحمن من كل حاسد * فلا زالت الحساد تغبى وتصقر
لسانى قصير فى مديحك سيدى * لانى فقير والفقير مقصر

*(الفصل الثانى من هذا الباب فى شكر النعمة) *أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل عن أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أى أيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى أن داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتنى وفى هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر ولمحمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى * وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث ويروى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر * وأما الشكر الذى على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبى حازم فقلت له يرحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بهما شرا استرته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته وفى حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا انه قد أخل بالشكر اما انه لا يزكى ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان او اطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لو

صدق السائل ما افلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تحدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دعى الى أقوام ليأخذهم على ربية فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فاعتق رقبة شكر الله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم وروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبي الله أنا على قدرى أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أنى ايجلك لسألتك أن تنزع منى ما أعطيتنى وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام فى محرابه اذ مرت به دودة فتفكر فى خلقها وقال ما دعا الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقالت يا داود تحمدك نفسك وأنا على قدر ما آتانى الله تعالى أذكر الله وأشكر له منك على ما آتاك وقال على رضى الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اتصالها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة فى المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه * بواجبه وتقضى بعض حقه
فلم تقصد لطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

وقال آخر

ولو أن لى فى كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المن وروى اذا جحدت الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود فى أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد فى الشمس وجارية حسناء ترف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الاعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخبر فتدافعته الامور فقلت يا أمير المؤمنين بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لأشكرن لك معروفا هممت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وقال

وقال أبو فراس بن حمدان

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذى شكر تمانعنى أخرى
سأتى جميلا ما حييت فانني * اذا لم أفد شكرا أفدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من امتطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى ان الذى صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك لمسلمة

أمسلمة يا فخر كل خليفة * ويا فارس الدنيا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشاكرين على الغنى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكره فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم انى أنعمت على بنى سام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن على ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم انها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وان شاء آخذه قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى رجل رجلا اعرابيا خيرا فقال لا أبلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكرك لا انى أحاذيك منعما * بشكرى ولكن كى يزاد لك الشكر
وأذكر أيامالدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وقال آخر

أوليتنى نعما أبوح بشكرها * وكفيتنى كل الامور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

وقال آخر

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة * الى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذرى اقرارى بأن ليس لى عذر

وقال محمود الوراق

الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا

ان ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا * كانى بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب فى وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل اشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك المناصحة

(الفصل الثالث من هذا الباب فى المكافأة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافؤه فان لم تقدروا فادعوا له وما قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يا رسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لاصحابى مكرمين وقيل أتى رجل من الانصار الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال

اذكر صنيعى اذ أتاك ذو سفه * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر بأعلى صوته ادن منى فدنا منه فأخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال ألا ان هذا ردّ عنى سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد فى عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدى عندك بيضاء قال وما هى قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك قبل غلمانك فأخذت بعضدك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فاين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بمائتى ألف درهم وبما علمكه الحاجب اذ حجبك عنا وقال قطرى بن الفجاءة لخارجى أسره الحجاج ثم من عليه فأطلقه عاود قتال عدو الله فقال هيهات شديدا مطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * يد تقربانها مولاته

ماذا أقول اذا وقفت أزاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته

أأقول جار على لانى اذا * لأحق من جارت عليه ولاته

وتحدث الاقوام أن صنائعا * غرست لدى لحفظات نخلاته

واجتاز الشافعى رحمه الله تعالى بمصر فى سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه ومسحه وناوله اياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبى فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان

من سره شرف الحياة فلا يزل * فى عصبة من صالحى الانصار

البائعين نفوسهم لنبيهم * بالمشرفى و بالقنا الخطار

الناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار

فقام أنصارى فقال يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة على قدر ستون من الابل كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندى ستون ألفا وستون من الابل وعن على كرم الله وجهه أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم وقال المدائنى رأيت رجلا يطوف

بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا فى سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشى الناس فكان حقا على الله أن يركبنى حيث يركب الناس

(ومما جاء فى المكافأة) ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب النحو أيح فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن ابى خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يابنى ان لا بيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يابنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لا يملك شيأ فاشتدت به الامر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شئ نقتات به قال فبكيت يابنى لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم علىّ وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالأمس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابنى جوابا فرجعت الى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع ابى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى رجل فقال لى قد ذكرت الساعة ببابه أمير المؤمنين فلم ألتفت لقوله فاستقبلنى آخر فقال لى كمقالة الاول ثم استقبلنى حاجب ابى خالد فقال لى أين تكون قد أمرنى أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى وأمر لى بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الخياطين فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا منى غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم اشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال لى قم معهما فلما خرجنا قالا لى ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك فيه الربح الهنى فدخلنا مسجدا فقالا لى انك تحتاج فى هذا الامر الى وكلاء وأمناء وكالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شئ فهل لك أن تدعنا شركتك بمال نجعله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانى وأنا لا أرضى الى أن قالا لى ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه واخبرته

فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ماذكر قالا نعم قال اذهبا فأقضياه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فأصلحت شأنى وقلدنى ماوعدنى به فمازلت فى زيادة حتى صار أمرى الى ماصار ثم قال لولده الفضل يابنى فما تقول فى ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وماجزاؤه قال حتى لعمرى وجب عليك له فقال والله ياولدى ما أجد له مكافأة غير انى اعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك رضى الله عنه وهكذا تكون المكافأة

(ومن ذلك ماحكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى ياعباس قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به الى فى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به مايجب الا أن يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفى فمازلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ماتحملنى رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فمازال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شئ ولم يفتر عن تفقدى حوالى فاقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى فاعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم أرلهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى

أظن انه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فأقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع الى نسخة ما فى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأنى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فاعتنقته وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى اصارك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة ووفيت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال على بالفرس الفلانى والفرس الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتجبت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فاردّ وأقتل فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجبت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الأمر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحفظ وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون يقول لك أمير

المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شانك وما تريد أن تفعله في أمري قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انني أريد أن أفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عني فاكون قد وفيت وكافأت واما أن يقتلني فأفديه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا الا غير هلا عرفتني خبره فكان كافئه عنك ولا تقصر في وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له لتزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم * ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه ما أورده محمد ابن القاسم الانباري رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفادرهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بامي يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فاردت أن أحدثك بشيء فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى

خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كانت فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فاتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لأبي فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الي فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الي منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشيء أظرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فاذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فاعجبه ذلك وأمر لي بالفي دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فخاد ثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلي فاذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الاعمى فدفعت اليه الالفي دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأني على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالي فاخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى) ما حكاه القاضي يحيى بن أكثم رحمة الله عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف قائل هذا البيت

أتخبر أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة أحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لا أهتدي الى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسبب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحالنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من

النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتنى حيرة وجعلت اضطرب واذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذى رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل زال غيهبه * عند الصباح فى الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى وبكرى الى جانبى فأنخته وركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادى
* الا تخبرنى بالله خالقنا * من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغتنا منا * بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكر الى وهو يقول

أنا الشجاع الذى ألفيتنى رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادى
فقدت الماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بأن كادا
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منى لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع * والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله الباب الثالث والاربعون)

(فهرسة الجزء الثانى من كتاب المستطرف)

صحيفة	
٢	الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته
٨	الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان
٨	الفصل الاول فى الصدق
٩	الفصل الثانى فى الكذب وماجاء فيه
١٠	الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق الخ وفيه فصول
١١	الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق
١١	الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم الخ
١٤	الفصل الثالث فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة
١٥	الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم الخ وفيه فصول
١٥	الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق
٣٥	الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب الخ
٣٧	الباب الثامن والاربعون فى الشباب والشيب والصحة الخ وفيه فصول
٣٧	الفصل الاول فى الشباب وفضله
٣٨	الفصل الثانى فى الشيب وفضله
٤٠	الفصل الثالث فى العافية والصحة
٤١	الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام
٤٢	الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب الخ
٤٧	الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وماقيل فى الوداع الخ
٥٣	الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه
٥٩	الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه
٦١	الباب الثالث والخمسون فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فأجاد
٦٦	الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك
٦٧	ذكر أنواع الهدايا والخلفاء ونحوهم الخ
٦٩	الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات الخ والحرف الخ
٧٣	الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه الخ وفيه ثلاثة فصول
٧٣	الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله
٧٦	الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت الخ
٨٤	الفصل الثالث فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر
٨٦	الباب السابع والخمسون فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة الخ
٩٢	الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان
٩٣	الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستصاء بهم خبرا
٩٤	الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم
٩٥	الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم الخ
٩٩	الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة الخ

صحيفة	
١٠٩	الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد الخ
١١٧	الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام الخ
١٥٥	الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم
١٥٩	الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم
١٦٢	الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب الخ وفيه فصول
١٦٢	الفصل الاول فى ذكر البحار
١٦٦	الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون
١٦٨	الفصل الثالث فى ذكر الآبار
١٦٨	الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال الخ وفيه فصول
١٦٨	الفصل الاول فى ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب
١٦٩	الفصل الثانى فى ذكر الجبال
١٦٩	الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها
١٧٣	الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها
١٧٦	الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ
١٨٢	الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم الخ

صحيفة	
١٨٧	الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى
١٩٣	الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به الخ وفيه فصول
١٩٣	الفصل الاول فى وصف العشق
١٩٥	الفصل الثانى فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف
١٩٩	الفصل الثالث فى ذكر من مات بالحب والعشق
٢٠٦	الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت الخ
٢٧٤	الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن الخ وفيه فصول
٢٧٤	الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه
٢٨١	الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة
٢٨٣	الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء
٢٨٤	الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن
٢٨٥	الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه
٢٨٧	الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها
٢٨٩	الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه الخ وفيه فصول
٢٨٩	الفصل الاول فى النهى عن المزاح
٢٩٠	الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم

صحيفة	
٢٩٢	الباب السادس والسبعون فى النوادر والحكايات وفيه فصول عشرة
٢٩٢	الفصل الاول فى نوادر العرب
٢٩٥	الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء
٢٩٦	الفصل الثالث فى نوادر القضاة
٢٩٧	الفصل الرابع فى نوادر النحاة
٢٩٨	الفصل الخامس فى نوادر المعلمين
٢٩٩	الفصل السادس فى نوادر المتنبئين
٣٠٠	الفصل السابع فى نوادر السؤال
٣٠١	الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين
٣٠١	الفصل التاسع فى نوادر النواتية
٣٠٢	الفصل العاشر فى نوادر جامعة
٣٠٣	الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصلان
٣٠٣	الفصل الاول فى الدعاء وآدابه
٣٠٥	الفصل الثانى فى الادعية وماجاء فيها
٣١٤	الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله عز وجل
٣١٨	الباب التاسع والسبعون فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار
٣٢١	الباب الثمانون فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء الخ وفيه فصول
٣٢١	الفصل الاول فى الامراض والعلل وماجاء فى ذلك من الاجر والثواب
٣٢٢	الفصل الثانى فى ذكر العلل كالبخر والعرج الخ
٣٢٤	الفصل الثالث فى التداوى من الامراض والطب
٣٢٧	الفصل الرابع فى العيادة وفضلها
٣٢٨	الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله
٣٣٢	الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى الخ وفيه فصول
٣٣٢	الفصل الاول فى الصبر
٣٣٤	الفصل الثانى فى التعازى والتأسى
٣٣٧	الفصل الثالث فى المراثى
٣٤٢	الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها
٣٥٠	الباب الرابع والثمانون فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(تمت)

الجزء الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف
تأليف الامام الاوحد العالم العلامة اللوذعى
الفهامة الشيخ شهاب الدين أحمد
الابشيهى تغمده الله
بالرحمة والرضوان
آمين

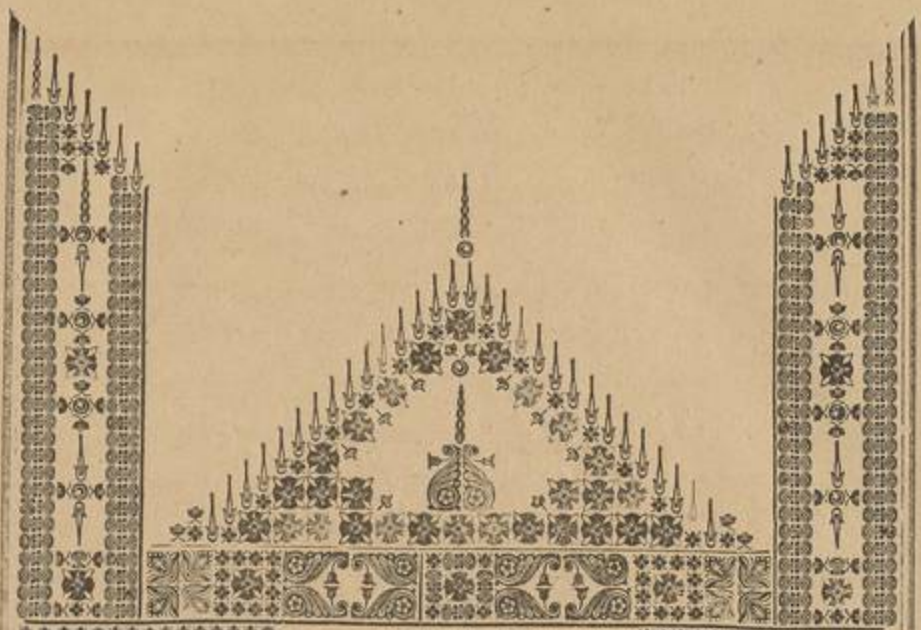

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته)

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا او رهابا قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فحده فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال متاع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

أنى من القوم الذين همو همو * قتلوا أخاك وشردوك بمقعد
شادوا الذكر بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهته لبيت شعر متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * بأول انسان نرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالمهجو ما روى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله
أرى بى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف ارحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتنى أتموت ابنتى قال لا قال افتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع سلق الى حلقى فى حرمك قال ولم تركت رأسك قال لا نظر ما تصنع وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صاراذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر ومالقيت قبيلة من العرب بهجو مالقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

ياطلوع الرقيب من غير الف * ياغريما أتى على ميعاد
ياركودا فى وقت غيم وصيف * ياوجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه دواد بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودى
فالحش انت له وذاك بمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك ياقبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد

أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جواد لست تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الاثر

وقال المبرد فى حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

وقال فيه أيضا

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب فى الغنم
ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة * فى غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد * وقال رجل لاخيه لابويه لأهجونك هجاء

يدخل معك فى قبرك قال كيف تهجونى وأبوك أبى وأمك أمى قال أقول

بنى امية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

ودخل يعقوب على المهدى فأخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدى وانحدر الى البصرة لينظر فى أمره فسمع أذانا فى ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يازنديق عجب ان يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضربه سبعين سوطا حتى اتلفه بها والقى فى سفينة فقال عين الشمس قمق ترانى حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى فى سفينه

فلما مات ألقيت جنته فى الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فاتبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضى فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتنى دهماء الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما دحض الله لى حجة * ولاخيب الله لى قافيه
ومن خفت من جوره فى القضاء * فلست أخافك ياقافيه

فقال عافية لاشكونك الى أمير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتنى قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لاتعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدى وعنده اسمعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس ابن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله لئن لم تهج واحدا ممن فى هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من ان أهجو نفسى فقلت

الا ابلغ لديك ابا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا اجازه وقال ابن الاعرابى ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب فى محمد بن هاشم

لم تتذكفالك من بذل النوال كما * لم يتذ سيفك منذ قلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل السارى ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها
وبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربي سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في حلباتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت * في أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ما راعني شيء سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تطن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها * وترابها كالرمل في خشناتها
واليوم عاكفة على أرجائها * والدود تبحث في ثرى عرصاتها
والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكي الخيول الجرد في حلباتها
والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على ارجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها

وبدارنا ألف غراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها
أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * أخراى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بمن أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

ولبعضهم فى بلان

أشكو الى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهرى فأدمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا

وبلان له ظفر يباهى * به حد الشفار المرهفات
هرى جسمى فألبسه نحيفا * على حلل الستور السابلات
ورام يلين أعضائى برفق * فأيبسها وكسر فوقعاتى
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
وأعمى مقلتى بصنان ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

ولبعضهم فى حمام

وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يانظام الملك أنى * أعاود من ذراك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهى نهب * بأفواه السقاة وما وردت
يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

وممن عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى
فان أنت أنجزت لى ماوعدت * والا هجيت وأدخلت فى
وقد علم الناس ما بعد فى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

وله أيضا يقول

أعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكني سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال آخر

اذا رمت هجوا في فلان تصدني * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عنها اذا ما رأيتها * وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب انها * اذا ضحكت في أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسي ويصبح

ولبعضهم في عظيم أنف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دد عموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

وفيه أيضا

رأينا للزكي جدار أنف * بضاهي في تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكي يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولبعضهم في أبخر مخنث

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكري في مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالأثير يدفع ما فيه الى فيه

ولصفي الدين الحلي

رأى فرسي اصطبل عيسى فقال لي * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأنني * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعي * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وله أيضا

ابهنك ان لي ولدا وعبدا * سواء في المقال وفي المقام
فهذا سابق من غير سين * وهذا عاقل من غير لام

وله في طبيب يدعى اسحق

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة ان لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

وله فى أحمق طويل اللسان

لوان قوة وجهه فى قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
أوكان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الاموالا

وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال

أنى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت ان المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

*وقيل لبعضهم ما تقول فى فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتفض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته وقال أبو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابى العيناء ما بقى أحد فى المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلازال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى الصدق) قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم *وقال عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك وما أحسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغنى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبد الله لما حضرت أبى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه اقر به والله ما كذبت كذبة قط منذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية المنطق الصدق وقال محمود الوراق

الصدق منجاة لاريابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الابه * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبى صفرة ما السيف الصارم فى يد الشجاع باعزله من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق * ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعى *

ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالمحرأ حرى * وقال عتبة بن أبي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب اقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الخذ للحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد قرشي غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ما قبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضربك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى * وقال عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا * يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشيء يظنه الاجاء على ظنه * وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ما عدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فانكحك الصدق * وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

(الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وما جاء فيه) قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به * ويقال راوي الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان * وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهي لكل واصف كذب الى يوم القيامة * قال الاصمعي قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا اني أخاف أصدق في هذا لقلت لك لا فتعجب وقال محمود بن أبي الجنود

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

* ويقال فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتي وانى والله لاجد به مع ما يلحقني من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ما يأتيني من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله ولبعضهم

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
فتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صبي في قوم افاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبد الله بن السدى قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب اليناء من الحديث * وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى أنينه في سقمه وحتى ان الصبي ليبكي فتقول له أمه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب قال الشاعر

لا يكذب المرء الا من مهانته * او فعله السوء أو من قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء في جد وفي لعب

* ولما نصب معاوية رضى الله عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بألوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر انى لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فاستنا نطمع في انزاجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها * وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين او أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا بكذب * وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع وأصاب أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا * وكان عمرو بن معدي كرب مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معدي كرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضى الله عنه والحمد لله وحده

* (الباب الخامس والاربعون في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول) *

الفصل

*(الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق) *قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا *وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا *وقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك الى المصير *وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا *وعن على رضى الله عنه لو علم الله شيأ فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار *وقيل ان رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبى صالح عن أبى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصنى قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبى ثم قال يا موسى ألا ان رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو فى يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة فى يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ان لى أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها مطية فهل أدت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبى وبات آخر يصلى ولا يسرنى ليلته بليلتى *وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذى لا ينتصف منه وقيل لعلى بن الحسين رضى الله عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى يدها الى ما تسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

*(الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدوا أو صديقا * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قلت لسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذى نفسى بيده ان الرجل يشتهى أن يكون له ولد فيكون حمله

ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله عنه انى لاكره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلوة مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمر يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمى ان تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فأرضهم وان سألوا فأعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنتظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتى ألف درهم ومائتى ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائى أنه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبى أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمنه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى أن ألقى عليهما أبوابا من النحو فسألتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمرى أفق وفرعين شامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلى أمير المؤمنين وحائزى * مواريث ما أبقى النبى محمد
بسدان انفاق التفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دخل أخرج الله منه زق عسل يعنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه * وسب أعرابى ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حق عليك

* قال سيدى عبد العزيز الدرينى رحمه الله

أحب بنيتى ووددت انى * دفنت بنيتى فى قاع لحد
ومالى أن تهون على ولكن * مخافة ان تذوق الذل بعدى
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندى
وان زوجتها رجلا غنيا * فلطم خدها وسب جدى
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندى

وقال هرون بن على بن يحيى المنجم

أرى إبنى تشابه من على * ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

وقال أبو النصر مولى بنى سليم

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوى

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يرقص ولده ويقول

ازهر من آل بنى عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألده كما الدريق

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد
اهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

وكان اعرابى يرقص ولده ويقول

أحبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بداله *

وكان لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى * أنقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى * لاتدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جاريه * تغسل رأسى وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه
ازرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه
* أصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتى ألف درهم والله أعلم

(ومما جاء فى الاولاد البلداء القليلى التوفيق) قيل نظر اعرابى الى ولده قبيح المنظر

فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء ليترطوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابي كلنا حمزة فأي حمزة تعني فقال له أبوه ليس يعنيك يا من أحمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله في حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

فأجابه

مشبه بك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

* ونهى اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت على الآن طابت لي الخمر
سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

* (ومما جاء في صلة الرحم) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اى قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم * وحدثنا أبو سهل عن صالح بن حرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الاحبار أنه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة مكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسيرك وأصرف عنك عسيرك * وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر وذكر تمام الحديث

* (الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) * قال عمر رضي الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأي وأفضل الثواب الا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه * وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بمعرفان نسبها * وسئل عيسى عليه السلام اى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أي هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال

الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا انزعه عرق أبي كبشة حيث خالفهم في عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيري سألت واصل ابن عطاء عن نسبه فقال نسبي الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام علي كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير فانك بهم تصول و بهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم * وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته * ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بأنك لا تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

(الباب السادس والاربعون في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهي الحسن والجمال * كان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر اللون واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر مجرى كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه في رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما في جبينه زج وفي عينيه دعج وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن * قال أنس رضي الله عنه ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلي عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار * وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى)

انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا * وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى * وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهى الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا اكف نساء

وقال كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

(ومما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)

(ما قيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبى

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت لنا فى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا

لبس الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وقال الصفدى

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر

أرخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منه الغوال
فقلت والقصد ذؤاباته * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

وقال آخر

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

وقال ابن المعتز

توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محياها واضح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومما قيل فى الاصداغ قال ابن المعتز

ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

وقال العادلى

وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر

وماضره نار بخديه الهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر

حل القباء ولوى صدغه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى نسيماه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

وقال محمد بن وهب

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
* ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

وقال آخر

ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجداء علىه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر

ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر

اصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

وقال آخر

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاحالوعة وبلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر

من لارأى كعبة الحسن التى حوست * بالنمل حيث مقام النحل فى فمه
فليتطر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

وقال بدر الدين الدمامينى

تحدث ليل عارضه بانى * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

وقال آخر

وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكننى * خلعت العذار على خده

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفا

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى وردخديه حماة عذاره * فياحسن ريحان العذار حماحمى

وقال ابن نباتة

وبهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فذب عليه

وقال الموصلى

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقال آخر

اصبحت مكسور ابسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلنى وذا من شانه

وقال آخر

ياصاح قد حضر المدام ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالانياس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

ابن نباتة

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر

غدا الماء التحى ليلا بهيما * وكان كأنه فرمنير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير

آخر فى ذمه

قلت لاصحابي وقد مر بي * منتقما بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودي قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

وقال آخر

مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طر سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

وقال آخر

مازال يحلف لي بكل اليمة * ان لا يزال مدى الزمان مصاحبي
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

ابن المعتز

يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاكشف السقام الذي في لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل في الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقال آخر

غزاني الهوى في جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة اجنادها العين المها * وميمنة تقضي بزج الحواجب

وقال آخر

ايا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح في صباح في صباح

(ومما قيل في العيون) قال الاصمعي ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحمد بن الرقاع في قوله

وكأنما دون النساء أعارها * عينيه احور من جآذر جاسم
وسنان اقصده النعاس تلاعبت * في جفنه سنة وليس بنائم

وقال ابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح احشائي بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال الاخطل

ولا تلمم بدار بني كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

وقال أبو فراس وأحسن

وبيض بالحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وقال آخر

ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه
قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

وقال أبو هتان

أخو دنف رمته فأقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فوانك لا يقال سوى احورارى * بهن ولا سوى الاهداب ريش
اصبن فؤاد مهجته فاضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كشيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى اناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الانس

عز الدين الموصلى

لها عينان لما غزو وغزل * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

برهان الدين القيراطى

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

وله أيضا

يا بى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

بدر الدين بن حبيب

عيناه قد شهدت بأنى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين بن خطيب داريا

شهدت جفون معذبى بملالة * منى وان وداده تكليف
لكننى لم أنأ عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال الشيخ عز الدين الموصلى

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه * لا تحرقينى بنارك

وقال ابن الصائغ

لمثلى من لواحظها سهام * لها فى القلب فتك أى فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

وقال

وقال الصلاح الصفدى

ياعاذلى عـلى عـين محجبـة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لاترم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر

بسهم اجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

وقال آخر

سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى * واقدرها على قتل البريه

(ومما قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كان الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

لابن الصائغ

بروحى افدى خاله فوق خده * ومن انا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

للشيخ جمال الدين بن نباتة

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لايرث

وقال آخر

ياسالبا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
احرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

للشيخ تقى الدين بن حجة

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت ياعبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

وقال ابن أيبك

فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال الحسين بن الضحاك

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى
نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير

فبخـديك للربيـع رياض * وبخـدى للدموع غـدير

وقال آخر

ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شئ أسرته وأعـلم انه * وحياته أحـلى من اللـذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

وقال آخر

انفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلى فى البارد

وقال آخر

رأى ثغرمن أهوى عذولى فقال لى * ولم يدران اللوم فى خده يغرى
شغلت بهـذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

وقال ابن رمان

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التمام
لاتعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

اسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كياض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

قال شهاب الدين الكردى

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر
وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

غيره

رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

الصلاح الصفدى

نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

وقال آخر

ثلاث تجمعن فى ثغرها * ملاح ادلتها واضحه
فان قيل ما هى قل لى اقل * هى الطعم واللون والرائحه

وقال آخر

يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه

دارت مراشفه على كاسه * فسكرت فى الحالين من خطوه

وقال آخر

أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فكدت منه لن افيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا

(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى

ولما التقينا والنقا وعدلنا * تنجب رائى الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال سلم الخاسر

ظللنا فبتنا عند دام محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا فجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومى

يمسى ويصبح معرضا فكأنه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * دريساقطه الى لسانه

وما أحسن هذه الابيات وهى من طارف الشعر ووافره وناقده وجيده الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف
جرحن باعناق الظباء وأعين * السجاذر وارتجت بهن الروادف
رجحن بارداف ثقال وأسوق * جذال واعضاء عليها المطارف

(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء عتيد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى اخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان * فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فغوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى * فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا * اذا حركته خطا مالا
اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالخمر سالا

وقال بشار

وما طفرت عينى غداة لقيتها * بشئ سوى اطرافها والمحاجر
كحورا من حور الجنان غريرة * يرى وجهه فى وجهها كل ناظر

ومنه اخذ ابو نواس قوله

نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهى فى وجهه

وقال آخر

توهمه قلبى فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى جسمه فجرحته * ولم ار جسما قط تجرحه الفكر

وقال آخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نفحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقال آخر

واهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو انجلته بالقول جهدى * لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل فى التقبيل) لمظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته فى ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه
فها كها فى الخد واقنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

وقال صاحب حماة

قال الذى تيمنى * قولوا لمن خبلته يروم منى قبلة * لو مات ما قبلته

الشيخ عز الدين الموصلى

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور
سوى ان ذاك بعيد المزار * وهذا قريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا اكثر

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * نحلا وماس بعطفه المماس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

وقال آخر

قبلت رجل حبيبى * فازور واحمر خدا

وقال تلثم رجلى * لقد تنازلت جدا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدا
رجل سعت بك نحوى * حقوقها لا تؤدى

(ومما قيل فى الوجه الحسن) ابن نباتة

انسية فى مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

عبد الله بن أبى خبيص

تصد من غير علة * بالعز أضحت مذلة
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظلة
وان أضاءت بليل * تفوق نورا الاهلة

وقال آخر

اقسم بالله وآياته * ما نظرت عينى الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

وقال آخر

أقيمى مكان البدر ان أفل البدر * وقومى مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

عمر بن أبى ربيعة

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلها من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم فى سوى هذا اختلف

أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال

لو ان اجماعا فى فضل سوددة * فى الدين لم يختلف فى الامة اثنان

وقال آخر

يا مفردا فى الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلى
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملى

وقال آخر

ففى أربع منى حلت منك أربع * فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
أوجهك فى عينى ام الريق فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندى قال هذا تقسيم فلسفى وجعله العلوى خمسة فقال

وفى خمسة منى حلت منك خمسة * فريقك منها فى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى * ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

ابن نباتة

أيها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

محمود المخزومى

رأيتك فى الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عينى أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضىء اذا تمسى

وقال آخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل فى البنان المخضب) قال ابن الرومى

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع وأربع وثلاث * اسرت قلب صبها المشتاق
قلت من أنت ياغزال فقالت * انا من لطف صنعة الخلاق
لاترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

وقال الراضى بالله

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * فى خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

وقال آخر

لما اعتنقنا للوداع واعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر

* ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى اهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت واذكرت فى الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فصبغته * بكفى فاحمرت بنانى من دمى

وقال آخر

دنون عشية التوديع منى * ولى عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن اكراما لجفونى * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل فى النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهى بالعيون و بالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضى * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل فى نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

والله لولا ان القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

وقال آخر

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك

وتبكى حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين فى حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممسك
وقد سفرت عن غرة يابلية * وصدر به نهد بحق مفلك

عمر بن كلثوم

تراك اذا دخلت على خلاء * قدامتدت عيون الكاشحينا
انهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من آكف اللامسينا

وقال آخر

بصدرها كوكادر كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس فى الحل والركبان فى الحرم

وقال آخر

صدور فوقهن حقاق عاج * ودرّ زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلى من هذى الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدى * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعدلهن عيب * سوى منع المحب من العناق

وقال آخر

لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهى سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل فى الارداف والخصور) قال ابن الرومى

وشربت كاس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

الطنبغا المحاربى

ردفه زاد فى الثقالة حتى * اقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

يا خصره كم جفاه * تبدى وانت نحيل
يا ردفه ملت عنى * ما أنت الا بخيل

القيراطى

بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى
فقلت يا بدر هذا * حقا خيال لحينى

وقال آخر

أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت واومت للسوار نحلته * الى معصمى لما تلقلق فى خصرى

وقال آخر

بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الاصم فؤاده * وارق من شكوى المتيم خصره

وقال آخر

رخيمات المقال مدللات * جواعل فى الثرى قضبا جذالا
جمعن نعامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن ابى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بمجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أترعم ان اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وقيل ليس لاحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما لذى الرمة حتى كأنه حضرى من اهل المدن لا من اهل الوبر وقال القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم ومل يا معذبى * كمثلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

ومحكم اعطافه * فى قتل صب ما غوى
فاعجب لعادل قده * فى النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى باغصن الغضا * فاجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى الساق) قال ذو الرمة

لم انسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

حاكت بساق ابيض املس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

قال ابن منقذ

بدر ولكنه قريب * ظبى ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فالاعطافه تميس

(ومما قيل فى مشى النساء) قال بعضهم

يهززن للمشى اطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين

أوكاهتزاز ردينى تداوله * أيدى الرجال فزادا المتن فى اللين

وقال آخر

يمشين مشى قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردت زيادة * يقلعن ارجلهن من أوحال

(ومما قيل فى العناق وطيبه) لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد
كأننى عانقت ريحانة * تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

وقال آخر

وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدى ووشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال اعطافا على ملاحا

وقال ابن المعدل

أقول وجنح الدجى مسبل * وليل فى كل فج يد
ونحن نجتمعان فى مسجد * فلله ما ضمنا المسجد
أيا غدان كنت لى محسنا * فلا تدن من ليلتى يا غد
ويا ليلة الوصل لا تقصرى * كما ليلة الهجر لا تنفد

وقال آخر

وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريمة تحته * تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة * من النواطير يانع الرطب

وقال ديك الجن

ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلع احيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لانت التى يازين كل مليحة * وأنت الهوى أدعى له فاجيب

وقال على بن الجهم

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

يا ليل دم لى لا أريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا

حسبي بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفي للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم فخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

وقال آخر

ولم أنس ضمي للحبيب على رضا * ورشفي رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لي عند تقبيل خده * تنقل فاذات الهوى في التنقل

(ومما قيل في السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكنني اعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ أركب المهر المضمر في * يوم الرهان وغيري يركب الفيلا

(ومما قيل في مدح الالوان والثياب) مدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الأنوف من الطراز الاول

(ومما قيل في مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول في السواد قال النور في السواد أراد بذلك نور العينين في سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالي ولون المسك والعود
اني امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندي ولو خلت الدنيا من السود

وقال المحيقطان

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فاني بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائري * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

دخل ابراهيم بن المهدي على المأمون فقال انك لم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما * او أسود اللون اني أبيض الخلق

ثم قال يا عم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزري السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبي

وقال آخر

لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنها في سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * اني أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدني كيف رغبتم في السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها وقال آخر

يكون الخال في خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف بلام ذو عشق على من * يراها كلها في الخد خالا

وقال آخر

فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى * فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية انا حبة كافور وانت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وانت عدل ملح وقد قال الشاعر

أحب محبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

وقال آخر

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

اصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا

كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا

عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤونة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يتبعه الدبان

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الحمنان

وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والدمشى بمولود

* ماطول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

وقال ابن المقفع

تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها المواليا

جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما انفضت عجف البغال المخاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر) قيل ضرب الفهندر فبرزت منه جماجم اموات فتصدعت جمجمة فانتثرت اسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة ارطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ماتذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

واراد ملك الروم ان يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود

وكى لا يقولوا خان قيس وهذه * سراويل عاد احرزتها ثمود
واني من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد في قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين ان يقعد فيقيمها او يقوم فيقعده فغلبه في الحالتين وانصرفا مغلوبين وقيل كان سلمة بن مرة الناموسي اسر امرأ القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الناموسي قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس يا هذا القصير أطلق أبي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس انني * قصير وقد اعيا اباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في جسمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتي يطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل في القبح والدمامة) اراد رجل ان يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره ومر ابو الاسود الدؤلي بمجلس لبني بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت ان أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف اصوره فاتت بك الي لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو الغذي في عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كاعظم واعظ

وقال الاصمعي رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت يا هذه ارضين ان تكوني تحت هذا فقالت يا هذا العلة احسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه واسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي افلا أرضى بما رضي الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال يا حبذا ما اراك تبخل بهذا الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شيء وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا فما شقاه بلدة * أحسن ما فيها انا

* وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت اني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لا شك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة وقال الشاعر في رجل كبير الانف

لك وجه وفمه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

وقال آخر

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف
أنت فى القدس تصلى * وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء
أنت فى الصيف سموم * وجليد فى الشتاء
أنت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها) قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا حلما وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من نز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل لبس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل (ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس)

رأيتك فى السواد فقلت بدرا * بدا فى ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكى الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للملحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا اسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل نارى

وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى

في ثوبها الخمرى قد اقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين ابصرتها * لا تنكروا سكرى من الخمر

وقال الصنوبرى في لابسة أخضر

وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت في قميص لها أخضر * كما ستر الورق الجلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فأبدت جوابا لطيف العباره
* شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره *

وقال حكيم لابنه اياك ان تلبس ما يديم الملا نظره اليك به واعلم ان الوشى لا يلبسه الا الاحمق أو ملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والملبوس في الحر والجديد في البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهر وتكة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب ابن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة بردا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها (ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعى رأيت اعرابيا فاستنشدته فأنشدنى أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخى ان الحادثا * ت عركتنى عرك الاديم
لا تنكرن ان قد رأيـ * ـت أخاك في طمرى عديم
ان كان اثوابى رثا * ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعى رحمه الله

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو يقاس بعضها * نفوس الورى كانت أجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه * وفي اثوابه اسد هصور

ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا عار عليه ولا نكير
فان أك فى شراركم قليلا * فانى فى خياركم كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك)

(ماجاء فى التختم) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم فى يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف ازسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله عنه الى اليسار وأخذ الامويه بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى أيام الرشيد رضى الله عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب احدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابى نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك اعظما

والآخر حديد صينى عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا واوصى عند موته ان يغسل الفص ويجعل فى فمه قال جعفر بن محمد رضى الله عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله أعلم

(ذكر ماجاء فى الحلى) قيل ان قرطبى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما وقال محمد بن عثمنى يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما اعظم من ان يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف

دينار فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت في تاجه خوزة وكان يقال لها خوزات الملك

* (ذكر ما جاء في الطيب والتطيب) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله عنها قالت كأني أنظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان في الجنة لمرعى من مسك مثل مراعي دوابكم هذه وعن أنس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضي الله عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

واهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم انفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من اخته هند بنت اسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا افعل تريدان تعلمه جواريك هو لك مني كلما اردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

اطيب الطيب عرف ام ابان * فارمسك بعنبر مسحوق

قال ابو قلابة كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنه يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس ام مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها لزقة وقال ابو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله وجهه تشمموا الترجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا الترجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا محاجرهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فأرات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري احد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا

نصلت اظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا اظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شئ نثره البحر وأما العود فأجوده المندلي وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه ان تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه ان رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل مادامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يخزنونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت أحمل جراحين زرتكم * لم ينكر الكلب اني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد * وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بامهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام * وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ترد وا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده اعرابي فمرطت من الامير ريح خفيفة فاراد ان يعلم هل فطن بها الاعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفي من ريح مسك شممته من الناس الا ريح كفك أطيب فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والاربعون في الشباب والصحة والعافية واخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الشباب وفضله) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتي العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضي الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة ابن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما ان أطيب الثمار بواكيرها والشباب

أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خالده شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد امردا أبناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثاني في الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي ان احرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل ان يتكلم الشيخ فقال عليه السلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبير السن كبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الي لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام ان أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه اسير الله في الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان اصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن تحدثه سنه وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضي الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطمع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للغوا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص في الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

وقال أبو دلف في بياض اللحية

تكوننى هم لبيضاء نابته * لها بغضة في مضمر القلب ثابته
ومن عجب اني ادارمت قصها * قصصت سواها وهي تضحك نابته

وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغواني * بمبلغ شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز

فظلت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ احدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يا بنى انى اعطيتها بغير ثمن ومر رجل اشمط بامرأة محببة فى الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وما هو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى أحببت ان أعلمك انى أكره منك مثل ما تكره منى فانشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى * فاعرضن عنى بالخدود النواضر

وقال آخر

* سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
* فاعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الاشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشو فمى

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعى ويا بصرى
* فقهقهت ثم قالت من تجربها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقال ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز

فما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا فى الرأس منى فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب فى السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال فى الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

وقال آخر

ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال العتبى

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع

* كبرت ودق العظم مني وعقني * بنيّ وزالت عن فراشي العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقودني بين البيوت الولائد

وقال آخر

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب
* فيا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب

وكم كان من عين على وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظوني واكتفوا بمشيبي

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ما شبهت الشباب الا كشئ كان في كمي فسقط قال الشاعر

شباب لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال الجاحظ

اترجو ان تكون وأنت شيخ * كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(ومما جاء في الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبي عامر الانصاري رضي الله عنه رأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفي البصر ويذهب بالصداع ويزيد في الباه بيت

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذي يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نتيلة ما احسن هذا لو دام فقال

ولو دام لي هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نتيلة أو هرم

وقال آخر

يا خاضب الشيب الذي * في كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا انقضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريد فان يعود كما تريد

وقال محمود الوراق

فما منك الشباب ولست منه * اذا ما منك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث في العافية والصحة) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلك أنتهت الأماني باصاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد

وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضي الله عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة في الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضي الله عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كان نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة في مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومي

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأي وطاء وأي غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال علي رضي الله عنه ما المبتلى الذي اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء في شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبي معي الى البيوت التي فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذي كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر أحب الي من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومي خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه اتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له يا بني لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومي أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها اسنانه وقال ويحك يا أماه انظري هل بقي في خلال اسناني شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

(الفصل الرابع في أخبار المعمرين في الجاهلية والاسلام) قال الحسن رضي الله عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا في الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزاري كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بني أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة في فترة عيسى بن مريم عليه السلام في الجاهلية وستين في الاسلام قال له اخبرني عما رأيت في سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة في أثر ليلة ويوما في أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوي يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحي يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزي ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث

تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلايل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بني آدم عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفي ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادي سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدي بن حاتم الطائي وزهير بن جناة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذري عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب في الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدي ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وادرك الاسلام * وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه ما لم أر من بعض شبان هذا العصر في القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك في صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فاشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفي أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتي يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق في كفة لرجحت كفة الاسماء وأما الاسماء والكنى ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة * وينبغي أن تنادي من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخي يا فقير يا سيدي يا صاحب الثوب الفلاني أو البغل الفلاني أو الفرس الفلاني أو السيف الفلاني

وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه حمام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شئ ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الحمام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الحمام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بام كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتى فيه اللسان
لك دولتان حديثة * وقديمة ورياستان
لك فى الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنت فصرت فى هذا المكان

فامر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوق ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبدلى * سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أولانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * سيدنا عمر رضى الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد بن عبادة رضى الله عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم * طلحة بن عبد الله رضى الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه * رشح الحجر وأبو زباب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله عنه * الحبر عبد الله بن عباس رضى الله عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر * الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه * المصطلق خزيمة ابن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح

يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتبع الجنائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى أبو عمرو الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى * اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه واضرب موسى عليه السلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنيه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الامم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تقليب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمر الله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه أبو تراب وذلك انه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبى لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الرأس وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون باسماء بناتهم كابى زهو وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو بكرة نفيع المقداد بن معد يكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير

ما فعل النغير ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة علیا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

وفيه أيضا

لا زال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع باسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

وفيه أيضا

يا سمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

ولبعضهم فى مليح اسمه عمر

يا أعدل الناس إسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
اظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

وفيه أيضا

ما عليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا قمر

ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان

وافى الى بشمعة وضاؤها * وضاؤه حكا لنا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى * فأجابنى عثمان ذو النورين

ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف

يا من سبى الشعراء عذاره * النجم يشهد لى بانى مدنف
صيرت قلبى من صدودك فاطرا * فامنن على بزورة يا يوسف

للصفى الحلى فيمن اسمه داود

وثقت بان قلبى من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض فى سواد * وآية ذا سواد فى بياض

فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله الحقب المواضى

وللقيراطى فى مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق فى حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

ولمؤلفه رحمه الله فى قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى

وعظ الانام امامنا الحبر الذى * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور فى ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من خورته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير فى بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير فى الدنيا بغير خليل

وقال آخر فى مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * ما زال عنه كل يوم يسأل
من لى بيوم فيه تسمح بالقا * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

ولبعضهم فى مليح اسمه محسن

وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع فى الهوى اسالها

صفى الدين الحلى فى اسم حسين

حبيبى وافر والشوق منى * طويل والهوى عندى مديد
وأعجب اننى أهوى حسينا * وشوقى فى محبته يزيد

(ومما قيل فى أسماء النساء) فى فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لم ترجى الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهى بشوقى والجوى عالمه

ابن مكانس فى اسم عائشة

يا دهر خبرنى بحقك واشفنى * فسهام فكرى فى أمورك طائشه
أيحل انى فى المحبة ميت * وحبيبتى من بعد موتى عائشه

شمس الدين البديرى فى اسم حليمة

ولما رأتنى فى هواها متيما * أكابد من حر الغرام ألمه
جفادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدرى الجور وهى حليمه

ولبعضهم فى اسم بركة دوبيت

لما نصب الهوى لقلبى شركه * ناديت وقلبى تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه

مردوف أيضا

لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
ناديت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * ما الشرك يليق
تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء في الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان) فقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الآية وفي الاثر سافروا تغنموا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن اخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا الشديد
تهيني ريب المنون ولم أكن * لأهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجامعي * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الارض عمري لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في ركب فليؤمروا أحدهم وقيل أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسافة ثماني ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الخطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضي الله عنه من مكة الى المدينة في يوم وليلة وقال المأمون لا شئ ألذ من السفر في كفاية وعافية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل في ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفي الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وما هي الا بلدة مثل بلدتي * خيارهما ما كان عونا على دهري

وقال آخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال الصفى الحلى

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففى الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدى بمضال

وقال عبد الله الجعدى

فان تحف عنى أو تزرنى اهانة * أجد عنك فى الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا فى قوله فعلت ما لم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول
قليل الموالى مسلم بجزيرة * له بعد نومات العيون أليل
يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فتقتل
بأكبر منى لوعة يوم راعنى * فراق حبيبى ما اليه سبيل

وقال الشاعر

وما أم خشف طل يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا
تهيم ولا تدرى الى أين تبتغى * موامة حزنا تجوز الفيافيا
أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا
اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا
بأوجع منى يوم شدوا حولهم * ونادى منادى البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركنى * حتى يجرعنى من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بى ما شاء محتهدا * فلا زاد شئ فوق ما صنعا

فقال والله لاعينك فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال آخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

وقال عمر بن أحمد

أنى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

*وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له

أحسنت فأومأ بيده الى جرير ميتا به وقال ألمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا مارجعتم حتى أنشدكم فان انا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا اسأت فقولوا اسأت فرجعنا اليه فانشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * يرنو الى ودمع العين ينهمل
وودعت بنان زانه عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * يا حادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * يالبت شعرى لطول البعد ما فعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بأن القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

وقال الشيخ الاكبر سيدى محى الدين بن عربى رحمه الله تعالى

ما رحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطوا ويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
اسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناوسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطارقة شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * ياحادى العيس لا تحدو بها العيسا
غيبت اجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كرادسا كرادسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لا ينفك مغروسا

وقال آخر

ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت باطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله ما من مسافر * يسير ويدرى ما به الله صانع
فسالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهى كن عليه خليفة * فيارب ما خابت لديك الودائع

وقال آخر

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

وقال البغدادى

قالت وقد نالها البين أوجعه * والبين صعب على الأحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأننى يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

وقال ابن البديرى

قفا حاديا ليلى فانى واموق * ولا تجعلا يوما على من يفارق
وزما مطايا ها قبيل مسيرها * لملتذمنها بالتزود عاشق
ولا تزجرا بالسوق اظعان عيسها * فان حبيبى للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقنى فى نظرة وأسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خلبات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للمنايا تشرع
وخالفت لوامى عليها وعذلى * وحالفت سهدى والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادى أسى من حوها يتقطع
فقال خليلى اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأنى سحاب والوشاة بروق

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

ياسادة فى سويد القلب مسكنهم * وفى منامى أرى أنى أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو أن مالك عالم بذوى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

وقال ابن الوردى

دهرنا أضحى ضنينا * بالتقاحتى ضنينا

يا ليالى الوصل عودى * اجمعينا اجمعينا

وقال الشريف الرضى

علالانى بذكرهم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر عند ذلك

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

وقال الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى البكاء قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل * عن حالها ياماجرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت ياعين ان ظهرت بما * أخفيه من قلبى سقطت من عينى

وقال آخر

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سرهواكمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال ابن المواز

رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق بينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال آخر

ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معى

ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

وقال الموصلى

عين أفاضت دموعى * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى

وقال آخر

وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حميته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن أبتليهم بفراق الاحبة
(ومما جاء فى الحنين الى الوطن) اما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى أن أبان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله عنه

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة
(ومن حب الوطن ما حكى) أن سيدنا يوسف عليه السلام أوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام واهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
ونستعذب الارض التى لا هوابها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر
*وقال عبد الله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد ولبتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام (ومما جاء فى ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السقر * يارب فاردد نا على خير الحضر

وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال اسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابى السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

فاذكرى صبابتنا اليك وشوقنا * وارحمينا انك انهن صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لهنته فاز ببغيته

وقال ابن الهيثم

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية * وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه)

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا * وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرم من دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمنى اذا وقيت الاواقى * بالاواقى لماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يابنى أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضى الله عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء * وأرفع من السماء * وأحلى من الشهد * وأذكى من الورد * خطؤه صواب * وسيآته حسنات * وقوله مقبول * يرفع مجلسه * ولا يمل حديثه * والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب * وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب * ان حضر ازدروه * وان غاب شتموه * وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة * وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسى فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت فى البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيأ

أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى معدما مات مرحب

وقال آخر

المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

جرح الليالى ما لهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء فى حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغترر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرنى ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

وقال آخر

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقال آخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزرى
وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وقال آخر

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

وقال ابن الاحنف

يمشى الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال آخر

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

وقال آخر

ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما بها انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا ان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كذاب وقال الكنانى

أصبحت الدنيا الناعبرة * فالحمد لله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وقال الزمخشري

واذا رأيت صعوبة في مطلب * فاجعل صعوبته على الدينار

وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب الي من أن احتاج الى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل

وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل

واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء في الاحتراز على الاموال) فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتنمسين (فاما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى أن يقول اني فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعدني بالمكاسب وغرضي التقرب اليك وتصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين الشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة انه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابائي فان روعي صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي ما فيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه وطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كساد المشتري أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شيء من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بان ما يلجئهم الى ذلك الا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة فيأخذها ويتسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد علي العمل من جهة كيت وكيت ويقول

للذى ينفق عليه هل لك فى المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأى سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا ومن المطمعين قوم يجعلون فى الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ماشاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة فى قماشه أو فى العدة التى معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطحون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غرر اوذلك انهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط فى جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان نديه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوزبه ثم يغير الحال الاول فى الباطن فينبغى لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر فى ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى اذا أنفق أو اكل اوشرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يافلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنى فى متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان بعزعاملك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدرى انه مثل البازى ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندى علم أنك تنتظر هذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل فى المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيماطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنسكون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكى يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الاموال بالبشر والاكرام والتلطف فى المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد وربما يأتى معه ما حد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم ان تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجعلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك ان شهرة اللصوص والقطاع تدعو

الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان امله * حتى حواه فصلى وله صاما

وقيل لافقير افقر من غنى يأمن الفقر قال الشاعر

الم أتر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يابنى عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا واساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير عيب فان كان شجاعا سمى أهوج وان كان مؤثرا سمى مفسدا وان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا قال ابن كثير

الناس أتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه * حى كمن مات الا انه صنم
لما رأيت اخلائى وخالصتى * والكل مستترعنى ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودى الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودى فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذى كان فى الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفى موكبه كل من فى الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية فى أثناء النهار للخليفة أنها من جهة اليهودى والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا
يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم ازرى به الدهر يوما * ولئيم تسمى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمسالق التى يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

واعلم أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يابنى شاآن اذا أنت حفظتهما الا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا فمن ذلك ما حكى عن أحمد بن طولون انه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الحجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين الف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية أبريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس انا اخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدور ذهب ينزل اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فاخذه زياد ورضه بين حجرين قال والله لا ينتفع به أحد بعده مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا واولا ناجميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه ولما صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد

الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص مشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لماج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين ولما قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين اردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار الكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرذ وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا عن الاراديب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب ما لا يحصى ولما احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضربه فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقوانج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

فضمنت أنا هذا البيت وقلت

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله

عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بار بعين عاما فقال جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا ليالى ماله ولا اهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولاختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكة أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمرهم فيكرمون ويحبرون ويرقون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز انه قال كان حيوة بن شريح من المكثرين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فاخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

وقال

وقال عبد الله بن طاهر

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ ينال به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر و بطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى اى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال آخر

ولا ترهبن الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله وارد

وقال هرون بن جعفر الطالبى

بوعدت همتى وقورب مالى * ففعالى مقصر عن مقالى
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا سربالى
ولقد تعلم الحوادث أنى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

روى الامام مالك فى الموطا عن زيد بن اسلم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابى على على رضى الله عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح فى بيتى شئ فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها الى الاعرابى وقال لا تخذ عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقفى هذا بين يدى وقال على رضى الله عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية ابسط من لسانى بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار وسأل رجل الحسن رضى الله عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتى انى أتيتك عام أول فعرفتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع ولما وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وقر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر بصدره فصدت فى حره وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلا كل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام
فاتنا كم وغدا كم فا * لالتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال ان معه سألتكم بالله تعالى الامادفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال أخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله عنه قال يا كميل مر اهلك أن يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد اودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم ويرمى بما ذبح العناق اذا ضاق المحناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مدية * اذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع أبلج جعفرى * كريم المجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعيرى بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فاجيبى الامير عنى فقالت

اذا هبت رياح بنى عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمى * أعان على مروأته لبيدا
بامثال الهضاب كأن رعنا * عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعدان الكريم له معاد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا

منهم فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا أشعر منى ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فانشده

والله ماندرى اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لما دنك التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فأمر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فامر له بالف دينار وقال والله لو قلت حتى تنقد بيوت الاموال لاعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور اليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه وروى أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن اكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فيما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فامر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ماقد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ماقلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن اكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ماجاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل أقدماني عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أما نعم غمرة وأما لا فريحة فلما قرأها كسرى دفع له

فى كل سطر ألف دينار (وحكى) ان رجلا كان جارا لابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل اكثر الناس عنه فعزم جار بن عبد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به اشهاد عليه شرعى فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى ان قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثنا معن أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال آخر

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا القيت من الجواد الافضل
ان قلت اعطانى كذبت وان اقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانى * لابد اخبرهم وان لم أسئل

وقال آخر

لنوائب الدنيا خبأتك فانثنه * يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * ام فى المعاد تجود بالانعام

ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثى عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله واسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله اياه رواه مسلم وقال رجل لابنه اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان

يقول لولده يا بنى اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك فى فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غنى قد نشأ فى الفقر وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ والجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدى

اذا مارماك الدهر فى الضيق فانتجع * قديم الغنى فى الناس انك حامده
* ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد ولده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله اعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانبارى

لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تاق انسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر

* اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله *
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفى هذا المعنى قيل

* لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى ابوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * باذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
* فقلت لها من كان غاية قصده * سؤال المخلوق فليس بنابه *
اذا مات من يرجى فقصودنا الذى * ترجيه باق فلوذى ببابه *

وقال بعض أهل الفضل

لما افتقرت لصحبى ما وجدتهمو * لجأت لله ولسانى وأغنانى
واهاعلى بذل وجهى للورى سفها * فلو بذلت انى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردنى ردا أقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون

الله وأنا أفزع منك ويقال لاشئ أوجع للأخيار من الوقوف ببابالاشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل ملء ثيابه
فجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غني بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته * أناخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقي في كتابه
وجوزي بالامر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

وقال آخر

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه ممطول
وأخوك من وفرت ما في كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

وقال آخر

ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

وقال الشافعي رضي الله عنه

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس ان يقولوا * فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالي اذا جفاني
ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني
ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم

الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها * وفى الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رد على الله تعالى واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك * وقالت ام حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال فى نشر المهاداة طى المعاداة

(ذكر انواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها)

اهدى الى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد واهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمور وأهدت قطر الندى الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت تريابنت الاوبارى ملكة أفرنجة وما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقليا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب بكار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كاون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب

المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب السموم بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) ان الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * واعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
فبشم للتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه اعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سموّ قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيئ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن اهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فأهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب المحدونى الى جارية اسمها برهان وقد جهموا اليها فقال

جهموا اليك ببرهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به * ثنيتيك ومارددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة

بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفى سوددة ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى ان يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)

أما العمل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول *وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل *وعن على رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما ينفى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى *وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل *وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لا شئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه *وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله *وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود

الا بالمال * وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل وأما الكسب فقد جاء في تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أي دروع من الحديد وذلك ان داود عليه السلام كان يدور في الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود فاذا سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول اني لأجد في داود عيبا الا انه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام في محرابه وتضرع بين يدي الله تعالى وسأله ان يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت رمحي فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال اصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق أو يقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا اني لأرى الرجل فيعجبني فاقول ألا حرفة فان قالوا لا سقط من عيني واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم في السعي

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهين وعن أنس رضي الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق واني لارجو ان ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبني بمظلمة ظلمته بها في أهل ولا مال * وأما ما جاء في العجز والتواني فقد روي عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التواني ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه * قال الشاعر

على المرء ان يسعى ويبذل جهده * ويقضي الاله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز اعداه من عجزه وامده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما في العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التواني وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وافضى الى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى وليكون يومك فى صنعتك وما لا بد منه ومر رجل الله باسكاف فقال يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى المهمات راكبه
ذريني وأهوال الزمان أقاسها * فاهوله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كاف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء اخطاء الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للامانى المستحيلة ويقال فلان مخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا بأحالته على القدر وقال لقمان لابنه يا بنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال أبو العتاهية

اذا وضع الراعى على الارض صدره * حقى على المعزى بان تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال * وأما التأنى فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب * وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من

آفات الدهور ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل وقال بعض الحكماء اذا شككت فاحزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأنى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فبماذا يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت * وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

(وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها) فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس خياطا ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له يا خياط تكلتك الثواكل صلب الخيط ودق الدروز وقارب الغروز فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط رخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافأة * وقال فيلسوف ان من القبيح ان يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع وفى الحديث اكذب أمتى الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل ألم يحل الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخمس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا ان نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان اردشير بن بابك لا يرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله

تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحاكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم قال أبو العتاهية

الا انما التقوى هى العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة * اذا صح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أوردنا سياقه فى هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول)

*(الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله

* روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضى الله عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت * وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا الا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها فى بلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ فى صبحها * جرعته ممسيا كأس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

ومثله

وما مر يوم ارتجى فيه راحة * فأخبره الا بكيت على أمسى

ومن كلام ابن الاعرابى

عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام فى صور الليالى

وقال على رضى الله عنه ما قال الناس اشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوما سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه السلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام و بنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمرى الى ان بعت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فمكثت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب

أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كما ماتى * وذكر ان عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال ما قدر لنفسه أنه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه كانون فضة يتخرفيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

ألا يادار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت ياعبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان وقال أبو العتاهية

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الشرورا
قد بيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصر على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خيرما استعملته الحذر
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومديده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث الا أنه من أهل الادب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ماسد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قاده عمله لا ترتقى منه

* ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب ابن أوس

لم أبك زمن من لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر

يا معرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه

يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا

أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن في زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب وتؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني مكانه ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل بيت

ما من مسيء وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

وقال الامين

يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف وير تجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

وقال بعضهم

وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتي من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

وللامير أبي علي بن منقذ

أما والذي لا يملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم اعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندي أشد وأعظم
وفي كل ما يبكي العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وايم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها الا ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والله أعلم

(الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر انه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الأناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنوره وتوفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا

ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زاد في الأن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه والزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال احفظوا عني خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجوا الا ربه ولا يستحي أحد منكم اذا سئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع

يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبي جهل وعقبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية ابن خلف فقال علي رضي الله عنه والذي بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيري الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء في الرخاء (وحكى) ان امرأة من بني اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بني اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا أن تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال نقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد نفعك في بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرح عاجلا ومن أحسن ما قيل في ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتت بعده نوائب أخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجي

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ولزهير بن أبي سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح في البيد اذا ما تغيرا

ولابن نباتة

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل او قبيح *

وقال أبو الاسود وأجاد

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير اريب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر وقال نهشل

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال ابن طاهر

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من القدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر
نفس يا نفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبنى والصبر ربانى * والقوت اقنعنى واليأس أغنانى
وحنكتنى من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

وما أحسن ما قال محمود الوراق

انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرا الغنى فجعلتها الى معقلا
فاذا نبا بى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فأفرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

وقال بعضهم

وما مسنى عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

وما أحسن ما قيل

الدهر لا يبقى على حالة * لابد ان يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زادهمنى وكادت نفسى ان تزهق وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل على ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على المخطوب وروى عن ابن عمه على رضى الله عنه انه قال الصبر مطية لا تدبر

وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وانجاه من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو

لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت احدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني * وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له اما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت يذهب ما وجهي عنده ويسوء ظنه بي فانا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولي العزم فأقول (ذكر ما صبروا عليه) أما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال

آنا على كل شئ قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره على قومه وأما ابراهيم عليه السلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادي ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه السلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه السلام فخاس به على الارض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل اكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه السلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه * وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده قال اني أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقي كي لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي واذا القيت أمي فاقرأ

السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه السلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمرّ السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى أن يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلاجرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره * وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلاجرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله * ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه السلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه السلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد ذهبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يا رب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فتردّدت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة تأمرينى أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وماشكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وافاض عليه من نعمه

ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه بحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا * ومما شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم على أمرى حدثنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا اتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما ذر وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعالت علوا كبيرا يا مغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانصرف يقصد الحجاز * وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب والازورد هذه الابيات

يا من ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل فى مثل * عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

ولما حبس أبو أيوب فى السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك علك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتني ووعظتني وأنا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها

ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فمالبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما وأنشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما تري حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر)

قال النوري رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ريح وقال العتبي اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما للضرب العنق يبكي وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبي فاستصغرته * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرفعه ود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لأهل البلاء * وروى أبو عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا ومر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن ابتليه لأبلغه تلك الدرجة * وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلي (حكي) انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب

فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلاعينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث الممضة تكسبة تحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحترى يسلى محمد بن يوسف على حبسه

وماهذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد دهمتك الحادثات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما فى نبى الله يوسف اسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يحدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن فى الحبس الا أنه * لا تستذل بالحجاب الاعبد
غر الليالى بادیات عود * والمال عارية يعار وينفد
ولكل حى معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما تحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجى ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاول لها يد

قال وأنشد اسحق الموصلى ابراهيم بن المهدى حين حبس

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالى

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب فى ابراهيم بن المدنى حين عزل

ليهن أبا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل انبل
شهدت لقد منوا عليك واحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

وقال آخر

قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى المعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظيرة نقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال

عوّلت على أربعة أشياء أوّلها أنى قلت القضاء والقدر لابدّ من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والخمسون ماجاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدّة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب

فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدّة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظار الفرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على البؤس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وقال آخر

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتى أهله النائى الغريب

وقال آخر

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

وقال ابراهيم بن العباس

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم فى الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى

صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة ان أخرج الحسن بن الحسن بن على من السجن وكان محبوسا واضربه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء على بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه فى سجنه مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين فى أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدى موسى ابن جعفر رأى فى المنام على رضى الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدى الى ليلا فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتنى بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدنى أن لا تخرج على ولا على أحد من ولدى فقال والله ما ذاك من شأنى فقال صدقت ثم قال يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه الى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن وان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

وقال مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلى فمرّ بى فرنجى انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلى لاضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج أخفاف فارسلتهما مع جارية لبعض معارفى فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لهما من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها القدوم علينا فادخلته الى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفى شيأ يشترى به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فردّ أحسن ردّ وقال ما الذى أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر * يمضى فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا يشتنى عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من

قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد على السلام فأنشدته ما لى فيه من شعر فأمر لى بمائتى ألف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الأمن والخوف أياما مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبى مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن ابى مسلم افريقية وكان محمد بن يزيد والما عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبى مسلم وشدد فى طلبه فأتى به اليه فى شهر رمضان عند المغرب وكان فى يد يزيد بن أبى مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكننى منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرنى منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقنى ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع فى النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلى وكان أهل افريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير قال اسحق بن ابراهيم الموصلى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت فى أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقدارتاع فقلت له ان صدقتنى أطلقتك فحدثنى أنه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت المرأة الله وغشى عليها فلما افاقت قالت انشدك الله فى أمرى فان هذه العجوز غرتنى وقالت ان فى هذه الدار نساء صالحات وانا شريفة جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسين بن على فاحفظوهم فى فقمت دونهن وناضلت عنهن فاشتد على واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلنى فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت ستر الله كما سترتنى وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدى فأمسكونى واتوا بى اليك وهذا أمرى فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتنى لهما لا أعود الى معصيته أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير اخرنى الى غد قال وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ثم أمر بردة الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل

وضاق على الكسب ببلدى فأخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلدى لاعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فأطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلى هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ الطاعون أهل بيت فدبابه ففضل فيه طفل برضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فضيق الامر ادناه الى الفرج

وقال آخر

فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر

لعمرك ما كل التعاطل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * الا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى ما اعترانى هم فانشدت قول أبى العتاهية حيث قال

هى الايام والغير * وأمر الله ينتظر أتيأس ان ترى فرجا * فأين الله والقدر

الاسرى عنى وهبت ريح الفرج وبروى ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له انفذ الآن مركبا الى افرنقية يأتونى باخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كانه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر اليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فامر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك ان تذهب حيث امرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يحدثون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى أسماعنا نادينا مرارا لبيك لبيك وهو ينادى يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افرنقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه

(وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث فى حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع

العطر فى طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له أعطنى بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فاخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فامر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولد لى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا لامه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها حاجة النفساء فابقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت فى نفسى اشترى بها شيأ من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيأ أسد به رمق أهلى ويبقى راس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت انه لم يبق لى الا الفرار منهم فهذا الذى اوجب جزعى قال ابو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ ابى حفص ياسيدى اريد ان تأتى بهذا الرجل الى منزلى فظننا انه يريد ان يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى اى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى اذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير واكثر فخذها وانت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على امانتى مالا وأبى ان يأخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعها فاخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا ارحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى اعيا الاطباء دواؤه ولم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذى فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ احسن ما كان وبضد هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من اعمال دانية فاووا الى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فابوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم

فبينما

فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته
قال وأخبرنى أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار الى دار هناك
قصة عجيبة فمات وما هى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة
فى تجارة الخز فاتفق انه جعل جميع ما معه من الخز فى خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة
فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فامر انسانا هناك فاعانه على
انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من
أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيق آنس
بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك
وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت
فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل
احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشترى ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع
حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت
الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى الى ان أدرك القافلة بعد
جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على
اثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا
ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقير اجائعا
عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى
أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب
فقيل له من هذا قال فلان يعنى نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله
الذى جاءك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك
وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله
ما وجدنا ما نشترى به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما
سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء
للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو
ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فاجابه وشكر الله على
سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع
الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر
التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه
والتزمه وقال يا عدو الله أنت بمالى فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك متعديا
وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم
كان يخدمنى وأخذ جمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على
بعد العشاء واشترى منى عشاءه واعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين
يصبح والحمار فى دارجارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى

الرجل فرفع المخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى ياخائن قال ها هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب فى الالواح وامتزج بالارواح وعد فى جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وتمشى فى العظام وكان خالد بن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدن أطيب الطيب طيبا * ان تمسنه أين مثلك أينا

ودخل على المهدى أعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكمو أبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تمس ومالها ان لا تمسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشاها حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى بخانق صبياننا وقال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تران الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون والياها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه وولى الرياسة وكنت أحق بالرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها بلا وهى تقول لا والذى أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

*(الفصل

*(الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) * عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة رضى الله عنه لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم أبا مسعود أن الله اقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال نه أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنى أبو القاسم نبى التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو برى مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت منى ما اخرجتك من يدى فاعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضى الله عنه أتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فاراد بيعهن فاعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد ان يضربهن بالدرة فقال على رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوموهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدى

نهيتكمو أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه وتسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بارماحنا قسرا

فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كانت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقى الابطال يطعنهم شزرا
ويا خذ بان الطعان بكفه * فيورد ها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بنى ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطاوعن خادما تريدها للخدمة ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فادعوه * سوى من أبوه أخو عمتى

وقالوا كثم الحر وان مسه الضر والعبد عبد وان البسته الدر ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من اكسل الناس فارسله يوما يشترى له عنبا وتينا فابطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء باحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين فرض الرجل فأمر الغلام ان يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتنى وأمرتنى ان أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعجمى يلى حكم السند فكتب الى موسى الهادى ان رجلا من اشراف أهل الهند من آل المهلب ابن ابى صفرة اشترى غلاما اسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى ان برئ من علته فاقام الغلام بعدها مدة يطلب ان يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد باعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتنى لارمين بهما فقال الله الله يا ولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ما هى الا نفسى وانى لا سمع بها فى شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك

الشاهق فتقطعا وقال ان جبلك لنفسك ثارى وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبره الى موسى الهادى فكتب موسى الى صاحب السند عمرو الاعجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى اردأ من العبد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه انكره كان لم ير منك شيأ وكلما أحسنت اليه تمرد وان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لامى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الأم من الزنوج واردأ لان المولد لا يعرف له اب وربما يعرف الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل أن يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية واوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم)

للعرب اوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن وكان الاخير ذكرا بحروا اذنها أى شقوا اذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة وكانت لهم يعبدونها وهى الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهى لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن احياء كانوا فى الجاهلية اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل ان

صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بنى أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا * وأما الرفادة في الحج فكانت نوعا تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر في الكعبة واعلم وفقنى الله واياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمى وابن سماك الاسدى الذين ضرب بهم المثل فاما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلى يكون من عبد الله واما عبد الله بن زياد التميمى فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن واوجز فنودى من نواحى المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتى على لاصلين له ابدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض اغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت همتى همتا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدى الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (حكى) عن الحجاج بن يوسف الثقفى انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرنى بالناس بلغنى الامل فيهم وأعانني على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة انهما من محاسن الحجاج وان قلت فى جنب سيآته والله أعلم

(ذكر أديان العرب فى الجاهلية) كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية فى حمير وبنى كنانة وبنى الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية فى بنى تميم منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو الذى رجل الى الشام فرأى العمالق يعبدون الاصنام فاعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطونى منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه

صنما

صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار في بني اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان حجابها بني شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بني معتب من ثقيف وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه السلام وكانوا اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه في مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة في مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا ما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون انشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وان من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها باسمائهم وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أي ذلك كان

(ذكر أوابدهم) الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينها حتى تموت يزعمون أنه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العرداء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا

الثور يزعمون ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كما يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني الى أن يؤخذ بثاره وكان للعرب مذاهب في الجاهلية في النفس وتنازع في كيفياتها فمنهم من زعم ان النفس هي الدم وان الروح الهواء الذي في باطن جسم الانسان الذي منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون ان النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا وفي ذلك يقول بعضهم

ساط الموت والمنون عليهم * فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا ان الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهي حية تكون في البطن * تثنية الضربة زعموا ان الحية تموت في أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب في الغيلان والتغول اخبار وأقاويل يزعمون ان الغول يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس ان الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل (وحكى) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رآه في سفره الى الشام فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شيء يتعرض للسارة ويتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا ان أكثر كلامهم انه أنثى وأما القطرب في قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدق دبره فيموت وربما نزا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي * ومن عجيب ما حكي من أمر الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه ليت شعري هل بقي على ظهر الارض أفصح منا من مكة قالها في بعض الطريق فاجابه صوت في الظلام نعم نعم ونا كها جميعه * وهو رجل أحمر ضخم في قفاه كيه فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون علي فاذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية فقلت لاهلي من هذا قالت رجل كان الطف

جيرانا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حمسة فقلت الحق باهلك * وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه * وأما رمى السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا ثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلنى بأحسن منها فانه يأمن على اسنانه العوج والفلج * وأما خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واخذ منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة واما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها للتعرف بها * وأما جز النواصى فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته وأما الالتفات فكانوا يزعمون ان من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطير واله * وكانوا يقولون من علق على عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك ان الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من عطايا الجن ويزعمون ان المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون ان الرجل اذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون ان الحرقوص وهو دويبة اكبر من البرغوث تدخل فى فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون ان الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذكر اسم امها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون ان العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان ونكاح المقت من سننهم وهو ان الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها لبعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا وما أشبه ذلك)

أما الكهانة فكانت فاشية فى الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة اخبار فمنهم سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لاجله وذلك ان الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما اصبح اعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازداد وا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغسانى فقال له كسرى أعندك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرنى الملك فان كان عندى علم منه والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وائتنى بالجواب فركب عبد المسيح * وتوجه الى سطيح *

فوجده قد أشرف على الضريح * فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير انه أنشده شعرا يذكر فيه انه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن ان وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك (وحكي) ان ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره لك الاشق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح اني رأيت مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض نهمة فاكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بارضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا لغائظ موجع فمتى هو كائن اني زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضى من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم قال أراه ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي * يأتيه الوحي من العلي * قال وممن يكون هذا النبي * قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر * يكون في قومه الملك الى آخر الدهر * قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون * ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون * قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكي ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبؤا له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته حاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر * والكوكب الزاهر * والغمام الماطر * وما بالجو من طائر * وما اهتدى بعلم مسافر * لقد سبق هاشم أمية الى المآثر * ولامية أواخر * فاخذ هاشم الابل ونحرها واطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية (وحكي) ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط

وما انتهت حتى انهتنى قال فارجعى الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يابنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا فسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ماهو على بصادق فقال له يافاكه انك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج أبوها فى جماعة من بنى عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها انى أرى حالك قد تغيرت وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمنى بسيما تكون على سبة فقال لها لا تخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم ادخل فى احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لى تمرة فى كبرة قال انى أريد أبين من هذا قال حبة برفى احليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتى الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هندا فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله انى لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه

(وأما القيافة) فهى على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين نفرا فيلحقه باحدهم (وحكى) عن بعض أبناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القيافة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شئ فلما رجعت الى أمى ذكرت لها القصة فقالت ياولدى ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فكنت هذا الغلام من نفسى فحملت بك ولولا ان هذا شئ تستعمله غدا فى الدار الآخرة لما أعلمتك به فى الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن فى قطية وثغر البراس أقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولاطين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هناك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعنى فى علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبنى مدلج فى أحياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب

بنى عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه ختنى فأصابا جميعا ومنهم من كان يخط الرمل فى الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل شردت لى ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر بنته أن تخط لى فى الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لاى شئ قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعى غازيين فمر بامرأة وهى تخط للناس فى الارض فضحك منها مالك هزوا وقال ما هذا فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت

(وأما الزجر والعرافة) فاحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا وصورا فقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعنده وقال للصور ائتنى بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا انه سيعلوا أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك وبعث صاحب الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمى فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المدائنى وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك ابن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن انى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبى فانظرى اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها وبينما مروان ابن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان وروى المدائنى ان عليا رضى الله عنه بعث معقلا فى ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك فى وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فاخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبى ربيعة الحشعمى الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون اما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد

فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الاولى دخلت على والشقة بيدى ادير طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى أريد قطعها لانى قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوى فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن ابرهة فى مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضئ كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان فى عسكر ذى يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لامير اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكأنه انف من مقاتلتهم على شئ من ذلك الا على حمار لما انه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) انه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما سئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له باى شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتنى التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فاولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك

(وأما الفال) فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلاما من له يا بشار و يا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعى سالت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك وأما الطيرة فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته فى دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

وقال لبيد

لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما يتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لانت على العشاق أقبح منظرا * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كانك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل اثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بان مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجارية نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات

هموا قتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وجند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتهى دغنى ما يسرنى فغنت تقول

كلب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر خزما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يدعو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكى فراقهم عينى فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومى الى لعنة الله فقالت والله يا مولاى لم يجر على لسانى غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فاصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدى فالتفت الى وقال يا عمى أرى أن

هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعتها تقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال لى اسمعت ما سمعت ياعم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال ياعم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد ابن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه فى أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

ما كان منـدق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبذلا
لكن هـذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابى الشمقمق بعشرة آلاف درهـم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم انهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدى وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على أعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لاعجب من لوط وقوله لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فاى ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد ولى عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فى أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته ان يسىء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وانا اعلم انكم تقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة وأنا مجمل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لى به ولكن ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى فضربتنى وحبستنى وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا اشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا ان صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذى الليالى علمتنا ان ستطوينا * فشمر عينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكى) ان نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام

(وأما الفراسة) فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله عنهما على على

رضى الله عنه شيئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق وحكى أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فتير ليس عليه الا ما يستر عورته فانفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقر أواعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك ايضا فقر أوهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال احدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار (وحكى) ان شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك أنه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا اذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا كذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم أنه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة تعنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى جسمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكان الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وأما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود عليهما السلام قالت له يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجئ يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك ووداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى وأنشدوا

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصر جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الحمق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الحمق هى التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم وتنكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شئ اذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لأن تختلف السباع على ظهرى أحب الى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحية على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى النوم وأنشدوا فى المعنى

غيرت موضع مرقدى * يوما ففارقنى السكون
قل لى فأول ليلتى * فى حفرتى أنى أكون

وأنشد أبو دلف

أما لكنى ردى على رقاديا * ونومى فقد شردته عن وسادیا
أما تتقين الله فى قتل عاشق * أمت الكرى عنه فأحيا الليالیا

وانشد أبو غانم الثقفى مفردا

رقدت رقاد الهيم حتى لو أننى * يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبد يضرب به المثل وكان عبدا هذا عبدا أسود قيل انه نام اسبوعا وقيل انه تمادت على أهله وقال اندبونى لا أعلم كيف تندبونى اذا أنامت فسجى ونام وندب فاذا هو قد مات

(وأما الرؤيا) فقد قيل فيها أقاويل وهو انهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن

غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه اجداثا واموا تا مكفنين بسواد و بكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجىء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له فمن ذلك ما حكى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى الجنة غرافا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام فقال مالابى جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى ان كلابا تقع بلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابى بكر رضى الله عنه انى رأيت كأنى رقيت انا وأنت درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضى الله عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبى صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضى الله عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك وحكى ان أم الشافعى رضى الله عنه لما حملت به رأت كأن المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه باكثر البلاد فكان كذلك (وحكى) أيضا ان عاملا أتى عمر رضى الله عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليت لى عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضى الله عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية واما من مهر فى تعبير الرؤيا فيه وابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأنى أسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى حالسا فقال ما التى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه وجاءه رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت فى النوم كأنى أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كأن القمر دخل فى الثريا ونادى منادٍ من خلفى ان ائتى ابن سيرين فقصصى عليه فتقاصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فاعادت عليه فقال لاختها هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وامسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام وجاءه رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض واقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فانت تباشر الموتى فكان كذلك (وحكى)

ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فعلم يوصي وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يا نبي الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائي فكان كذلك وأتى ابنة مغيث آت في المنام فقال لها لك البشيري بولد * أشبه شيء بالاسد * اذا الرجال في كبد * تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد * فولدت المختار بن ابي عبيد وذلك في عام الهجرة وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأني بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال بلى أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعي رضي الله عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي ناولني كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أخا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كان رأسي قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال باي عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفي وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضي الله عنه رأيت كأني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدري فهالني ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لاحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت انا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بما له عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال تضرعت الى ربي سنة ان يريني أبي في النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألني عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر)

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهي حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضي الله عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه في يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمني قال كيف امنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك امان ولم أشربه فقال

عمرقاتلك الله أخذت منى اماناولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولد وابا الطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع * وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصرانى لو اسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا انه يمنعنى منه حبى للخمر فقال اسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة وقيل دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه السلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى ان ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فجحدها فى مكانه فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فلتدن منى السلسلة فدنت منه فحسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم ان كنت تعلم انى رددت الجوهرة اليه فلتدن منى السلسلة فدنت منه فحسها فقال الناس قدسوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر علينا فأرسلها ثم قال للناس انى لاجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تاتى فى صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فأرسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فأكله فاختصما فى الصبى الباقى الى داود عليه السلام فقال كيف امركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه السلام فقال ائتونى بسكين اشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى اتشقه يانبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه السلام وقال يانبى الله ان لى جيرانا يسرقون أوزى فلا اعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان أحدكم ليسرق اوزجاره ثم يدخل المسجد والريش على راسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم انها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شئ وانى لأستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع

البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شاهخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوق فيهما حلواء مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجىء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما ولم يلتفت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فأقر فسئل عن ذلك فقال ان الاص قوى القلب والبرى يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه وقصد رجل الحج فاستودع انسانا ما لا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضى اياس فقال اعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيأ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضى اياس فأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد ان أخذ الرجل ماله منه بدا لى ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله فى الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال ابرويز للداخل عليه لتقتله انى لا أدلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة اقتص عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن انه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرث بن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرنى انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك

على هذا فقال جعل لى جعل على أن ألطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحرثة ابن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده وقال الشعبى وجهنى عبد الملك الى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبى فقال لله أبوه ما عدا ما فى نفسى ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شاطرا يفاغزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعى
ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ما حكى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج ابن علاط السلمى وكان أول ما أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فأذن لى يا رسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أحتاج أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حول ناقتى يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جمع مالى من غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى هناك فقاموا معى فجمعوا لى مالى كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر

عنى حتى القالك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى اذا فرغت من جمع
كل شئ كان لى بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثى يا أبا
الفضل فانى أخشى أن يتبعونى فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ماشئت قال لك على ذلك قال
قلت والله ماتركت ابن أخيك الاعروسا على ابنة ملكهم يعنى صفية وقد افتتح خيبر وغنم
مافيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ماتقول يا حجاج قال قلت اى والله ولقد أسلمت وما
جئت الا مسلما لآخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فأظهر أمرك فهو والله
على ماتحب قال فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ
عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد
لحر المصيبة قال كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم
وأحرز أموالهم ومافيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما
جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم
قالوا تفلت عدو الله اما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر
بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله ولما اجتمعت الاحزاب
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم فى
جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبنى النضير وبنى قريظة من اليهود
ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الأمر واضطرب المسلمون
وعظم الخوف على ماوصفه الله تعالى فى قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم
واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى
أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال يا بنى قريظة قد علمتم ودى اياكم وخاصة
ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم
فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لاتقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره
وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم
ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا
ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلابكم فلا تقاتلوا مع القوم
حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا
قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من
قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر
وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظة
قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض
العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان

رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بني غطفان الى بني قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بني قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذي ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التي عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء في التيقظ والتبصر في الامور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أمن عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى انوشروان كان أشد الناس تطلعا في خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ليلة من الليالي يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب بنت فاطمة الزهراء رضي الله عنهما هل لك في أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذي معك ما يصلح للمرأة من

الخرق والدهن وائتيني بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلي الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لي نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضي الله عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع ونجل وقال وانجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولي شيأ من أمور المسلمين ينبغي له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضي الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضي الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي في البرمة وفي غدائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضي الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الأمة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا في كثير من الليالي حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد اخطأت وانى تائب فاقبل توبتي فقال أريد ان أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد اخطأت في واحدة فانت قد اخطأت في ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت ولم تسلم فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضي الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل عنه ان رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن ان زيادا لا يعرفه فقال انا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الي وانا أعرف بك منك بنفسك والله اني لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك واعرف هذه البردة التي عليك وهي لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك ابن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثاني خلفاء بني العباس ولي الخلافة بعد أخيه السفاح وهي في غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث في البلاد والنواحي من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلي في خلافته باقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا ان الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى

على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عناده‌م باسيافه وكان لكمال يقظته يتلقى المحذور ويدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها واحكمها باوثق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابنى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وانا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لأرى لك هيئة وفيك نجابة وانى أريدك لامر وانا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضر فى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لى اعلم ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم والطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا وكتابا واذهب حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيرونى سرا وسيروا معى ألطافا وعينا وكلما جهلك وأنكرا صبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وأن معى ألطافا وعينا فأنس بى وأخذ الكتب وما كان معى قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم ان ابنى محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته بذلك فقال لى المنصور انى أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقانى بنو الحسن وفيهم عبد الله فانى اعظمه وأكرمه وارفعه واحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليك فتمثل بين يدى وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه وايالك ان يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه فطاب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما اعطيتنى من العهود والمواثيق أنك لا تريدنى بسوء ولا تكيدنى سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظنى المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدى عبد الله بن الحسن فاعرض عنى فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلى فرفع رأسه وملأ عينيه منى ثم وثب حتى جثى بين يدى المنصور وقال اقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالنى الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما قال على الهاشمى صاحب غدائه دعانى المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول

لها ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة والئن صدقتيني لاصلن رحمه ولا ثابن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وان تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم)

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها اسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتتفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم يفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه ينفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت

حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى وروى انه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فخاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخرهم يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الاسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جرئ على الاقران للقرن قاهر
برائنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر
يديل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على وادمسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى في نومه ان هلاكه يكون على يدي مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يصيصان حوله ويلحسانه فأقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الي قلت ارسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا يا عمادنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكي) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال عليه السلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكي) ان ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه السلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فأمر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فجعل الفار عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل

كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش ألف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ماخلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت اروت وان نحرت أشبعت وفى الحديث الابل عزلاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمى وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حمله دهن فرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماماؤه قليل وماماؤه كثير جعل الله له صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفى الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أى مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أى شئ هى من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا ينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب سترناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى حبله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه السلام أكلها فاجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء فى ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف فى ذلك احمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو مذهب الشافعى القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد فى الباه وفى الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها فى الارض أضيف اسمها اليها قال القزوينى اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه السلام ومن شأنها انها تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت مخرطا من أسفله الى أعلاه وله فى احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس

لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من خلفها ويحملها ويمشى بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يطيقها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهى حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما انثى ومن عجائبها انها تنام وعينها مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة قبل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة فى ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهى تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفى سفاده حالة تزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدبر له وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها (فائدة) ذكر ابن الاثير فى الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله اثنان وذكر وفرج وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا يتخاصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سمعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت انى وجدت تمرة حلوة قال فكلها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله امثالا ومن ذلك ما حكى ان عدى بن ارطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال انى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من عانق عليه كعب ارنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل انفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت انفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحرى من السموم فلا يحل اكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد فى الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن أعجب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا فى رجله فانصدعت جبهته * وحكى انها نهشت ناقة وفصيلها ابن تضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له ما شبيب ادخلت سجستان فقال له نعم قال صف لى أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هى دقاق الاعناق صغار الاذناب مقلصة الرؤس رقش برش

كانما كسين اعلام الحبرات كارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الزازبانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى ان تأتى اليساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلعنا بها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد اضلاعها أى ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ومن عجيب أمرها انها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى بحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعنها لا تدور واذا قلعت عادت ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها فى بحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها الكثرة أضلاعها * وحكى عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فاصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت فى حالة أتمنى فيها الموت وبينما انا كذلك اذ أتوا بوما بافاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم ما أكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ووثقت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذى يشتكى فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت

مكانا فأتنا اجعلوه فى الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (لطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره ومن ألطف ما اتفق له أيضا انه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش انه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لهما متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن أوى الى فراشه فلينظفه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضربها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلى به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله اسماء باختلاف اللغات وهو يشمه بقرا لوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتى لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبنزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كفخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون

يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت اذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والسنقر والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيدا ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصرهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز متقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لأصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزادشرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هى أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه أهدى لعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها يفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر

لطيف يأوى اطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته ابو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطى
تمشى الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحمل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه (وحكى) انه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما فى الاماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث حيث يستلقى على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشى تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضى الله عنه يفلى ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس فى ذلك فقال أبد أبا الفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابى

ليل البراغيث أعيانى وأنصبنى * لا بارك الله فى ليل البراغيث
كأنهن وجلدى اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا فى المواريث

وقال أبو الرماح الازدى

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضى ليلى على يطول
تؤرقنى حدب قصار أذلة * وان الذى يؤذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث أجول
اذا ما قتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينجى لمن قتيل
الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

وقال ابن أيبك الصفدى

أشكو الى الرحمن ما ألقى * من البراغيث الخفاف الثقال
نعصبوا بالليل لما درروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال ألله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ وما لنا أن

لانتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل انه على خلقة الفيل الا انها اكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه باربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى انه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار ومن عجيب أمره انه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلدا الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاءها وانها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
يملله فليس له قرار * ويخمشه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخاوع وقاوعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى منياط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها * فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على

رأس الاقرع نبت شعره وزيله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ماذكر (بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى أكثر ألبانا وكل حيوان اناثه ارق أصواتا من ذكوره الا البقر وانثاه يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطا المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى فى الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل فى بعض الاودية وهى واقفة ترعى فرعلها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التى كنا نخاطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثا له أربعة آلاف عين ومثلها انوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلى به على الاثر الاسود فى البدن ازاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ماذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها ان تدخل على كل طير فى وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون فى اشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهى أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم من لبسه لم ينم مادام فى يده وعكسها المغمضة واذا أردت معرفة ذلك فألقهما فى الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع ما فعلته فى نومها (بوقير) طير أبيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيئ

فان

فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى في ذكر اذا أطبق فمه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد بحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع الى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء وينغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيولمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن احوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا وستين فقارا وستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب لبدوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل في جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر في أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

(حرف الثاء)

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك انه يتموت وينفخ

بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لاتتم على كلب الصيد ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلخه وعليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه انتن من سلح الحبارى ومن لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه ونزل في الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج وفروه ادفأ الفراء وفيه الابيض والرمادي وغير ذلك وذكر في عجائب المخلوقات انه أهدى الى أبي منصور الساماني ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد ألصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزي في آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم في حلية الاولياء عن الشعبي انه قال مرض الأسد فعاده السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمني فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الأسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أتطلب لك الدواء قال وأي شئ أصبته قال قيل لي خوزة في عرقوب أبي جعد قال فضرب الاسد بيده في ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فهرب الذئب فناداه ياصاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالأمانات وقيل خرج الأسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لي والغزال لابي الحرث والضب لك ثم ثعلب فضربه الاسد في رأسه فرضخها فقال الثعلب انا اقسم حمار الوحش لابي الحرث يتغدى به والغزال لابي الحرث يتعشى به والضب لابي الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضي ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمني التاج الاحمر الذي ألبسته هذا وأشار الى الذئب (وحكى) ان الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلي جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتي لنصلي فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد لي وضوأ وأرجع ومن العجيب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي اتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت أسنانه وفروه أنفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشأن في هلاك بني آدم يلتوي على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) قيل ان عبد الله بن جدعان

كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب على فيقتلنى وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفى وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقى بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذى ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفى الحديث ان جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك فى بعضها وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر وان أول هلاك هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يايحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده لمأتيه فتأخر قال فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبرانى عن خولة بزيادة ولفظها ان جروا دخل تحت سرير فى بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبى صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحى قال لعله حدث فى البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحى قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة)* حكى أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل فى يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت

له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق بعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أختانهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره أنه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه انه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره أخذ بيضه فضمنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه انه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم *غريبة* قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتي على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فمر بي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقبله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا الى أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا سعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين ورما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران وهي أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفي طبعها انها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهي سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب *عجيبة* روى الحافظ النسفي في فضائل الاعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت

الى بعض اخوانى فاخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجمانة
فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب
يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك
وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحداة
قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن
قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل
وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل مخالفا بجهة اللسع ثلاثة أميال
ابرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس
واذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها
تشبه رأس الجمل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة
الجمل ولها كفى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل
ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس
أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك
تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال
ان الصبيان ينادونها * أم حبين انشرى بريدك * ان الامير ناظر اليك * وضارب بسوطه
جنبيك * فاذا زادوا عليها انشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا
نشرت اجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون
كالحرباء (حمار أهلى) معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس
ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو بحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه
ما هو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ما هو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك
الطريق * لطيفة * فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما فتح خيبر أصاب
حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى
ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عند
يهودى يجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم
يعفور وقال له أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا أراد
حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضى
حاجته فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا
على النبى صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى
التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه
أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال غير هنى من نسل الاكراد يحمل
الرجل ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبارا فى الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة
وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى يسارة مثلا فى الصحة
والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن

صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا بسارة قدوة لهما
رجحة ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركبوا الحمار فان كان فارها أتعب
يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغي لراكب الدحال أن يكون مركبا للرجال
وقال اعرابي الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث
سريع الى الفرارة بطيء في الغارة لا توفى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الاناء
قال الزمخشري

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد قيل كان لرجل بالبادية حمار
وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل
قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك
فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن
الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحي أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر
الى منازلهم وقد دخلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة في
هلاك ما عندي فمن عرف لطف الله رضي بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام في
الذي ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برّي وهو الذي يوجد في القرى والآخر أهلي
وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه
أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع
عشرة فراسخ في يوم واحد ورب حمام صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله
وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسماع الطير تطلبه أشد الطلب
وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعتري الحمار
اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفأر اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكره
الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة أشهر
ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى
البيضتين ذكرا والاخرى أنثى واتخاذها في البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها
والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه جل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام
شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شيء مما ذكر جاز اتخاذها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم
واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعي من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد
شيء أبله من الحمام فانه تؤخذ أفراخه فتذبح في مكان ثم يعود في ذلك المكان ويبيض فيه
ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار
ولم يبلغ ذلك القدر شيء من الطير غيره وهو الهادر الذي جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد
والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن بردونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان
ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين

فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرى حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صينى نفع من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت فى التراب والماء واتت فطينته وهى لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها فى أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لا يفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب البرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر البرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه أن البرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به البرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته ويفتح عينيه *لطيفة* قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تتمنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله ان العشاق لا يؤاخذون باقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين فى ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه السلام لما سأله النصارى فى طير لاعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وابو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهى سائرة

فيرى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها فى زمن هيجانها وتطاطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع مالاقاه واذا التقى ناباه من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقى يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فاخذها فاحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ (الخواص) اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويحلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر

(خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فاخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى

لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها احصنتهم فاغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى أن يعبر البحر فعبره وهو خلفه فاعمى اعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الانوى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه السلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قبل صلاة العصر فامر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرحابه فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس * ربطناها فأشركت الرجالا
نقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الاباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل مادب على الارض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبا فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفوله يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى ياعزرائيل أمهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يحدله نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت وأما الدابة التى من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الالوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

وقل الخبر (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ما نعلم لها قضية غير انها جارية حديثة السن تنجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيدفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل باثناه وتضع جرواً واحداً وتصعد به الى أعلى شجرة خوفاً عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهواء اياماً حتى تنفرج اعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوهاً منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع الا بالفأس والجهد ثم يشده على الفارس فلا يضرب أحداً الا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكاناً عالياً وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغتناء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاءه كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاءه فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الماء والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيراً وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولاً مثل بزر التين ثم تصير دوداً وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصروراً فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوماً قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينشران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسطما هو ناسجه

وقال آخر

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو جماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها انه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه لوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان مرشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففرت فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من

طمعه أن يأتي نفسه بالجناح الذي فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان حالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاي حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعني زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب انها تحرق وتخلطا بالكحل فاذا اكتحلت بها المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله وبامرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقي عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى قيل فيغضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول في سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس في الارض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبري العظم بري السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحمة اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفأر فيسول عليه فيكون في ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا في الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسي ذكر لي بعض المسافرين في البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا في طرفها معانا وبريقا فتقدموا اليه واذا هم بشيء مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحمة ولمة كل ذي شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى في رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما ساروا في البحر وألقاه على سفينتهم فسقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر في البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقي معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل في بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

*(حرف

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزوا الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كاه وأسماؤه كثيرة (حكى) ان أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قيل له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين عنه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة تخملت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيمطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ ويرولده بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم ان هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو

بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدى بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شادهوار) حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شئ من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض فى قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك أنه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فاعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شحرور) طير اسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لى الاخوان حين طبختها * اتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتى غنم من الهند للكبش منها اليه فى صدره واليات فى كتفيه واليه على ذنبه وربما تكبر اليه الضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب أمرها أنها اذا تسافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا أو جنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا عطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكر والله أعلم (ضب) حيوان يجعل بحره فى الارض الصلدة وعنده بلم فربما لا يهتدى لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال انه لا يشرب فانه يبول فى كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها فى الارض وتتعاهدها فى كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى بينه وبين الافاعى مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب بجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يا رسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه باسان فصيح لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا يا ضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك يا ويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولا ثنت الساعة أحب الى من أهلى وولدى وما تملك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى يا حبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال يا حبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله عندى ناقة عشارية أعطها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعينا هامن الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطفك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس

من المشركين كلهم يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطني بتمامها والبيهقي والحاكم وابن عدى (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد في الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا

(ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها في خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ماء وشربه زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نتق جعل فكه الاسفل في الماء والاعلى من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفي الآثار أن داود عليه السلام قال لا سبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لي تسعون سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو في نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضي لها من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في كل شهر ففي السنة اثنا عشر بيضة أو أقل أو أكثر ويسفد الذكر في أيام الربيع ويرمي ريشه في أيام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادي السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لانه كان سبب دخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبي) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الارام وهي ظباء الرمل ولونها رمادي وهي

سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصرة وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحيتها فى الماء العذب فاى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويعلم المرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لاتزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها انها تأتى بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى اسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك أن موسى عليه السلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بنى اسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يضلهم (فائدة) نقل القرطبي عن سيدى أبى بكر الطرطوسى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشدلهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية أن هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوى اليها وربما ابتلعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصرى بينما أنا فى بعض سياحتى اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسودة قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب

فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فاتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فاصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت عن هذه الخصلة ثم جر بنا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * ونحب فأرقبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فمن اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالنجائب

(فائدة) اذا لدغ أحدا فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما انهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرط له ذلك (الخواص) من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه اكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (علق)

دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمي فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه وسميت بذلك لانه كان في عنقها طوق أبيض قال القزويني انها تخطف الفيلة لعظمها أو كبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت في قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبي ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التي خلف خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفي سنة ويتزوج اذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشري في ربيع الابرار أن الله تعالى خلق في زمن موسى طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى اني خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التي حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهي من الحيوان الذي صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغي بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها التقضي بعض شؤنها وعمدت الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هناك تبغي قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك اخطبي لي امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغي فقال للعجوز ائتيني بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حيا وكرامة فاني قد تبت عن البغي فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان في بعض الأيام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هي الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هي في الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى في بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم الا أن أمي أخبرتني أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتي غافل أمي وشق بطني بسكين وهرب وانها حين رأتني كذلك دعت

بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه (الخواص) نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويحلو الفضة اذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفأر وعنده الحيل قبل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه ان تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفأر فسقط فاخذته أنثاه ومما يحكى عنه انه يحب الذهب فيسرقه ويدل عليه *عجيبة* قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شئ فافلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند محامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى فى طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها المعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريرى *يارازق الغراب فى عشه* وجابر العظم الكسير المهيض ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقم من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد فى طريقه رمة فسقط

عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق فى أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقربطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره (الخواص) اذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صرف خوقة على من به السعال زال (غرغر) دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنبهم الاراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على ما نقل والله أعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها (فارة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه انها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فمها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو الماء الزيت فتشربه وربما وضعت فيه جمرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم (الخواص) عينه تشد على الماشى يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره (فهد) حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على انثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل انثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثديه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما

وماظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة منّ وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أو جمه فى فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتا له شئ يحركه * فكدت أفعل شيأ فى السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم ويتركونه ومن عجب أمره ان سوطه الذى به يحث ويضرب مجمن حديد أحد طرفيه فى جبهته والآخر فى يد راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به فى لحمه وأول شئ يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل واحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فارفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد فى غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت المحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساء نى ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقصه قيص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له ما لم يكن ظالما (الخواص) جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شئ على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا انه ابرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر بيض فى الرمل ويحضن بيضه سبعة

أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيرقها بعد سبعة أيام ويقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا كرامة له لانه يقال انه يبر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحال البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيأ يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد في قبح وسخف * وما قصرت عنه في الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب امره أنه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له افراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعي فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البري فيزول أذاها وهو من الحيوان الذي يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوي يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت في معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبني آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون في ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة الاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوي الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع ادخل رأسه بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندي وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ

(كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا في القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة (كركي) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزويني واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلي وسلوقي وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقي أسرع في التعلم

من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الأجلاء من الناس (حكى) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

ومازال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عهدى والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتى * وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد رض الكلب بين يديه فجاء عدو له فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بثرهناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فمازال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه ورددوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبر ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

*ومن ذلك ماحكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فاقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاءه اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير الجاور للغنى لانه يرى من نعمته ويؤس نفسه مايفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى أن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فاخذت فى نفسى وأضمرت أن أرجع اذا لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث بكفينى ثم رجع قافلا الى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل وأطعم اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل

ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما السلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ماصنعه فى السفينة بالنهار فامره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه السلام فيدفعه (فائدة) قيل كان كلب اهل الكهف اسمه واسمه قطمير وقيل اصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان مايدخل الجنة الاهو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة أخرى) اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لااله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(لغلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ماقسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمى بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ماخلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لااله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها ان يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم

(نحل) حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا

مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فاخرج ذلك فاول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فاتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى وروى أن شخصا شكا للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البدت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بنى هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته (المخواص) اذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء فى العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم (نسر) هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب فى يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه فى تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله فى عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض فى الاماكن العالية ويلقيه فى الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للأنثى منه أم قشم وفى الحديث أتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربى وسيد العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (المخواص) اذا أخذ قلب النسر وجعل فى جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضى الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالطليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله فى حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض

نفسها

نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضى الله عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان فى زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهى لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها فى شئ اما شعب أو جحر تظن انها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفى طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من اذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وافراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأيا ركضه الذكر الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان اصمان لا يسمعان النعام والافاعى وسأل أبو عمرو الشيبانى بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة فى خلقه ويقال ان انثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفأر فيبرأ وفى طبعه عداوة الاسد وعنده شرف فى نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيأ صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

(حرف الهاء)

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه السلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبا أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه السلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبى الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه السلام لما أراد تعذيبه يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه

اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول فى صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب * والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ماخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم لما علموا عملوا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه السلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة اه وهم أصناف منهم ماطوله عشرون ذراعا وماطوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشأم وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه السلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا البنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجىء الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار

الوحشي (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق وانى رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ركب الجني انسانا ما يعمل له قال تشد ابهامه بسير من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب في اليمنى أربعا وفي اليسرى ثلاثا فان اراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسي ففعل ما أمره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبيتنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقالت لهم ائتوني بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهامها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم ماتت من ساعتها وشفي الله تلك الشابة

(فصل في خواص الطير والحيوان على الاجمال) الضب والخنزير لا يلتيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذي عين فان اهداب عينه في الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التي تضيء بالليل عين الاسد والنمر والأفعى والسنور والذي يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذي يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده في هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الباب الثالث والستون في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)

ذكر المسعودي في كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق في الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهي أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ما له أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثل عي الكلاب ومنها ما له شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ما له أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع

الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها الفا ومائتى مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله اكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى أو دبقى كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ فى يده شجرة من البلوط كالعصا وضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقينى يسلم على ويرحب بى ويكرمنى وكان رأسى لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن فى بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال لى قاضى بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته وروى عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجلهم الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض فى الطوفان فلم يبلغ ركبته ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يحتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا فى أفعاله يسير فى الارض برا وبحرا ويفسد ما شاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل فى التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا فى منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانتقب من وسطه وانخرق فى عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز فى الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه السلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفى كل يد عشرة أصابع ولكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى أول من بغى فى الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصى واستخدم الشياطين وصرفهم فى وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه السلام

أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حوّاء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكاهنت بشئ من الكهانة فدعا عليها آدم وأمّنت على ذلك حوّاء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين * ومن ذلك ما حكى عن بعض فقهاء الموصل انه شاهد ببلاد الاكراد المحمدية فى جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبى لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوى ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له فى عقله خبل فتركه (وروى) عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك فى أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط فى أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان فى جسد واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان فى بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما * ومن ذلك ما ذكر أنه أهدى الى أبى منصور السامانى فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما وذكر القاضى عياض رحمة الله تعالى عليه انه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا بعيد فانه يوجد كثيرا فى السنور الدبركى وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطوفولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولدا ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين * وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربع أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى فى مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصى ثناء عليه ومن ذلك انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمى وفى بعض الاوقات يطلع بحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته فى تلك السنة بالخصب ومن ذلك بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدى وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد فى غيرهن من النساء ثم يعيدونهن فى البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبراس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبى العباس المجازى قال حدثنى بعض التجار أنه فى سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها

وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت فى أيديهم فألقوها فى البحر فتبارك الله أحسن الخالقين
(وحكى) القزوينى عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار
فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من
المركب جماعة وكمنوا فى جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا
عليهن فأخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها
فوثبت فى البحر وأما الآخر فبقى مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه
القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها فى البحر فتأسف
عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها
صدفا فيه درتوجوهر فباعه وصار من التجار * ونظير هذه الحكاية ماذكره ابن زولاق
فى تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه
سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت
عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد
السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر
فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة
أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه درثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد
بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على
كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور
بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل
اذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف
الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون
وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات مايدل عليه قوله
تعالى وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر
العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد
ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن
الذى أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله
تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان
فى بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد
المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش فى أرضهم ذكر وان هؤلاء النساء يدخلن فى
ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان
ولد تبع اليمانى وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وأن

ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى
وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا
هلك فلما رآه استحى الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه
فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله تعالى أعلم وتلك الامة التى لا رؤس لهم
أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على
أحد منهم وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء
والامن الذى لا خوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب
وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفى
بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل
والدارصينى والكمامة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك
وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور
يخرج منه عرق كالقطران أسود نخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب بحيث تكون
أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب
وعلى جبلها نزل آدم عليه السلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن
كل مدينة فيها أعجوبة كان فى احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته
وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية
سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض اذا أراد
الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد مما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض
فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل
اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا
لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على
أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب
صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى
الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى
السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا
زادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال وقد
اقتصرت فى ذلك على ماذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم)

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب انه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة
المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم
وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم
وقال تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة

من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الاخبار ان نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه السلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعمرون منهم خبرما في السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فقتل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينطاع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فمنعه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه السلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألفى عليه قوة شهوة الفساد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجالسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لي طعاما قال مالم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل في مكايده لعنه الله) منها أنه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا يدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فلو حضرك لوجعلتها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء له ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاء لها ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين ومن ذلك ما اتفق ان بني اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشيء لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما

على نفقتك وعمادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفأس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس فى الطريق وتحاور معه وتحاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة) منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة نحو امنها على وجوههم وأخذ من فى بعض المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر تيران السعالى وتغيرلونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يحبوا بانفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لا علم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى اثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أردد ها الحديث حتى رضيت فانخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله

العظيم فتقدم وانشأ يقول

ياذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر
وان تكن ذا خيرة فينا اصطبر

قال فأجبته

ياذا الذى للحين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم نظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى حزناصفنى أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه السلام طائعة ذليلة وكانوا اذذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خوطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه السلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهى ألبسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص فى البحار وأبنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول)

(الفصل الاول فى ذكر البحار) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء واعلم أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التى ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذى يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر ارمينية والبحر

الذى عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهى منقطعة عن البحر الاسود
ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال
هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله فى البحر حصل له المد وان رفعها حصل له الجزر
وقيل انما سمى البحر الاسود لان ماءه فى رأى العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان
فى يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك
الماء فى بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاى شئ ذلك وكذلك يرى
فى بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه
الالوان فى هذه المواضع والماء فى نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون
الارض * وأما ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله
رضى الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا
أبا عبيدة رضى الله عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة
يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل
البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر
فأقمنا شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى
وقب عينيها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا
فأقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فاقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من
تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو
رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فأرسلنا له منه فأكله وقيل يخرج
من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين
فتتبعها فضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع
البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين وقال صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة
مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة
عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم
ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا
الغرق فنجانا الله بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت
فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان المنشار كل عظم
أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر اكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه
السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول
ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم
واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان
القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها
يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها
فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت

والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله
ورحمته وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا أنا
بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت
عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان
معى فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدى جميعا
وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هى
خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية
فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت
وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية اكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل
من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال
ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النار نج الاحمر الطرى الذى كأنه قطع من
شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا
هى ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك ويضرب فى يدى فلففت يدى بكمى وقبضت
عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن اقلعه من مكانه فتركته
عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه
وتعالى أعلم لاى شئ يصلح ذلك قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود
كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فأخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس
فى تلك الارض التى كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها
فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من
الاولى فانتشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها لحم كلحم العنب فسألت
عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر وراتحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه
يشبه رأس الجمل وله أنياب كانياب السباع وجلده له شعر كشعر الجمل وله عنق وصدر
وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك انه اذا
غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل
ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته
وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يحدله ألما ما دام ذلك الجلد عليه وهو
من العجائب وقيل فى ان بحر الروم سمكا طوله طول السمكة مائة ذراع واكثر وله أنياب
كانياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من
أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه
نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك
يسمى الرعاد اذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها او على حبل من
حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت
عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت

قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه مساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجاسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء وينظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه فى بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخاص منهم وسار فرأى صورا ملونة بالوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر فى بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الامة التى بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وهم فى غاية الاطافة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفضة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القمارى والابنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبى ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهى جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفى هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيف سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهى

جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت فى ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذى تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار مالا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بنائه سده حمد الله تعالى واثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال مالكم وقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعنى من العدو فلا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهما شق انسان ونقل عن بعض المسافرين انه قال بينما نحن سائرون اذا أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلمين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقى دعهما قال فلما وثقا منا نزلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدا فى الجرى فأمسكا شخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى * دهرى من الهموم والاحزان

قفا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى متى تجريان *

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى الى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب فى البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول *النيل المبارك ليس فى الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين فى بلاد الاسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة فى الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب فى البحر الرومى ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر واختلف فى زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده فى الوقت الذى يريده الله تعالى وفى الحديث أنه من

أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التى من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور * نهر الفرات يوجد بارض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقى وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتى الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفى وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات * جيحون نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شئ من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب فى بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء خمسة أشهر والماء يجرى من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين * سيحون نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجرى حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون فى بعض الاماكن * الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب الماء بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفى بعض الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه (حكى) أنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه السلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول * نهر حصن المهدى قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه * نهر اذربيجان قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمانى سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * نهر صقلاب يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام * نهر العاصى بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى ويسمى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

* نهر العمود بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فيتقطع * نهر باليمن قال صاحب تحفة

الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق * نهر ببلاد الحبشة والسودان يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة لكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثالث فى ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال اما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك * ببئر برهوت بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة * ببئر عسفان ماؤها يستشفى به قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم تغسل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها * ببئر معروفة بأرض حلب خاصيتها أنها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه مالم يجاوز الاربعين * وبنيسابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء فى وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لحظة واحدة ويجرى فينتفع به فى سقى الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول)

(الفصل الاول فى ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كحبة فى كف أحدكم وقال رواة الاثر ان لله عز وجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم باسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثانى الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم

الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الاقليم فلاعتدال اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتا آن فى سنة واحدة وانه يكون فى بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فاتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس فمن أعجبها (جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور وينقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهى الى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لان آدم عليه السلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضئ بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أروند) بهمذان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشأم) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الانداس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه صور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن اراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام ابن نوح عليه السلام وقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع

هو وقومه من طوفان نوح فاخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلئ وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرد واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك

شيأ وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصدها من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال ها هو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله تعالى أعلم * ومن المبانى العجيبة (الخورنق) الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

ومن المبانى العجيبة (حائط المجوز) واسمها دلوكة القبطية وسبب بنائها ذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها تخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تحوط ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف ونسل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى * ومن المبانى العجيبة (الاهرام) وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألف ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته

ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة اشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله تعالى أعلم * ومن المبانى العجيبة (منارة الاسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تمثال من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجىء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق فى البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك قال المسعودى قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا و بطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم

وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام فى الاسكندرية محاسا على أعمدة من الجزع اليمانى المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشى خلفه لصفائها وفى وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفى تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفى مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجارى فى كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذى لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف *ومن المبانى العجيبة (ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرافيه خمس عشرة ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا وحكى أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه وحكى انه كان بمدينة قسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته برتا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قبل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلوا طعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفطر ويبرأ سريعا واماساكه فى الفم يزيل البخر (الفضة)

قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صدؤه والاكل فى آنيته يولد أمراضا لادواء لها (الحديد) كثير الفائدة اذا من صنعة الاوله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه انه اذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على المخانير والغدد أبرأتها (المغارصينى) حجر لونه أسود يعطى جرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الطبلة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى الحمرى ثم العصفرى واردؤه الازرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للصروع تعلقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل (البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سراذاحرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس ومن خواصه اذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ما قيل (الماس) يوجد ببوادى الهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى

فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها فى المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم يخبرون الجزر ويلقون لحمها فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره انه اذا أريد كسره جعل فى انبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل فى شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب ومن خواصه أن الملوك يتخذونه عندهم لشربه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء ومن خواصه الجليلة انه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرذ) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل ومن خواصه أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الأزرق الصافى خواصه النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى يتلفى (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند المخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لاعلم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه بتشجره يشبه النبات وبحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب

وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بحاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السيج) خواصه انه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة خواصه الاكتحال بسحاقته يورث الفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته واجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال وخاصيته انه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا ومن خاصيته انه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقى فى المجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)

وما ذكرت ذلك الا لانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

(فصل فى الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا الكان كلاما مجتمع

عليه فاشتق الحداء وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري رضي الله عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه السلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما في الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا تضمطان جسده ضبطا شديدا خفيفة أن تخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجد في اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادي للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مرة يا أمير المؤمنين بأن نظموا بلاثم يوردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح الا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاياة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاياة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيري الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت وعمله في ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضي يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن في البحر دوابا ربما مرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشي من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الالحان بان شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغي ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد في نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر في مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك في الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك في باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعي

اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذبه أخف مؤنة من السماع قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعالل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم البهم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى اذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صاصل من صوتها يترجع

وبعد فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الا شاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه واختلف الناس فى الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغارة على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم القول ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لما حللن بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ماعفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمعته يغنى بالركبية يقول

فكيف ثوانى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى اسمعت ماقلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لاجل الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون أنها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصرى ماتقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويجه فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة وكان لابى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن

موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكمالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لابى حنيفة فأقبل الكمال على أبى حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن أدية ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها المغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم أبترد
ثنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظها اياها غنته

رب رسول لنا بلغنا * رسالة من قبل أن نبرحا
الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتى به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فأنزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما فى منزل الذى جعلته من محلك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شأحركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى مملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمره ان يرجع الى مجلسه

وكان مجلس بديح المغنى فأمر عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودّع سعادفان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لا بليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ماقد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فاجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام بيابنا يلحوا * ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام بيابنا يلحوا * فوجدنا فان كاكراما فقد أذن لنا وان كالئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان ابن عبد الملك مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أغد على ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جمرة الفحل فى الشوك وما أظن أنثى تسمع هذا الا صدت اليه ثم أمر به فخصى (أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهى المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجلس الرؤساء)

قيل ان أول من غنى فى العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى فى الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام هذا البيت

قد برانى الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس بن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنها حكم الوادى ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيث ما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كانه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

واذكر أيام الحمى ثم أثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينك تدمعا

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم وحدث ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلى يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج ينظره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كانهما ساريتان عبشمان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا فقال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فأمسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن

عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم أنك مأسور في أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن مافعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبي عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلي أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الي فحملوني حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبي عيسى قال لي ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود وديبس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى ديبس

* الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * أرفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى ديبس

دع الدساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت محومهم * من العبادة الانضو أشباح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كأنها دمعة فى جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لاتحلفن بقول اللائم اللاحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أغناه لألؤها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يادير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

ياهجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ماحيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لاوالذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالايحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ماتراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح عقلى ما أصبت به أهلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد مايبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا أعرابى قد ظهر من البوادى أدعوا به فذهب بى فدعانى فصرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هولى فأخطأته الجارية فقلت لها اخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أنا أبين لك ان كنت أخطأت فلتصلح وتركذا وتركذا ففعلت وغنت شيأ ما سمع منها الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستأذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتأذن لى فى برأستاذى فقال الوليد ذلك اليك فقلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من

عنقها

عنقها ووضعته فى عنق وقالت هولك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتى فأرادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى ياهاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فيعنى اياه فعوضنى عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتنى العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائى فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال على بن سليمان النوفلى غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برؤياك هاديا
ذكرتك بالدير ين يوما فاشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
اذا ماطواك الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن على قال أتمنى الهنى والمرى وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار فى كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا فى شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضى بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين فى اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكى اسحق الموصلى قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغنى بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر فى كل شئ فغننى شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومى هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما فى البين من حرق * حتى تنادوا بان قد جى بالسفن
قامت تودعنى والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الىّ وضمتنى لترشفنى * كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهى باكية * باليت معرفتى اياك لم تكن

قال فخلع على خلعة كانت عليه وأمر لى بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفى ودعينا ياسعاد بنظرة * فقد حان منا ياسعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسى هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فافنيت علاتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بارضك حاجة * ولا كل يوم لى اليك وصول

فقال والله لا سمعت يومى غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لى بصلة ما أمر لى قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدى قال قال جعفر ابن يحيى يوما لبعض ندمائه انى قد استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل من مساعد

فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في المعاد فمازلنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت اليه موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فاكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا يومنا ذلك ثم انه دخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فاذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة مالا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما تقدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا باس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فما كان باسرع من أن طرحت عليه ثياب نزه معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداءك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فنسأله الرضا عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابني ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يحبيه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بابي يوسف القاضي ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من في القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق

الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد ولينا ها هنا ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ما أدرى أى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق (وحكى) أبو العباس عن عمر الرازى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جدد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ما سمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقربكه لفعلت ولكنى أجعله قراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فاروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها لى فاذا هى كما ذكر والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى)

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال ياعلى قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفى حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا ياعلى ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
كأننى قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى السكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصار منى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال ياعلى هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقدولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا

المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مستر شفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتناجعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لأراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خبرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبدت بين خلاخلى ودمالجى * وتحل بين مراشفى ونواهدى
وتكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها الترمى اليه بالرقعة رفع الواشى رأسه فاخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا أن العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم وكان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا اهديت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له يا سيدى الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين ليلة الشعر
كلفت بها ذهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها * ورضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى يا غلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له انها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام

أرائك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال أبو سويد حدثني أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير اوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تنا ولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشر بها من كفها وأمسح في بخدها فاطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال ابا زيد حضرت في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كانها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني بين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صرار ان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان الى حقويها الماصدغان كانهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوأتان سحرا وأنف كانه قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء مالا يشتكى وعلاج مالا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية انت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترني ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا ساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا أبا زيد ان تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء يا قوت * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا ببغضتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية قم أبا زيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فامره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه

وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غنا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها * من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها الطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكن قلبها فهمت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان الم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حملك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له المجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) ان الرشيد قصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

قصدت عرقا تبتغي صحة * البسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الكاس يا سيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه
واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فأبطا قليلا * على الرغم مني فصرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا

كذا

كذا من يوجه فى حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة وأهدى داود بن روح المهلبى الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته البيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لاهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لاتهجرن حبيبا خان موعده * ولاتذمن وعدا فيه تاخير

ماكان حبسى الا من حدوث أذى * لايستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * درا لبكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لاحسب لها فنقشت على خاتمها حسبى حسنى فازدادبها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتى من يدى * أبكى عليها آخر الأبد

كانت هى الانس اذا استوحشت * نفسى من الاقرب والابعد

وروضة كان بها مرتعى * ومنهلا كان بها موردى

كانت يدى كان بها قوتى * فاختلس الدهر يدى من يدى

وللمتوكل فى قينة

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل

فان غضبت فأحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثنى اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما مارشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لايكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمى اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك لفى لذتك ولا لذة لى قال وما لذتك قال تحضرلى نبيذا فانه لاطيب لى عيش الا به فامر الهاشمى باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمى وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتى أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادى فخليتنى * اهيم من الحب فى كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال فى نفسه والله ما أظنهما فهمتا عنى وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتى اين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لها من بطن مكة بعدما * أقام المنادى بالعشى فأعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه لم يفهما عنى وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتى أين المذهب فقالت احداهما الصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهما عنى وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلا لى بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتى أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعز صبرى فيهم * ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتى أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها بعيش سيدنا ما رأيت أكثر افتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغنى له

تكنفنى الهوى طفلا * فشيبنى وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمى يتقطع ضحكا فقال لهما يازانيتان ان لم تعلمانى به انا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمى وقد غشى عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح على وطائى فقال الرجل حياة نفسى أعز على من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ما هذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفنى الملاح واضجروني * على مابى بنيات الزوانى

فلما قل عن ذاك اصطبارى * قذفت به على وجه الغوانى

قال فانبسط الهاشمى ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله * وقال على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فانى الحب أقصانى

قالت تأتى من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

وكان اشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناولينى خاتمك اذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعودونا ولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغيرت حالها فكانت تنشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

اباها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها فى بعض

الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جارية فلانة فأقلقني الشوق اليها فهل ان تغنيني شيأ في معنى ما ذكرته لك فاطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح أنني * أعار جناحي طائر فاطير
فالنعيم ليس فيه بشاشة * وما السرور ليس فيه سرور
وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها الصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل وجل خير من كثير ممل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل ان يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي ان يخفى فهو كامن كتكمون النار في الحجران قدحته أورى وان تركته توارى وقيل اول العشق النظر واول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال اني لاذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شيب أخو بثينة جملا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شيبا أتى مكة وجمل فيها فقيل لجمل دونك شيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها في الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى في الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقى ولا يذر

وفي المجالس الانيس لابي العالية الشامي قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن اكثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفي في القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال أعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس

وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروة خامل النفس مسىء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وماذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا تعدوك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير ان يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فان استعطفها أعلمته أنها لا تصلح الا للملك ثم لتعمانى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله أخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبره هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه وعره أن يرفع أمرها الى وسألنى أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتجهيزها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يا بنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خمائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته لصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمره به * وكان عبد الله بن عبدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانى قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى المرر ببابها * واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا يا أخي الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبي ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارني وهذه تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذري يقول

لو خر بالسيف رأسي في محبتها * لطار يهوي سريعا نحوها راسي

وقال يحيى بن معاذ الرازي لو أمرني الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتي ان تنادي في الموقف بقولي

ترود كل الناس زادا يقيهم * ومالي زاد والسلام على نفسي

فناديت كما أمرتني واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الي فقال أنا الزاد فضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاءه كما يقتصر على هذا فقالت أمسك يا هذا أما علمت ان ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا تيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

وقال بعض بني كلب

ان الكن طامح اللحاظ فاني * والذي يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطمالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو له فأنزله في منزله وتركه فيه وساءر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شيء وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبي ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيئا مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الي بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيتيه

فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له * مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا همست بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الاول فيما جاء فى الكناية على سبيل الرمز * وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اى والله فمن هو قال انى لأرجو أن اكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط وعن عبد الله بن عبد المطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم انه دعته بغى الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع بأتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم منها للنور الذى رأته بين عينيه فابى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا أبى ونستدينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

وقال آخر

وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس الهها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن تخونه * وأنت لا تزى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

موانع لا يعطين جمة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

وقال آخر

حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

ياغزالا الى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي اليه فأعلميه اني قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفي فلست بخائن فقالت قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا نهاني الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

وقال آخر

يقولون لا تنظر فذاك بلية * بلى كل ذي عينين لا بد ناظر
وهل يا كتحال العين بالعين ريبة * اذا غض فيما بيننّ السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو في الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا اتق الله أفي مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ما ذاك تحتي ولكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وان أباها منعني من تزوجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسلمت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الى تاخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله در ك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

يزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا تعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينب قلت لا قالت أنا زينب قلت حياك الله وحياك قالت اما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك ان لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت اني لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت في نفسي سبحان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيري لاشد عليه فقال علي رسلك اني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي أقلت في نفسك سبحان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة

قلت نعم فقد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه وبعدها وبعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستجلا
يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذي أمتعني بحبها وأشقاني ببطلها قبل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في اثمها وأعصي الشيطان في اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقي ذميم عاره وينشر قبيح أخباره اني اذن للئيم لم يلدني كريم ومر سيدنا عمر رضي الله عنه ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبي خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يعفني * وأكرام بعلي أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضي الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملحاج
تمشيه اعراق صدق حين تنسبه * أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن غير نصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وفرتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعمته فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذا أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شيء فدست اليه المرأة

ابياتا وهى قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصرين حجاج
لاتجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أبيتين عبد الله وعاصم الى جنبك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها أن ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة ابن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى * وما نلت من عرضى عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى بالمكتبين مقام
لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء ومالى جرمة فألام
فيمنعنى مما تقول تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام
فهاتان حالا نافهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله تعالى أعلم

*(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثنى أبى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحمين ان أضيفه وأسدى اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا اصدقاء لمولاى وأحب ان يناله خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة فى احضارهم اليه وان يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فاما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها واما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك اولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألنى فانك لاتسألنى حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين ان تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتنا بسببها ان تغنى ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة ارطال

فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فاعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة ارطال فلثت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
ادعوالى هجرها قلبى فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فلثت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عودا اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
الا عرجا بى بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فلثت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا اسلوكم أبدا * ما لاح بدر أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا ابكيه يا أمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن واما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بأمر رأيته لك فى هذه الاغانى وما رأيت من الجوارى قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج منى بيع ولا هبة فامسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتنى عجوز من عجائزنا فذكرت لى ان بعض اعراب المدينة يحبها ويحبه ويراها ويراه وانه يجىء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل متقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم ادع بها فى تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتابا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى اصلحى فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا تخف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى اذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو

ميت

مت فلم أر شيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندي رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات وذكر محمد بن واسع الحيتي ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات ابكارا يكون النهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم ان يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد امير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه اني أشتري له ثلاث جوار مولدات ابكارا وان اكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني افتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا ونوجوا في بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها ساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

مكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي باسهام الاسى يترشق
أمكترم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر

قدومه فاخذها وأراد ان يهرب فقطن به أصحابه فاخذوه وكتفوه واوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم انشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يدياً
مقرا بالقبيح وسوء فعلى * ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبى * وان تعفو فمن جود علياً

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت أستخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هى لك بما أعددته لها فاخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلى والحال وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نهضوا فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك ومن ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اخرج خالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه الى مشركى خزاعة قال خالد فاخرجنى اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجدنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا ان الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة ان تكون علينا ولكن تدار كنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت اصحابى بجمع السبايا لتقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا فى بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابى قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلما رأيت منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسى بعد ان انشدت شعرا فوالله لم يمهلنى حتى أتم شعرى بل حمل على فقطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما انصفتنى اتركنى حتى أجد من نفسى القوة قال خالد فتركته وقلت لعله ان يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وانا ابكى اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لى فلما

علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الملك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فاخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فاخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية واكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فابركنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما ومن ذلك ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى ان أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف واطلب الجادة فلا أجدها فبينما انا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت اسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب اليه الى ان هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطيء وطعام غير بطيء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير فمال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها ومازال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت وما بي نوم فما زالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا انهما لا يهم أحدهما الصاحه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت اني أنتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى استضعفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فاحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو اقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فاججها وشواها وقدمها الي فاكلت وأكل معي الا انه أكل أكل من لا يريد الاكل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر اشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا انه كالولهان ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت

واعلمته انى أريد الهجوع لما مر بى من التعب بالامس فقال لى نم هنيأ فاظهرت النوم ولم أنم فاقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فابطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فاوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزويجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها التى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى ان الاسد قد افترسها ثم انشأ يقول

يقول مابال منية لا تأتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل اعضاءها وشوى خلفتها ثم أخذ السيف وانطلق فابطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم انشأ يقول

ألا ايها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جريت حقا لك الشرا
وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم ان المنية قد حضرت لا محالة فاذا انا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ شويهاتى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكى وأنا ألاطفها الى أن أقبل الليل ومازالت تبكى بحرقة الى ان مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا انا بصوت هاتف يقول

كأ على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
فرق الدهر بالتفريق الفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريقى ومن ذلك ما حكى ان زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير اعزة وقد مضت الى جملها فبنت ومسحت

بين عينيه وقالت له حييت ياجمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحى ويحك من حياك ياجمل

لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال انا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال انا الفرزدق بن غالب التميمى قال انت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادى هائما مخبولا

لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا * حتى أودع قلبى المتبولا

ساروا بقلبى فى الحدوج وغادروا * جسمى يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا انى بالبيت الحرام لاصيحن صيحة افزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم تواعدا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلى نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد فى السير ثم انه مال ليستقى راحلته من حى بنى فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحى فقال يا ابن أخى ارأيت فى طريقك شيأ فراعك قال نعم ياعم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ اما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلى فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد فى السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ماهذا اليوم ياسيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق انشأ يقول

فما أعرف الفهدى لا در دره * وازجره للطير لا عز ناصره

رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف اعلى ريشه وبطايره

فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب نعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد (وحكى) الاصمعى قال بينما انا أسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

ايا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ماتى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

وحكى أيضا عن الاصمعى رحمه الله تعالى انه قال بينما انا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواهم فقالت يا هذا انه ابن عمى هويني فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشدت بيتى شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لاندبنه حتى أصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البديتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما لامرئ يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة تجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان ثقيلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * فلا قلهم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسبما تقدم فى أبو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى الاصبغ الذى وقع لى ان فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض ومدح وباب مفرد للسؤال والجواب ولنذكر ان

شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر

ابن نباتة

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل
وبيض رقاق ام جفون فواتر * وسمر دقاق أم قدود قواتل
وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف مني الحشى والمقاتل
بروحي افدي شادنا قد الفته * غدوت وبي شغل من الوجد شاغل
أمير جمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل
له حاجب عن مقلتي حجب الكرى * وناظره الفتان في القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجري فهو في الخد سائل
شكوت فما الوى وقلت فاصغى * وجد بقلبي حبه وهو هازل
طويل التوافي دله متواتر * مديد التجني وافر الحسن كامل
اطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلي وهو مفعول في الهوى * وينصب هجري عامدا وهو فاعل
تفقهت في عشقي له مثل ماغدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل
فيا مالكي ماضر لو كنت شافعي * بوصلك فافعل بي كما أنت فاعل
فاني حنبلي في الهوى متحنبل * بعشقك لا اصغي وان قال قائل

كمال الدين بن النبيه

الله أكبر كل الحسن في العرب * كم تحت لمة ذا التركي من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافترمبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي * بل في جنى فيه أو ريقه الشنب
كأنه حين يرمي عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
ياجاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فمي ويلثمها سهم من الخشب
من لي باغيد قاسي القلب مبتسم * لا عن رضا معرض عني بلا غضب
فكم له في وجود الذنب من سبب * وليس لي في قيام العذر من سبب
تميل اعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب
اشار نحوي وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكاس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ماجليت * في حجرة الدن اوفي قشرة العنب

الهاء زهير

يعاهدني لا خانني ثم ينكث * واحلف لا كلمته ثم احنث
وذلك دأبي لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلني يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازئا بي ويعبث

وماضر بعض الناس لو كان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث
امولاى انى فى هواك معذب * وحتام ابقى فى الغرام واممكث
فخذ مهجة روحى ترحنى ولا أرى * أموت مرارا فى النهار وابعث
فانى لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
اعيذك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى ارق وادمث
تردد ظن الناس فى فاكثروا * أحاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عنى من اراد ويبحث

النابلسى

ما كنت أعلم والضمائر تصدق * أن المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك اسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لى للدوام تطرق
قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيونى ان ترى للشيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

أبو الحسن الجزار

فى خده من بقايا اللثم تخميش * وبى لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبى من الترك أغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
اذا تثنى فقلب الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت اطروش
كم ليلة بات يسقينى المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
فى مجلس ضحكت ارجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لى خصره المضنى فناسبنى * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقد خفى الردف عنى من تثاقله * فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانتها فيه قلبى أمره فرط
ان الصواب لتجميل السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنا غلط

القاضى مجد الدين بن مكانس

أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا فى سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وترددت فضلاته فى خده
اسكنته قلبى فأعدت خده * نيران احشائى عليه ووجده
من لى به حلو الشمائل اهيف * روت العوالى عن مثقف قده

ياعاذلى فى حبه لوأبصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم فى حبه * وعلمت ان ضلاله فى رشده
فوحق موتى فى هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهى وبرده
ماجاد غيث الدمع الامن هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يارسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدى فى الهوى * خبرى فصف فعل الغرام وأبده

عز الدين الموصلى

نفس عن الحب ما أغفت وماغفلت * بأى ذنب وقاك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت * ماقدمت من أسى قلبى وماعملت
أفديك من ناشط الاجفان فى تلفى * والسحر يوهم طرفى انها كحلت
وأوضح الحسن لوشاءت ذوائبه * فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس فى لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت
من لى بألحاظ ظبى يدعى كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وجمرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت
اما كفانى تكحيل الجفون اسى * حتى المراشف منه باللمى كحلت
أستودع الله اعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم ألقت بمبسمها * الى الملام ولا والله ماقبلت

غيره للفاضل

شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كلف بكم قضيته
وأنا الذى لومر بى من نحوكم * داع وكنت بحفرتى لبيته
كيف التعرض للساو وحبكم * حب بأيام الشباب شريته
لله داء فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى الهجين مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كانى عليه تخلصا * لا والذى بطحاء مكة بيته
ولواستطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

للشيخ بدر الدين الدمامينى

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور * وهو مازال من قديم عليلا
مرابدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدى * فيه ياعاذلى مديدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الاقليلا
قلت اذ لاح طرفه والماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا

كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

وقال آخر

لوان قلبك لى برق و يرحم * مابت من ألم الجوى اتألم
ومن العجائب اننى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى اسهم
ياجامع الضدين فى وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ما تتكلم
ومن المروأة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث تؤم

وقال آخر

تصدق بوعدان دمعى سائل * وزود فؤادى نظرة فهو راحل
فقدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والاصائل
تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصب لحاظرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جسده * خجلا ومال بعطفه المتماس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

وقال آخر

وغزال كل من شبهه * بهلال أو بدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فه * قد تعديت وأسرفت فمه

وقال آخر

بأبى غلام لست غير غلامه * مذ جاد لى بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

وقال جمال الدين بن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجرى مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
واذا تالق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
نفذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل فى شرع الغرام وماغوى
وبمهجتى رشأ اطالت عذلى * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتى سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروى الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

وقال آخر

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

وقال غيره

ياحسنا مالك لم تحسن * الى قلوب في الهوى متعبه
رفت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتنى * منه وقد ألسعني عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسني * وبالذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندي سنا * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطني * ومذ رآني مبتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبني * وحبه اياي قد أتعبه
يرحمه الله على أنني * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقال آخر

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وقال يحيى بن الحكم

دنا هاجري نحوي بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلي ثنى عطفه دلا
فتيمني شوقا وانحلني أسى * وأفقدني صبرا وأعدمني عقلا
شكوت فما ألوى وولى ومالوى * وأعرض مزورا فأفسد المحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمي لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

وقال أيضا

بأبي غزال الخاز لته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زورة تشفي الجوى * فأجابني عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا في خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكي لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب في لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب علي بأن أراك مفارقي

وقال ابن نباتة

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا

وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الالفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لنادرا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لاني * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لمحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبي الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حيا تى * واشكر من صنائعه الجمالا

القاضي فخر الدين بن مكانس

باغصنا في الرياض مالا * حملتني في هواك مالا
يا رائحا بعد أن سباني * حسبك رب السما تعالى

وله أيضا

أجارك الله قد رثت لي * مما ألاقي عدا وحسد
وعاذلي مذ رأى ضلوعي * تعد سقما بكى وعدد

ابن رفاعة

يقولون هل من الحبيب بزورة * وعنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قدّه وما * يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

الشيخ برهان الدين القيراطي

ووردي خد نرجسي لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح بحمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودي له باق واست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف وأحشائي على حبه انطووا

وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا

شبه السيف والسنان لعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حد نادون ذاك حاشى وكلا

وله أيضا

يا بي أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن محده

وقال آخر

تملك رقي شادن قد هويته * من المند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصبي حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي

ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديري

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عياني غير محتجب

وذكرها انس روحى وهى نائية * والقلب مازال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح راح يعذلنى * ولا لواش خلى بات يلعب بى
عذابها فى الهوى عذب ألذبه * ومر هجرانها أحلى من الضرب
فان نأت أو دنت وجدى كما علمت * تشيب فيه الليالى وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته فى الحب لم يجب

وقال عفا الله عنه

سقى طلا حلته سلمى معاهد * وحياه من دمعى مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتنى صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عنى ولم ازل * ويقظان طرف البين عنى راقد
وأيامنا بالقرب بيض ازاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا فى الحقيقة واحد
وكم قد مرجنا فى مروج صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
نجر ذيول اللهو فى قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند
فهل أنت ياسلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لى أم حادبا القلب حائد
وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى * وقولك لا عاش الخؤون المعاهد
وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أحلت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقينى بالوفا منك شاهد
وانى ما بدلت عهدك فى الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مساعد
فان كنت حمل الود صرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمرى وجدى بالحشاشة واقد
وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كونى انى بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندى الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * لقاد زمامى نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوى فى المحبين كاسد

وجل منای القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقال عفا الله عنه

تهددنی بتبریح وبین * وتوعدنی بتفریق وصد
وتحلف لی لتلبسنی سقاما * تهنی جلدی به وتذیب جلدی
وترمینی بنبل من جفون * فتضنینی وتصمینی وتردی
وتحرقنی بنار الصد حتی * تذیب حشاشتی کمداوکبدی
فقلت لها ودمعی فی انسکاب * یفیض دماء علی صفحات خدی
ومن لی ان یقال قتیل وجد * واذکر فی هواك ولو بصد

وقال عفا الله عنه

سلوی عنك شیء لیس یروی * وحبی فیك سار مع الرکاب
ولم یمر سواك علی ضمیری * ووجدی فیك أیسره عذابی
ومالك عن سواد العین یوما * ومالسواد قلبی من حجاب
وما اخضرت دوامی الشوق الا * هززت الیك أجنحة التصابی

وقال عفا الله عنه

قفا نبك دار اشط عنا مزارها * وأنحلنا بعد المعاد ذکارها
وعوجا بأطلال محتها ید النوی * فأظلم بالنائی المشت نهارها
فقد نابها رعیا من الانس ان رنت * بمقلتها یصمی القلوب احورارها
تصید قلوب العاشقین أنیسة * ویحسن منها صدها ونفارها
ویهزأ بالاغصان لین قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
ولیس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا جلها وسوارها
منازلها منی الفؤاد وان نأی * عن العین مثواها ففی القلب دارها
یمثلها بالوهم فکری لناظری * واکثر ما یضنی النفوس افتکارها
وهیج دمعی حر نار صبابتی * وما خمدت بالدمع منی نارها
وساعدنی بالایك لیلا جمائم * تهاتف شجوا لایقر قرارها
بکین ولم تسفح لهن مدامع * وعینی فاضت بالدموع بحارها

وأولفه رحمه الله تعالی وهو قول ضعیف علی قدر حاله لکنه یسأل الواقف علیه من افضاله ستر ما یراه من عیوبه وان یدعو له بمغفرة ذنوبه

نسیم الصبا بلغ سلیمی رسائلی * بلطف وقل عن حال صبك سائلی
فقد صار بالاسقام صبك معذبا * قریح جفون من دموع هوامل
صبورا علی حر الغرام وبرده * حلیف الضنی لم یصغ یوما لعاذل
یبیت علی جمر الغضی متقلبا * یئن غراما فارحمیه وواصلی
الا یا سلیمی قد أضر بی الهوی * وهاجت بتبریح الغرام بلابلی
رمیت بسهم من لحاظك قاتل * فلم یخط قلبی والحشی ومقاتلی

كتمت غرامى فى هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعى برسائلى
سلمى سلى ماقد جرى لى من النوى * فقد عادلى حال له رق عاذلى
لعل تجودى للكئيب وتسمحى * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلى
عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى * فيا لسقم اعضائى وهت ومفاصلى
خفيت عن العواد لولا تأوهى * وعظم أنينى لا يرانى مسائلى
فرقى فقد رقت عداى لذلتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعت زمانى فى عسى ولعلها * ومافزت فى الايام منك بطائل
فما آن ان ترضى على وترحمى * ضنى جسدى فالوجد لاشك قاتلى
توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضل

وله رحمه الله تعالى

ياربة الحسن من بالصد أوصاكى * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى
ويافتاة بفتان القوام سبت * من فى الورى ياترى بالقتل أفتاكى
لقد جننت غراما عذر أى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياكى
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليلا حزينا لم يزل باكى
عذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى * فهل ترى تسمحى يوما برؤياكى
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم انا ما نسيناكى
ما آن ان تعطفى جودا على فقد * أضحى فؤادى أسير اللحظ عيناكى
ما كنت احسب ان العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل اهواكى
حتى تولع قلبى بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى فى حسن معناكى
رقى لعبدك جودا واعطفى وذرى * ولا تطيلى بحق الله جفواكى
ياهند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت ياهند ما أقساكى
رق العذول لحالى فى الهوى ورثا * وأنت ياهند لا ترثى لمضناكى
والله لو مت ما أسلاك يا أملى * ولو فنيت غراما لست انساكى

وقال آخر

كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسير امام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول
وقائلة لى كيف حالك بعدنا * لتعلم ما هذا اليه يؤول
فقلت لها قدمت قبل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فليلى طال هما فانشدت * ومازال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمى لم يزل مترجفا * فقالت وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * بيوم وداع ما اليه سبيل
قلعت لعينى فى هواك ياصبى * لكى لا أرى يوما على ثقيل

وقال الوأواء الدمشقى عفا الله عنه

يامن نفت عنى لذيذ رقادى * مالى ومالك قد أطلت سهادى
فبأى ذنب أم بأية حالة * أبعدتنى ولقد سكنت فؤادى
وصددت عنى حين قد ملك الهوى * روحى وقلبى والحشى وقيادى
ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا * قلبى أسيرا ماله من فادى
لاغرو أن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الآساد
يامن حوت كل المحاسن فى الورى * والحسن منها عاكف فى بادى
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعى السيوف تقر فى الاغماد
وتعطفى جودا على بقبلة * فيميم مبسمكى شفاء الصادى
ماتت أطال الله عمرك سلوتى * ولقد فنى صبرى وعاش سهادى
ومن المنى لودام لى فيك الضنى * ياجبذا لأراك من عوادى
وأجل منك نواظرى فى ناضر * من خدك المتورق الوقاد
وأقول ماشئت اصنعى يامنيتى * مالى سواك ولو حرمت مرادى
الامديح المصطفى هو عمدتى * وبه سألقى الله يوم معادى

وقال البهاء زهير

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفرقى سحاب يطر الهم والاسى * وتحتى بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات أسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففى القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

مجنون ليلى

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا ستنقضى * فما للنوى يرمى بليلى المراميا
أعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمنا فان تكن * شمالا يناز عنى الهوى عن شماليا
أصلى فما أدرى اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلى لا والله لا أملك الهوى * اذا علم من أرض ليلى بدا ليا
خليلى لا والله لا أملك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا
ولو ان واش باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبى الحياة لو أنه * يزاد لها فى عمرها من حياتيا
على أننى راض بأن احمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى * فما لى ارى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لوما ت من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سمته * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

كمال الدين بن النبيه

أما وبياض مبسمك النقى * وسمرة مسكة اللعس الشهى
ورمان من الكافور تعلو * عليه طوالع الند الندى
وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد ريى
الى كم اكتم البلوى ودمعى * يبوح بمضمر السر الخفى
وكم أشكو للاهيه غرامى * فويل للشجى من الخلى

صفى الدين الحلى

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا الدواء يكون بعد الداء
احيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كانها * در بباطن خيمة زرقاء
أمست تعاطينى المدام وبيننا * عتب غنيت به عن الصهباء
آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعد ها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى
أمصدمة منا بنبل لحاظها * ما أخطأته أسنة الاعداء
أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء او من مقلة نجلاء

وله رحمه الله تعالى

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى
قضيت وما أودى الحمام بمهجتى * وشبت وما حل البياض بمفرقى
قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تفرقى بين المنعم والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحببت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينقى
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تدعى أفعاله وترفقى

وقال عفا الله عنه

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا لو جلته لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
جورية الخد تحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج
جادت لعرفانها أنى المريض بها * فما على اذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى ما بى فقلت لها * كفى فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل بى * والصمت فى الحب اولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور اللاحظ الغنج

وقال ابن نباتة

رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حدر
راض الهوى قلبها القاسى فجاد لنا * وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ما سفرت * والبدر ساه اليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحيا من مقبلها * اذ نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت * من برشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وأبدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

وقال ابن الساعاتى

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال آخر

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الوأواء الدمشقى تضمين

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

لابن نباتة

عذولى لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

وقال آخر

ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثى عال فى السهاد لانى * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

السراج الوراق

يا لائمي في هواها * أسرفت في اللوم جهلا ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وقال آخر

وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

لعز الدين الموصلي

قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفتن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

وقال آخر

قالت وناولتها سواكا * ساد بفيها على الاراك
سواي ماذاق طعم ريقي * قلت لها ذاقه سواكي

وقال آخر

سألتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه بعذر
حديثها سكر شهي * وأحسن السكر المكرر

ابن نباتة

ومملولة في الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

وقال أبو الطيب المتنبي

بأبي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلابيبا
الناهبات عيوننا وقلوبنا * وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتي وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
ويسمن عن برد خشيت أذيبه * من حر أنفاسي فكنت الذائبا
يا حبذا المتجملون وحبذا * وادلهمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن أنشبن في مخالبا

وله أيضا من جملة قصيدة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عناظلت أبكي وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم

الشريف الرضي

وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر ومسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهضي * قالت روادفها اقعدي وتمهلي
واذا سألت الوصل قال جمالها * جودي وقال دلالها لا تفعلي

ابن اسرائيل

وعدت بوصل والزمان مسوف * حورا ناظرها حسام مرهف

نشوانة خصباء منهل ثغرها * درورية قتها سلاف قرقف
وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لاتحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف
بابانة قد أطلعت أغصانها * ورد اجنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكى الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ماتأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا * مالى الى أحد سواك تشوف

ولنذكر ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

للشيخ شمس الدين بن البديرى

ولما أتت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أنى بالغرام أذوب
علقت بانوى غيرها متلاهيا * ليطفى ضرام فى الحشا ولهيب
وكان هيامى والهوى وصبابتى * لمن هو فى الاولى الى حبيب

وله فى المعنى

تلاهت عنها فى الغرام بغيرها * وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتى * فاضرمت نارا فى الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذى يتقلب

وقال أيضا

سألت القلب هل ميل للبلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك النصابى الواردات
وترمى بالصدود وبالتجنى * وتنحلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولاتك ذا انجاح * فما يغنيك ان فات الفوات

وقال البيطار

يقولون هذى ام عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
الا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

وقال غيره

وقالوا بع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخرا تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * وخان فكيف آمن الجديدا

وقال آخر

لم انس اذ قلت من وجدى لها غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

وقال آخر

أمن المروءة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

وقال آخر

الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت خالي من يديه خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح * بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحبه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

وقال آخر

سألتها التقبيل من خدها * عشرا ومازاد يكون احتساب
فخذ ثلاثينا وقبلتها * غلطت في العد وضاع الحساب

وقال آخر

يا من سقامي من سقام جفونه * وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقال آخر

صبحته عند المساء فقال لي * تهزا بقدري أو تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

أبو عبد الله الغواص

من عذيري من عذول في رشا * قامر القلب هواه فقمر
قد رأى مني حسنه * وهواه غير مقلوب القمر

وقال آخر

جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

وقال آخر

لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا لا ولا نظرت * عيني لغير محياه وجهك القمر

ابراهيم بن العباس

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويصرع قلبي اذ يهب هبوبها
* قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وقال النوفلي

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ علقت بحبها * فأشربه الا ودمعي مزاجها

وقال آخر رحمه الله تعالى

ياذا الذى زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
قام بباب الدار من تيهه * ماضره لو دخل الدارا

وقال آخر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ابن نباتة

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده * فوا لعصران العاشقين لفى خسر

أمين الدين بن ابى الوفاء

يانازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر

ياعاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو * يمر بى كل وقت * وكل امر يحلو

الحاجبى

ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائغ
وقلت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

وقال ديك الجن

ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظما وردا فهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

وقال آخر

ما اخترت تركك وداعكم يوم النوى * والله لا ملا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتقادبى

وقال ابن المعتز

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التى * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

وقال آخر

وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

وقال آخر

ولى فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شئ فداك به

وقال آخر

وما هجرتك النفس يا مى أنها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

وقال المحاربى

اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بانضج من كى الغضى المتلهب

وقال الاقرع بن معاذ

أقول لفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرنى أما تأثم التى * أضر بجسمى منذ مر خيالها
فقال بلى والله أوسيصيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

وقال آخر

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال عبد الله بن ابى الشيص

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كأنى قد قتلت لها قتيلا * فحاشى بغير الهجر ترضى

وقال الحسين بن الضحاك

بعضى بنار الهجر مات حريقا * وبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننتك ذلك المعشوقا

وقال آخر

وأجيل فكرى فى هواك * بلا لسان ناطق
ادعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

وقال آخر

يا ويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فاذله * ان العزيز على الذليل يتيه

انظر الى جسد أضرّ به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وخليفه واخوه

وقال احمد بن طاهر

تقول العاذلات تسلّ عنها * وداوعليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال اسحق مولى المهلب

* هبيني يامعذبتي أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فاين الفضل منك فدتك نفسي * على اذا أسأت كما اسأت

وقال ابو العتاهية

يقول اناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موسع * ونوم على عيني قليل مفوّت
اذا اشتد مابي كان أفضل حيلتي * له وضع كفي فوق خدي واسكت

وقال بشار

ياقرة العين اني لا أسميك * أكني باخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أوسهم عيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك
ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

وقال آخر

ألم تعلمي ياأحسن الناس أنني * احبك حبا مستكنا وباديا
أحبك مالو كان بين قبائلي * من الناس أعداء لجرا التصافيا

وقال آخر

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فاذ زكاة منظرك البهي
وذاك بان نجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي
فقال ابو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الصبي

وقال آخر

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهنا في روضة الحسن ضاحك
اغن زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والمجفون سوافك

وقال آخر

الم تعلمي ياعذبة الماء أنني * اظل اذا لم اسق ماءك صاديا
ومازلت بي يابين حتى لو أنني * من الوجد أستبكي الحمام بكى ليا

أبو العباس الشهير بالنفيس

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفوني وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

الوزير ظهير الدين الملقب بابي شجاع

لا عذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو غاضت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هي أوقعتني في حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلا سفحن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

وقال العتبي

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

الرفاء الاندلسي

ومهفهف كالغصن الا أنه * تتحير الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكامل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وقال آخر

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

وقال آخر

ما زال ينهل من صرف الطلا قدحي * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق
فعائل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناقي فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الجمر بالعرق
وقال لي بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت في عنقي

وقال آخر

باركان هذا البيت انى لطائف * وفي الكون أسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالي صيارف
وبي ذهبي اللون صيغ لمحنتي * يريد امتحاناتي وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لا غش عنده * فيا ذهبي اللون انك حائف

وقال آخر

أسنى ليالي الدهر عندي ليلة * لم أخل فيها الكاس من أعمالي
فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل في الرقباء

لو أن لي في الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الأمر في التعذيب

لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال أعرابى

بسهم الحب كلم فى فؤادى * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب
ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

وقال آخر

من عاش فى الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت فى بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقال أحمد بن أبى سلمة

يعذلنى فيه جميع الورى * كأننى جئت بامر عجيب
أظن نفسى لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

وقال آخر

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف * اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها ياعلوه ذا الذى بقى
ألم تعلمى أن البكا طال عمره * فشابت دموعى عند ما شاب مفرقى
وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتى وتحرقى

وقال آخر

ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معى
وما زلت أبكى فى دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

وقال آخر

رجوت طيف خيال * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

يانازح الطيف من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عن حالها ياما جرى

وقال آخر

أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جرقات لاتتعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

وقال البدر الذهبى

قالوا تباكى بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

وقال ابن مطروح فى الغيرة

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

وقال آخر

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

المظفر بن عمر الآمدى

قلت للذين جفونى اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال غيره

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مرحلو المجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

الشريف الرضى

علالانى بذكركم واسقانى * وامزجالى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكم * أنى أعذبه بالدمع والسهر

عز الدين الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر في أولى تسايره
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقال آخر

ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الا الصبح ثم بنا * فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال غيره

فلم أر مثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

وقال آخر

ليلى وليلى سواء في اختلافهما * قد صيرانى جميعا في الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال آخر

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وقال غيره

رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عينى فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقى * صحت يا ليل أما فيك سحر

وقال آخر

يا ليل طل أو لا تطل * لا بد لى من سهرك
لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك

وقال بشار بن برد

خليلى ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل اليها المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وقال آخر

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليلى تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقال ابن منقذ

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال آخر في ليلة ممطرة

أقول والليل في امتداد * ودمع الغيث في انسفاح
اظن ليلى بغير شك * قد بات يبكى على الصباح

ومما جاء في الاشعار المحزنة قول صفى الدين الحلى

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب
بكرا اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعدة العهد بالاعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
باكرتها برفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والادب
بكل متشح بالفضل مؤتزر * كأن فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
بذلت عقلى صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

وقال أيضا

تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور فقم بنا يا صاحبى * نستدرك الماضى بنهب الآتى
تؤج بكاسات الطلا هام الربا * فى روضة مطلولة الزهرات
تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف ساقاة
تلف النضار على العقار عشيتى * وفراغ راحاتى على الراحات
تركى لاكياس النضار جهالة * من ذا أحق بها من الكاسات
تمت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد نكد فتاة
تابع الى أوقاتها داعى الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تمم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

وقال أيضا

حى الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح
حاش الانام وعاطنى مشمولة * ظنت فسادى وهى عين صلاحى
حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح
حيث تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح
حجب الحباب شعاعها فكانه * شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لا تقنع بانك صاح

وقال آخر

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها يا سيدى * تأتيك باسمة وأنت تعبس

عز الدين الموصلي

لئن شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فيزما قد حلت الكاس بالذهب

يزيد بن معاوية

وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطلعتها الساقي ومغربها فمي
مدام كثير في اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

وقال آخر

كأن الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا في الروض تملى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

وقال آخر

فكانها وكان حامل كأسها * اذ قام يحلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجا بكواكب الجوزاء

وقال كشاجم

صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

كمال الدين بن النبيه

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت تباشير الصباح فأسقني * ماضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها * لمقطب الاتهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم فاسرت * سراؤها في باخل الاسمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار أو افتضح

وقال غيره

وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا
مازلت ألثم بدرا * بها واشهد شمسا

عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية

وكاس يرينا آية الصبح في الدجى * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

وقال ابن تميم

وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ابن مكانس

نزل الطل بكرة * وتوالى تجددا *
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

الشيخ شهاب الدين الحجازى

كاسنا باصاح صرفا * جليت بين الندامى
لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالمدامى

صفى الدين الحلى

كيف لا تخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء الممات

غيره

صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج
ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

مجد الدين بن تميم

نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى مع دنى

تقى الدين بن حجة

حبابها عاصرها فى كاسها * مشرفة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

أبو الطيب المتنبى

ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضئ لنا من أفقها الغسق
خمرا اذا ما نديمى هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ما غربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

وقال آخر

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

وقال آخر

عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

برهان الدين بن العمار

يا كرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا به

جولان العاذلى

اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

وقال فى الشراب المطبوخ

يا من يعذب ماء الكرم بحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخسر لا قدرا ولا حطبا

وقال أيضا

وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يحول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

وقال غيره

لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقانا به صريح
هذا من الحى للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

وقال غيره

عابوا على مدامتى * أنى تهيم الصبوحى
واستنكروها وقالوا * تخلات قلت روحى

وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق

أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه الروض لما بكى
وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مصطكا

وقال آخر

يا ليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قعت عنابا

وقال آخر

أما ترى الغيث كالباكى بادمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
فقم فدیتك نشكو ما نكابده * من الزمان وما نلقى الى القدح

ابن نباتة

أما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

ومن شعر عضد الدولة

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا * ونارى بين نارنجى وراحى
فشمعى ومشربى ونارى * وثلجى والصباح مع الصباح

لحيب فى لحيب فى لحيب * صباح فى صباح فى صباح

ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواكب درّ فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

وقال آخر

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال آخر

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجد وجه بركتنا هبوب * تمرّ به الجنوب مع الشمال
وحرّكت الغصون فشابهتها * قدود ساقتنا فى كل حال
فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى
فكل جماعة لا شك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

وقال آخر فى الشراب على الغيم

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأى ان تدعو برطل * فتشربه وتدعو لى برطل

وقال آخر

فيا بكرا بكر بكرة بكر كرمة * تفز ببكور باكرتك بها بكر
ودا وخمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

الصنوبرى

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن
حمرا مروّقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسنى
يسعى بها أغنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج يمنى الى اليمن
فى ريقه عسل قلبى به خبل * فى مشيه ميل أربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * فى طرفه حور ير نوفيجرحنى
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن
فى روضة زهرت بالند قد حسنت * كأنها فرشت من وجهه الحسن
يا طيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

كمال الدين بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهات وهات * واشرب هنيئا يا اخا اللذات

* كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر رسمح والحبيب موانى
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
* حمراء صافية توقد نورها * فجعلت للنسيران فى الجنات
* ينسل فى قار الظروف حبابها * والدر مختلب من الظلمات
* عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاتى
* يسعى بها عبل الروادف اهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
* يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
* لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

وقال أيضا

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن خجل اللحظ شاطره
مهفهف القد بدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره
تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتاها هاروت آيته الكبرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وقال آخر

شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعالى بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

برهان الدين القيراطى

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب
جئنا لخمار وقلنا له * احمل الينا جرة كى نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل منى قريب
قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

وقال أيضا

صرف الزبيب لصرف همى * نص على نفعه طبيبى

آهـا على سكرة لعـلى * أن أخلط الهم بالزبيب
وقال قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتعـذ الحرام حـذا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

ومما قيل فى شرب الفقهاء

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الابارين

فيمن يطيل الحديث والكاس فى يده

وشادن نطقه حار اذا شـفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عـرض السموات

ومما قيل فى كريم السكر لئيم الصحو

اذا هـز اللئيم السـكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضـنا
يجود بمـاله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

وقيل فى شجاع السكر

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقـاه جزوعا * اذا اشتد اللقاء يوم الطعان

وفيه أيضا

يقول جبـان القوم فى حال سـكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أنا قل فيها كل ليث مناهـز
ومن لى بحـرب ليس يخمد نارها * لعـمرى انى لست فيها بعـاجز
ففى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقـاه كبعض العجائز

وقال فى شرب الثلاثة

ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشـهم ما فيه تكدير
هـذا يغنى ذا وهذا الذا * يسقى وذا بالشرب مسرور

وقيل فى شرب الاربعة

الا انمـا خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعـد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

وقيل فى شرب الستة

خير المجـالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه
فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنيه
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فانك زانيه

ومما قيل فى الشرب مع التجار

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
فذاك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذى بعت الذراعا

وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهموا أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

فيمن أكل على الشراب

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل إرتعدت يداه
نديم دأبه فى السكر أكل * فلا يبقى على شئ يراه

وقيل فى قدح

غرامى ووجدى بالذى كان فى الثرى * مهانا فاضحى فى المجالس حاكما
* قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض اصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى أو حرير
وقد صفى الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهى نور
ومن يرد السرور يعش هنيئا * اذا العيش الهنى هو السرور
وعندى اليوم فتيان كرام * وجوههم وشموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لامر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك فى الحضور فحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

وقال آخر

باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنأ بعيش جميل غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن فى كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
لا صاحبتنى يد لم تغن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخباشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

سيف الدولة بن حمدان فى ساق

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم * فما بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت ايدى النجوم مطارفا * على الجود كالحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ابن نباتة

سقى وواعدنى وصلا ألذ به * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبيله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقال آخر فى ساق

وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

وفيه لابن النبيه

ساق صحيفة خده ماسودت * عبثا بسلام عذاره وبنونه
جعد الذى بيمينه فى خده * وجرى الذى فى خده بيمينه

فى جارية ساقية

نديمى جارية ساقيه * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

فيمن حبس الكاس فى يده

قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب
فاجبتهم كفوا الملام فانه * قرينة طرفه فى كوكب

وقال آخر فى مجلس أنس

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

صفى الدين الحلى فى عود

وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدماوهو ريان ناعم
يغرب فى تغريده فكانه * يعد لنا ماالقنته الحمائم

وقال آخر فى زامرة

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل فى فانوس لابن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وفيه لابن قزل

وكأنما الفانوس فى غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

ولبعضهم فى شمعة

حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صباد ونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

(ومما قيل فى الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب فى أيكه أطياره
وبدا البهيج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لى * هذا هواك وهذه آثاره

وقال غيره

غدونا على الروض الذى طله الندى * سحيرا وأودج الابارين تسفك

فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجرى دمعه وهو يضحك

وقال آخر

اما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء فى جوانبها * وللربيع ابتسام فى نواحيها

غيره

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر
والارض لا تجلى أنوارها أبدا * الا اذا رعدت من شدة المطر

وقال ابن قرناص

يا حسنها من رياض غدا * جنونى فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام اغصانها

وقال آخر

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

وقال ابن تميم

وحديقة ينساب فيها جدول * طرفى بروناق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها فى مائه * فكانما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه

لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافى
والزهر حيانى بثغر باسم * والماء وافانى بقلب صافى

وقال آخر

قد سعينا نبغى زيارة دوح * قد حبانا بالطف والاكرام
ناولتنا أيدى الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

(ومما قيل فى الازهار والثمار) قال بعضهم فى الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * فى روضة القصف والاطيار تنتحب
الورد ضيف فلا تجهل كرامته * فهاتها قهوة فى الكاس تلتهب
سقيا له زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

وقال آخر فيه

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طولت للئام الناس اعمار

وقال آخر

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

وقال آخر

اشرب على ورد الخدود فانها * أيام وردوا الصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم

ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

(ومما قيل فى البنفسج) وقال ابن المعتز

ولازورديه وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات مصففن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

وقال آخر

اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدى السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخدمه هف * أو أعين زرق لحان بأثمد

وقال بعضهم فى الورد

للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه فى المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص يد فى خد ذى غنج

وقال آخر

يا مهديا لى بنفسجا أرجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا بمقدمه * بان ضيق الامور ينفسح

وقال غيره فى النرجس

وقضب زمرد تعلوها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

وقال آخر فيه

أنت يا نرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان أوراقك ست

وقال آخر فيه

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الىّ وللغمام حولى المام
أيا رب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين نمام

وقال أيضا فيه

لما تمادى الورد فى زهره * وراح من اعجابه برأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

(ومما قيل فى الاينوفر) لابن المعز المصرى

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب
مفتح الاجفان فى نومه * حتى اذا الشمس دنت للغيب

أطبق جفنيه على خده * وغاص فى البركة خوف الرقيب

وقال تميم بن المعز المصرى

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ماشأنك وسط البرك
فقال لى غرقت فى أدمعى * وصادنى ظبى الفلا بالشرك
فقلت مابال اصفرار بدا * فيك وماهذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفرولو ذقت الهوى صفرك

ومما قيل فى البان

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان باغصانه * قد قلب الفروالى برا

وقال آخر فيه

أما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وقال فى الشقيق

حييته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فأنبت خده * اضعاف ماحملت يداى اليه

وقال آخر

لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر اخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق * فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل فى المنثور)

تخال منثورها فى الدوح منتثرا * كانما صيغ من دروعقيان
والطير ينشد فى اغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فانى

وقال آخر

قد قيل المنثور ياسيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
ثناك لازال كانفاسه * ومخ من يشتاك مثل اسمه

ولبعضهم فيه

ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

ومما قيل فى الياسمين

والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

وقال

وقال آخر

رأيت الفأل بشرنى بخير * وقد اهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

ومما قيل فى السوسن للاخطل الاهوازى

سقيا لارض اذا ما نمت نبهنى * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى

افدى الذى زارنى سرا فاتحفنى * باقحوان يحاكى ثغر مبتسم
فبت من فرحى أفنى مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم

ولبعضهم فيه

ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومما قيل فى الجلنار

وجلنار مشرق * على اعالى شجره * كأنه فى غصنه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * فى نرقة معصفره

ومما قيل فى الآس

أهديت مشمه قدك الماس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك فى حركاته * وكأنما تحكيه فى الانفاس

ومما قيل فى الريحان

وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصنى نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

وفيه ايضا

وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

وقال آخر

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
* فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى فى سوالف أغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما) فى الاترج قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * جملا ونشرا وطاب العود والورق

ولبعضهم فيه

حماك من شهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

وقال آخر

ياحبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب * كانها كافورة * لها غشاء من ذهب

فى الليمون قول ابى الحسن رئيس الرؤساء

ياحسن ليمونة حيابها قر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب

كانها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

وفيه أيضا

وصاحب ناديته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد

واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق اغيد * قدا كتست تلهبا * من خده المورّد

ولاتدع مجتهدا * لذة يوم لغد * أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد

كأكرة من فضة * مملوأة من عسجد

فى النارنج لعبدالله بن المعتز

نظرت الى نارنجة فى يمنه * كجمرة نار وهى باردة اللمس

فقرّبها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

وقال آخر

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد

اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

وقال آخر

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ماترى كالصولجان

اشبهها ثديا ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

وقال آخر

وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد مائن من الدر

نطالعها بين الغصون كانها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر

أتت كل مشتاق بريا حبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لايدرى

فى التفاح لبعضهم

ولما بدا التفاح احمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق

وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

وقال آخر فى تفاحة

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق

كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

ولبعضهم فيه

تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدا محب ومحبوب قد التصقا

تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمرّ ذا خجلا واصفرّ ذا فرقا

وقال

وقال آخر

وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمر فجاءت باحمرار أديمه
تذكرني شكل الحبيب وحسنه * وتورید خدیه وطیب نسیمه

وقال آخر

جمرة التفاح في خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

وفيه أيضا

اهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

وقيل في السفرجل

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وقال آخر

سفرجلة صفراء تحكي بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

وقال آخر

سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

وقيل في الكمثرى

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهي جاء من روح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتتلنا * مغيرة بلون الزعفران

ابن برغش متغزلا

وكمثرى سباني منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر في معنى وقد

ومما قيل في المشمش

بدا مشمش الاشجار يذكو شهابه * على غض اغصان من الروض مید
حكى وحكت أشجاره في اخضراره * جلاجل تبر في قباب زبرجد

ما قيل في الاجاص

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج في خضر من الازر

ما قيل في الخوخ

أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر رأنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه فى مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعير * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

ماقيل فى الفستق

تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * واحشاء ياقوت وقلب زبرجد

ماقيل فى البندق

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

ومما قيل فى النبق

وسدرة كل يوم * من حسنها فى فتون * كانما النبق فيها * وقد حلا فى العيون
جلاجل من نضار * قد علقت فى الغصون

ومما قيل فى اللوز

ومهد البنا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كانهما حبان فازا بخلوة * على رقبة فى مجلس فتعانقا

فى العنب لبعضهم

هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده
نوعان من عنب حاآ على طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكى لون أبيضه * وأسود العين يحكى لون أسوده

فى قصب السكر

ورماح لغير طعن وضرب * بل لاكل ومص لب ورشف
كملت فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

ومما قيل فى البطيخ الاصفر

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم يبارق

وقال آخر

وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
فخيل لى شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

ومما قيل فى البطيخ الاخضر

وظبي أتى في الكف منه بمدية * وقد لاح في خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت في اكفهم * وقد عمات فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت في زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

وقال آخر

وبطيخة خضراء في كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجي القلوب مع المهج

ومما قيل في القثاء

انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرد خضرا ما لها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار في عكسه انى بكم أثق

ومما قيل في الباذنجان

وكأنما الابذنج سود حمائم * اوكاره خمر الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرد سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

ومما قيل في الانهار والبرك والنواعير

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس في حافاتها طلعا
والنهر من فوقه يلهيك منظره * شهب سماوية فارتج والتمعا
كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمي الى ضرب الكماة سعى

وقال آخر في بركة

يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السمائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا بذت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وقال آخر

وبركة للعيون تبدو * في غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * في الارض جزء من السماء

وقال محمد بن سارة المغربي

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وقال آخر

يوم لقا النيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما دارا له سرر

وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجدعوما * كأنهم نجوم فى المجره

وقال آخر فى النيل

النيل قال وقوله * اذ قال مل معسامعى * فى غيظ من طلب الغلا * عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها باصابعى

وقال آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقال آخر

وفت اصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى اصابع ذى أيادى

وقال آخر

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال آخر

ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعاله فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

وقال آخر فى ناعورة

وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

وقال آخر

وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

وفيها أيضا

وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكى اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكى بغير صبابة * وابكى بافراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعى من عينى يفيض على خدى

وفيها أيضا قال الخطيرى

رب ناعورة كأن حنينا * فارقته فقد غدت لى تحكى
أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى إلفها تدور وتبكى

ابن تميم

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما * فاصبح ذا يجرى وذاك يدور

(فصل

(فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

لابن عفيف فى قاض مليح

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ * اذا رنا لى بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

وقال فى فقيه مليح

وبهجتى ظبا عدا متفقها * وهو المهذب فى الرشاقة والحور

أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

وقال فى محدث مليح

علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن * حديثه ووجهه * كلاهما عندى حسن

وقال فى امام

جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود

فتمنيت ان وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

ابن الرومى وأحاد

بى عروضى مليح * موتتى فيه حياة * عاذلاتى فى هواه * فاعلات فاعلات

فى مؤذن مليح

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اى شحيح

أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

لابن عربى

وبنفسى مؤذن قد سبانى * لم يفدنى شكوى الغرام اليه

كيف يصغى لما يقول حبيب * واضع أصبعيه فى أذنيه

وقال آخر فى مريد

مراد قلبى مريد * مخبأ فى الزوايا * وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

وفى فقير مليح

بى فقير يتغنى * بسنا وجه منير * لا تلمنى فى افتضاحى * فغرامى بالفقير

فى أمير شكار لابن دانيال

بى من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح * لما حكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

فى مليح مغن

أضحى يخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود

فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

فى مليح عواد

غنى على العود ظبى سهم ناظره * أمسى به قلبى المضنى على خطر

دنا الى وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

فى مليح كاتب

بروحى كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل

على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعى مسلسل

غيره

وراقناذا المفدى * فيه تزايد عشقى * فلو يجود بوصل * لكان مالك رقى

وفيه أيضا

ياحسن وراق أرى خده * قد راق فى التقبيل عندى ورق
تميل فى الدكان اعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطى فيه أيضا

فديتك أيها الوراق قلبى * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

فى مليح صيرفى

ياسائلا عن حالتى ماحال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صير فى لا برق لحالتى * قد مت من جور الزمان وصرفه

فى مليح بخانقى

تسلطن فى الملاح بخانقى * ولا يرضى ببدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * واصبح راكبا تحت العصائب

فى مليح فراء

قلت لفراء فرى أدمعى * وزاد صدا وطال هجرا
قد فر نومى وفر صبرى * فقال لما عشقت فرا

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء فى مزين

حبى المزين وافى * بعد البعاد بنشطه * ومص دمل قلبى * بكأس راح وبطه

فى مليح قصاص

اشكو الى الله قصاصا يحرعنى * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص يمناه فقلته * أيضا تقص علينا أحسن القصص

فى مليح صياد

ومولع بفخاخ * يمدها وشراك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكى

فى مليح رامى بندق

وأهيف القد ذى دلال * طائر قلبى عليه واجب
كالشمس فى كفه هلال * يرمى الى البدر بالكواكب

وقال آخر فى راع

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفنى بالجدى ناديته * ما القصد يا مولاى الا العناق

القيراطى فى مليح طحان

حسن طحان سبانى * بلحاظ وبقامه * خاف من واش فأضحى * يجعل الغمز علامه

القاضى بدر الدين البلقينى فى تراب

رب تراب مليح * أورث القلب عذابا * قلت لما أن بدالى * ليتنى كنت ترابا

وقال آخر فى مليح عوام

ياحسن عوام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بأن * يريهم الارداف ان عاما

ابن نباتة فى مليح حبشى

بروحى مشروطا على الخد أسمرا * دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وله أيضا

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * وتشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

وقال آخر فيمن به صفرة

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد

وزائر قال قلبى * للطرف ياطرف شاهد * مدحته فتحنى * تيها على تزائد

وقال آخر فى مليح أرمد

شكا رمدا فقلت الآن كانت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

لمجد الدين بن مكانس فيه

تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لحبيب القلب والالما
وبات يرمى محبيه بأسهمه * فماله من حبيب قد شكا ورما

لابن أبى حجلة فى أعور

ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم * ماظل ينظرهم بعين واحده

وقال آخر فى مليح راهب

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس ام ضرب النوى قيسى

القيراطى فى مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق فى حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

آخر فى مليح اسمه حمزة

متى يبدو لحمزة ما بقلبي * ويرثى لي ويعطف في بلائي
واشفي بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائي

وقال آخر

كلفت به ولم أبلغ مرادي * غزال قد تحكم في فؤادي
فتصحيف اسمه في وجنتيه * وفي معسول فيه وفي فؤادي

في مليح سروجي

فتنت به سروجيا بدا لي * به قد ذبت وجدا من ضلوعي
اذا جذب الغرام له عناني * يلذ لي الركوب على السروج

وقال آخر في مليح محموم

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * انا الذي كنت في حماه السما
عانقته وله لهيب النار في كبدي * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

لابي نواس في مليح الثغ

ومهفهف دنف الصبا ذي لثغة * تصبو اليه ذو والعقول الرجح
قبلت فاه فقال لي متخوفا * من كاشح متدلل لا بالثا انتحى

وقال في مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدى * في حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال في مليح حائك

وحائك باصاح ابصرته * كالبدر في كفيه ماسوره
فلم أرح الا وروحي لما * عاينت في كفيه ماسوره

وقال في مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

وفيه أيضا قال

تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمني حتى سكرت من الوجد
وانشدني مالي أراك مفكرا * تدور على الشامات وهي على الخد

في مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفاني وكف وصلي

وقال غيره

فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسي للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسي

الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه

لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي في كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

وقال في مليح سلم عليه

تنبأ فيك قلبي فاستراب * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا لي * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الي وقيل كمله الغزال

وقال في مليح يرمي بالسهام

وظبي بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنحا بأنجم

وقال في مليح يضرب بالعود

فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه في فيه

وقال أيضا فيه

وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيداه اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

وقال في مليح مشيب

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نابك نأى الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت في اللفظ والمعنى على قدر

وقال في مليح ساق

وساق من بني الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو ساقي

وقال ايضا في رسول مليح أتاه من عند من يحبه

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله * يا طلعة الشمس التي * جاء الصباح دليله
لم يبد وجهك قبلة * الا ارتقبت وصوله * فلذاك اذ واجهتني * بل الفؤاد غليله

في مليح قارئ

نفسي الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا في المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبي وتضني كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محياه مثل صورة يوسف

وقال آخر في مليح مكتمل العذار

وكامل العارض قبلته * فصدني وازور من قبلتي
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر في محبتي

وقال آخر في مليح حجام

كلفت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواظب
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

(فصل في الالغاز) في غزال

اسم من قد هويته * ظاهر في صروفه * فاذا زال ربعه * زال باقي حروفه

في كوز فقاع

ومحبوس بلا ذنب جناه * له في السجن توب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

في زرموزة

مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تاكل

وقال في طاحون

ومسرعة في سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشي ولا تتعب
وفي سيرها ما تقطع الاكل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهي لا تشرب
وما قطعت في السير خمسة أذرع * ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب

في دواة

ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن مالذ قط لشارب
وفي بطنها السكين والثدي رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

في دواة أيضا

وما أم يحامي معها ابنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا وثبوا لجوا حشاها * أفاع في أماكنها رقود

في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذي منطق وهو ابكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحي بليغا وهو لا يتكلم

وفيه أيضا

بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كان ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

وفيه أيضا

وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مفطوما كما كان تحتمي * به الاسد في الغابات وهو رضيع

وفيه أيضا

وذي تحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جار

ملازم الخمس لا وقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

فى مرملة

معشوقة لذوات العز قد صنعت * خزينة ماتراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكى دما على ماسطر القلم

فى كتاب

وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين مادمت تبصر

فى سلطان حسن لابن أبى حجلة

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان
تصحيفه أمسى حميدا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لو جاد لى يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

فى شبابة

وماصفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتئبة وليس لها بنان * منقبضة وليس لها انقباب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

وفيها أيضا

ومقروحة الاجفان مثلى شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
* تزوجها عشرو ذاك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ماوطيها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

وفيها أيضا

منقبة مهما خلت مع محبها * ترود ها الثما ويظرها شرزا *
وتصحيفها فى كف حاملها فقل * اذا شئت فى اليمنى وان شئت فى اليسرى

فى دملج

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد * الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

فى خلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

فى شعر اللحية

وذى عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفى قلب هرون له الهلك والمحق

فى التين

أى شئ لذ طعما * ناعم الملمس ولين * كيف لا يبدو وضوحا * وهو فى التصحيف بين

فى الموز

ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

فى حمزة

من لى بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
فى فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

وفيه أيضا

اسم الذى أنا أهواه وأعشقه * وطول دهرى أخشى من تجنيه
تصحيفه فى فؤادى دائما أبدا * يبدو وفى خده أيضا وفى فيه

فى ساقية

وجارية لولا الحوافر ماجرت * أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هى أمهم * وليس لها ثدى وليس لها بعل

وفيها أيضا

وجارية تبكى اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

فى زروعروة

وما أخت بحامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفى أعناقهم ذاك النكاح

فى راوية

وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون أختها * وثنتاهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى وأختها * وفى ساعة يضعان الولد

فى شطرنج

ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

فى فيل

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لى ثلثاه

فى بجع

ما طاثر فى قلبه * يلوح للناس عجب * منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

فى نار

وما اسم ثلاثي به النفع والضرر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا يحتشي الرمح بأسه * ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قمت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فمن عنها ونبه لها عمر

وفيها أيضا

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان اسقيتها ماء تموت

في يد الهاون

قل لي خاشي يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له خزة * مفيشل الرأس قوي الجنان
يسمع في القعر له رنة * ويظهر الصفق بأعلى مكان

وفيه أيضا

خبروني أي شئ * أوسع ما فيه فمه * وابنه في بطنه * يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

في خشخاش

وما قسة ممنية فوق شاهق * لها علم يحكي الملاحة بالطرف
وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا او يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

في كوز زير

وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا لب *
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

في اسم علي

اسم الذي أعشقه * أوله في ناظره * ان فاتني أوله * فان لي في آخره

في موسى الصفدي

وما شئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

في حلب لابن الفارض

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أنوى بارض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجي النغم

وقال في سمرقند

وما اسم سداسي اذا ما لمحته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر

له ثلث يأتى به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله ياصاحبى له * على مدد الايام نشر معطر
وفى نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهى فى الدالى يذكر
وفى نصفه الثانى اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى * فليس على ذى العقل لغز معسر

وقال فى كمون

ياأيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سوملك
تراه بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

وقال فى قالب الطوب

وما آكل فى قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة او لحظتين ببطنه

فى العين

وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا يطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ما أشرت اليه ومانبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض ومافيه من الفنون المتقدم ذكرها ولنذكر ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هى الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفى ذلك اختلاف وعند جميع المحققين ان هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهى الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التى لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفى الدين أبو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى * والمرخص الغالى ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

(فصل فى بيان الفن الثانى وهو الموشح)

لابن المبارك

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * واوحل القلب فيه مذحل

دور

أميل له فلا يميل
يحول وعنه لا أحول
أقول اذا زاد بى النحول

أما حل عقد الصدود ينحل * ويرحل عن نجم المزحل

دور

كم أبعد وكم أبيت مكمد
ويعمد بهجره لا أفقد
وأجهد لارتصاد من قد
تحمل والحاسدون رحل * بمجل والوعد منه ماحل

دور

متوج بالحسن هذا الابلج
مدبج عذاره البنفسج
مفلج وطرفه ذا الادعج
مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر مجمل

دور

برغمي من يستحل ظلمي
ويرمي بحربه لسلمي
وجسمي من التزام سقمي
منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمي وماحل

دور

قلاني واشتط ذا الفلاني
غزاني بطرفه اليماني
ترائي أنشد لمن يراني
قد أنحل الجسم أسمر الكحل * وأوحل القلب فيه مذحل

لابن سناء الملك

كالي ياسحب بيجان الربا بالحلى * واجعلي سوارك المنعطف الجدول

دور

يامما فلك وفي الارض نجوم وما
كلما اختفت نجما أظهرت أنجما
وهي ماتهطل الا بالطلى والدما
فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي * وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

دور

تنقد كالكوكب الدري المرتصد
يعتقد فيها المجوسي بما يعتقد
فاتئد ياساقي الراح بها واعتمد
وامل لي حتى ترائي عنك في معزل * قل لي فالراح كالعشق ان يزد يقتل

دور

لا أليم فى شرب صهبا وفى عشق ريم
فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا اهيم الا بهذين فقم يا نديم
واجل لى من أكؤس صيرت من فوفل * الذلى من نكهة العنبر والمندل

دور

خذ هنى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى
واسقنى على رضاب الفطن الملسن
والهنى ببعض ما صيغ من الالسن
لو تلى مدح سناه مع رشا أكحل * لذلى على سنا الصهباء والسلسل

دور

أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت
أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت
طولى يا ليلة الوصل ولا تبخلى * واسبلى ستركِ فالمحبوب فى منزلى

دور

من ظلم فى دولة المحسن اذا ما حكم
فالا لم يحول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من ولى فى دولة المحسن ولم يعدل * يعزى لاحاظ الرشا الاكحل

وله ايضا

ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

دور

لقد أسرفت فى هجرى وصدى
بلا سبب سوى كلفى ووجدى
وماذا فى سلوى عنك بجدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

دور

لئن شحيت عنى بالسلام
وطيفك قد جفا جفا المنام
فقد حادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أسف به النصول

دور

لقد أرسلت فى طى النسيم
حديث هوى عن الوجد القديم
فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبران ظعنهم نزول * بدار لا يلم لها تزيل

دور

تلقته الموالى والموالى
بألحاظ وزرق من نصال
وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

وله أيضا

شمس الضحا أم القمر * أم بارق الثغر يا بشر
أم الهيا حفه الخفر * بطرز خديك مستطر

سلسلة

قم تباها بما تباها ولا تلاها

قفلة

فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر

الدور

أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

سلسلة

اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

قفلة

تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

الدور

فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

سلسلة

فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

قفلة

الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

وقال رحمه الله تعالى

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هموا بالمنحنى

فارقونى ولم أقض الوطر * من لقاهم ولا نلت المنى
قلت ياقلب صبرا ما صبر * والذى ما الهوى الا عنا
ما كتمت الهوى الاظهر * من شهود المدامع والضنى

دور

ليش تمنع وصالك ياحبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك
لست ألفى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لماك
لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

دور

يا قمر فوق غصن من نقا * أنخنتنا مطالك والصدود
يا رعى الله ليلات اللقا * ليتها يا خل يومالى تعود
ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

غيره

حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقى

دور

ساروا وسار الفؤاد لكن
جسمى مقيم على المساكن
وعنى الحب صار ظاعن
مالى الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

دور

وغادة كالقضيب قدا
والورد واليا سمين خدا
كأنها البدر اذ تبدا
وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

دور

هونا أتتنا تميل ميلا
سحابة كالشهاب ذيلا
فقلت شمس تزور ليلا
ومادرى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

دور

وسدتها ساعدى لسعدى
وبت ارعى رياض ورد

وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراقى

دور

لما رأتنى أذوب سقما
ومن ورود الرضاب أظما
قالت كلمات المخدود لثما
ما يشتفى منك ذا الغليل * بغير نومى وشبل ساقى

(فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت)

لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله

أهوى قمرا له المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق
تدرى بالله ما يقول البرق * ما بين ثنايا ه ويدنى فرق

وقال أيضا

أهوى رشا كل الاسى لى بعثا * مذ عاينه تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال أيضا

* عرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

وقال أيضا

روحى لك يا زائرا فى الليل فدا * يا مؤنس وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا اسفر بعد ذاك صبح أبدا

وقال آخر

يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ما باحوا

وقال آخر

أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت * يا رب عسى تكون واو العطف

وقال التلعفرى

قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بدنى فرثى لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد

احسانك طول الدهر لا أنساه * لا اذكر بعدك خالقى الا هو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

وقال آخر

ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكروهى وماجناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * يا ليتهم عادوا وعاد الصد

(فصل فى الفن الرابع وهو الزجل)

حل للغبارى

قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا ذا النفار
لهم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

دور

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قد تو قد الاغصان جهار
وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

دور

تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق لكم قلنا والحسود راح بنار
أنتم التفاح وما نقصد منكم الا الخيار

دور

وملاح مصر قالت احنا أصحا ب الوجوه الملاح
والحلاوه وطيبة الاخلاق فى الخلائق مباح
احنا أقمار واحنا بدور لليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار
وورثنا الحسن من يوسف وأكتسبنا الفخار

دور

حسن حبى الفرارجى فرحه بدر فى السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح
كلما أعمل على رضاء يفسد بجفاء الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر رد جفنى بنار
وجفانى وخد بياض جسمى خلطو بالصفار

دور

وقع الطل خط بالابيض فى اخضرار الطروس

قم ياساقى على بساط زهرى تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار
قد جلوها فى كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

دور

خمر فيه سر لو جعل أشياف ردّ الاعمى بصير *
اقطع القطف أسود يحاكى الليل شفق احمر بصير *
ياترى ذا السر فى كرمه أو يكون فى العصير *
وترى النور داعليه يلمع ذاك من ايش استنار
وكذا الكاس يحاكى ياسمير من كساه جلنار

دور

فهو عطار عند وشراب هندى وبرانى جفاه *
كل من مص من لسانو ريقو يلتقى فيه شفاه
* وردخدو وحبتو سودا شمه خال فى صفاه
جبل آس عارض وأسرقلبى والكبار والصغار
فى المحبا غار واء لى حسنو وكل من حب غار

دور

دوّرونى الملاح على كعبى ونصوا نصوص *
بلادعوى التفلف اليسير فى هواهم خصوص
وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين مارأوا خلف له همه ولو اصطبار
قرونى فى عشق هذا القمر والمحبه قمار *

دور

لحبيبى ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق
وخدود ورد من غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت اهداب غزار
فى صفا وجهو أنزه طرفى عند خلع العذار

دور

فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لاترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف
* واعجب من النهر اذ صفق لو من الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار أعلى مطار

باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود وطار

دور

أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال
نبى من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولوان النبات جميعه أقلام والمداد البحار
والخلايق تكتب مديحوتاه كل كاتب وحار

دور

خلف استاد فى الفن ما ينطاق ذاق عداه المنون
ما يعيبوا فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون
شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار
وأهل الفنون تجرى وما تلحق للغبارى غبار

غيره لناصر الغيطى

كنز روضى طالبو يسعد ياخليع قم فى دجى الاسحار
تلتقى در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار

دور

كنز روضى نزهة الطالب جوهر وبين الندى يرهج
ومجين المايبتكسر ياخليع هيا تعالا تفرج
بين عنابر تلتقى الخلع كل حد مع الفويدرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين اغصان وما واطيار
فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده احكت لنا دينار

دور

وترى الياسمين بحال فضه ضربت لاهل النزه صلبان
والشحارير لابسين اسود وقلانس كنهم رهبان
وكذا الكنان وهو اصفر بعمايم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار
والقطيع الراهبى يحكى لشماس لابس الزنار

دور

الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضى وداحبوب عليه يشفق
ولهب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وأنا مطمن وسط روضا زهرها معطار

فى نعيم مع حور ومع والدان والعذول مسكين صبح فى نار

دور

وعمل فى الروض سماع باكر بين الاغصان والزهوران قام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتر وجدوهام
والنخيل باكمامها ترقص واقبل الريحان بحال اعجام
والعصافير شيخهم زيق لوطريق بين الازاهر طار
والبلبل بالغنى يشجى فكانو نای او مزمار

دور

ناصر الغيطى

ياالخلايا صحبت انسان أنكر الصحبة وعادانى
وبغضنى حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى
فى بلاد قبلى وأرض الشام يشكرونى سايراقرانى
والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الارض لوتذكار
والباط يوقع لو تعلق مايحصل شئ مع الشطار

للغمارى

جار حبيبى فقلت ذا انحجاج جايجوراويزيد
لوعدل عشت بومسرور ويكون الرشيد

دور

اقلع القلب فى هوى العشاق والدموع فى انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت أحسب قلبى معوريس غرتو ذا البحار
صحت لما وحلت يا محبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

دور

انا يوم فى الغوق باتفرج على شط الغدير
اذرأيت عالشط واحد واقف شب صياد صغير
نظرت مقلتى الى منظر مالحسنو نظير
قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك فى فخاخ شباك عشقو وكراكى يصيد

دور

من نجموجديد حبيب قلبى يوم صدفتوصدف
قلت لين ياقاسى لمن دمعو سال وحالو وقف
داروقال لى ماالاسم بالانجيل قلت اسمى خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع ذاالكلام يستفيد
فى الحقيقة من لايكون داود مايلين لوالحديد

دور

للك عوارض فى الخد مرقومه ليس لها من مثال
وجفاك صار جاق وباب وصلك كان وكان باغزال
وأنت دو بيت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك ألفاظ صارت موالبا بالزجل والنشيد
وبشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد

دور

عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار
حين وجدنا سفرجل البستان يذهب الاصفرار
وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
فى ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد
حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد

دور

من لهيب مدمعى جرى الطوفان للهيب ماطفى
وانا هو الغيارى فى العشاق ماجرى لى كفى
حين علينا بالصد والهجران والبعاد والجفا
* جار حبيبى فقلت ذا الجاج جايجور أو يزيد
* لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

غيره

حين سكنت القلب ياعيسى أمسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان

دور

عارضو لما عشق خدو غرت من وجدى بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو أحوسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت فى خدو النقى العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقه جيت لطرفو قلت ياكسلان
هكذا فى عادة الحراس قال لى اعذرنى انا نعسان

دور

بدر شعبان منيتى لما فى بروح السعد لاح نجمو
قلت لو اقضى بفيض دمعى اطلقو واجراه على رسمو
قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسموا
ايش قد أذنب حين قطرتو دايغلط قول بالهتان
قال لى صوم عن الوصال ناديت ليش اصوم يابدر فى شعبان

دور

حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض اسبانى
ضحك فابيض واتبسم واسود ادشعرى وابكانى
وحين اضحت باصفرار لونى أشعث اغبر فى هواه عانى
قال لى لونك قد صبح حايل وقد ابصر مدعى طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت فى هواك ذقت الهوان الوان

دور

قلت لوحين عنى تخلف لله كن لى يارشيد مهدى
قد تلون دمعى من بعدك وتجرى اليوم على خدى
دار الى انسان مقلتى قال لو أنت ماعندك نظر بعدى
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال يافتان
جرى الماتحت من بعدك راقب الله فيا يا انسان

دور

ذا الغزال النافر الانسى للغزاله قد اعار النور
كسر قلبى كسر جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور
وبخمر الدن قد عربد وادعى انى انا المخمور
وابتسم لى عن نقا ثغرو وخطروا البشر فياياى
صحت ياقلبى صفا وردك انت مابين النقا والبان

للصفى الحلى

انت ياقبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

دور

أنت شامابين الانام الله يحرس شمايلك
ويزيدك بالدوام كى نعيش فى فواضلك
ماينطوى ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين
قد بقينا بك فى امان الله يحييك طول السنين

دور

مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك اعم
كل من جا يسألك ليس تقول له سوى نعم
املك انت او ملك ضاعف الله لك النعم
انت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين
درغيثك فى انسجام عم كل السائلين

دور

لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا
كل ليله وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى
حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين
وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

غيره

خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغر معشوقى الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم
دالى قد هواه قلبى صاد وبا و يا
ملح مارأيت مثله ظا وبا ويا *
ما احلاه عند ما يلبس قاف وبا ويا *
ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد
لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد
النوم من جفون عينى خاء ولام وصاد
واصبحت وجود فكرى عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال
اعدل فى الذى صبرو نون و فا ودال
ولا تهجر العشاق يا وعين ودال
* ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

حل فى الالغاز

المطلع فى العين

وما طير لكلوا لمجر يا كرام * وجوهر حبابه يفسد اهل الصلاح
ولمس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

دور فى السراج

وما بحر ما هو ماوفى الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شئ صفات حيه بلا وكر استفيد * لها جوهره فى فمها يا رفيق
بلا شك بنظره القريب والبعيد * ويخفى وينظهر كل يوم عن حقيق
يغيب فى النهار لكن اذا ما الظلام * تشوفو يضى بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

دور فى جوزة الكافة

وما هى التى تركب على ستين الف * ومامثل ذاك فسر لنا يا خبير
مليحه وقصيفه وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير

لها عشرة اعوان حالهم مختلف * يشيلوا ودها الكبير والصغير
لها خول يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح
واكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلته ومن غير مزاح
دور فى الغربال

وما هو الذى ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لذلك الفنون * وميت وهو يحيى اصول الحيا
اذا غاب عن اهله فرد يوم مايهون * ولا حد يعوض موضعه لوعيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكابد عجاجه فى المسا والصباح
ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

(الفن الخامس فى الموالياً)

وله وزن واحد وأربع قوافى فن تلك الاربعة واحدة اصفى الدين الحلى

ياطباعن الخيل والابطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت
هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذشاهدت أضواك قد غارت

وقال أيضا

سل مقلتيك الكحال عن سلاسلها * ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

وقال آخر

قد أوعدونا الغضا بانا نخلو * فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو

وقال آخر

قسما وبالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بمسجدها وجامعها
لو حل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

ومن اثنين واثنين قال آخر

قوم اسقنى ماتبقى فى اباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت اباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقه * سقى المدام وان عزت سقى ريقو

وقال

البارحه ريت بعينى فى الدجاجين * اثنين مثل البدوره فى الدحى جيين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا لمن قد وعدنا فى الخفاجيين

وقال

قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ماظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

غيره خمرى عاطل

كاس الطلا لطلاها طال لما سر * وصار لما حوى حمرا مكال در

مدام لوطعم كله حلوماهومر * ماحل مملوك الاصار مالك حر

غيره حربى

لك يا امام الوغى فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفنى وكفك لايمل الضرب

الصفى الحلى فى المدح

أغنت وأقنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى فى الكرب

وقال أيضا

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * أخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ماجدت الا وثغرك مبتسم بازين * وذاك ماجاد الا وهو باكى العين

وقال فى التهنئة

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * وريت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
وريت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

فى المعاتبة

عنى تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ تولليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقال أيضا

ياقلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * فخن وان هم قسوا فاقس وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

وقال آخر

حلف على جكاره ان يقاطعنى * وصد عنى واقسم ما يطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصد عنى * ان كنت آنا المطلق لا يراجعنى

وقال آخر هجو

قطع قفا ابن أخت خالك وابن أخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك او ابن أمك
وان تكلمت تصفع تا يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

وقال آخر

ان ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأسن ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

وقال آخر

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ماغرك

وقال آخر

ياقلب ان خانك المحبوب لا تدبر * عنوو عن قصة السلوان لا تخبر

واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ماخاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر * ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك * ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غائب وذهنك مشتغل * فكيف يا متخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع * ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه * وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع * مافى النصيحه فضيحه كلا ولا انكار

وقال أيضا

صرح بذكر المحبه مافى المعمى فائده * وقل نعم أنا عاشق صادق بلاتمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر * أنا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى * حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى * وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى * وفيه عزى وذلى بهجتى افديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصروا عتبر * هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

الصفى الحلى

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى انصب شركك
ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان الفى لو ردت مثله ما حصل
وهو على معود وانا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلقى لبرج غيرى ماعرف
كائنا فى الصحبه جينا على ميعاد
من قبل ما أبصبص له يجى ويدخل مصورى
وانا ارصده فى مطاره خائف عليه ينصاد

وقال آخر

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى * الله يصبر قلبى على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى * وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لونه وطعم وريحه * ما أكثر مغابن حبيبى وما أقل وفاه
انا عرفته وحظى وكل ما احسن لوسى * لو كنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

وله فى الفراقيات

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى * لا أوحش الله منكم فى سائر الاوقات
أوحشتم العين منى وانسكم فى خاطرى * والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات

قد انتهى الصبر منى وما بقى فيما رمق * هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى * أعد بين الاحيا وانا مع الاموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم * أيش ضر لو كان جسمى من جملة التبعات
ما مر ما ريت ضدى يقول لى من فرحته * هنا تشق المرايز وتسكب العبرات
لو لم أسلى روحى وارض نفسى بالمنى * لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين اظعانكم * اخفض جناح المذله وارفع الاصوات
طول الليالى أساهر كنى أريد الكيميا * اقطر الدمع منى واصعد الزفرات
ما اطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه * وما اقصر أيام وصلى كأنها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت * وسيآت الاعادى ابدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم * كذا العبيد تتابع أوامر السادات
اسكت واصبر عنكمو ويفعل الله ما يشاء * والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات أبوه أراد ان يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فاصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله

قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات انا بنى ابن نقطه * تعيش أبو يامات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه

ومنها للصفى الحلى

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور
بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور
يسمع والا فبيقى * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور
أشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور
قد كفت فوق الصدور * بين الظبا والبدور
فصرت أحسد من أبصر * خيامهم والخدور
* نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيرى يلازم الصدور * وانا عليكم أدور

واصطلى

واصطلى الصدوانا * من بينهم مهدور

وقال أيضا

حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور
يصون سره والا * يبقى من أهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتك سر حبو * يمحى من الدستور
ابذل البيض النحور * أموال مثل البحور
ان ردت تملك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المدخور * وفى العطا لا تحور
تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخذور * من عاشق مغدور
مثل الدوالب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المخذور * هو فى الهوى معذور
يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور
واجعل تراب اعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبة وعور * كم بينها مذعور
من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * فى حب بيض الثغور
يغار قلبه ولكن * مدامعه ما تغور
كم بينهم يعفور * كالظبى آنس نفور
من أهل بدر فديته * ايش ما عمل مغفور

ومن ذلك ما نظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد
* ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يا من جنابه شديد * ولطف رأيه سديد
ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
* لازلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد
ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد
ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد

ظلك علينا مديد * مافوق جودك مزيد وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت فى كل عيد * تحظى بجد سعيد عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد ولا برحت مسوقى * كما يوقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد ومابرح جود كفك * منا كحل الوريد
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد ولاعدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

ومما قيل فى فن المجاق

أنا ماعبودى الحمام * لجسمى لكى يتطف الالدمع جارى * على الماولا يوقف
وديك المجارى تجرى * ودمعى يسابقها تقول الانام فى الحمام * له أحباب فارقها

وقال آخر

ترى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفه فاسلاه واترك هواه * وسدّ الطريق خلفه
وان زاد على عشقو * وزادبى الهوى والذل تركتو ولو كان يحيى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهايه واسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول)

(الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى ان نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى ان أزوجها له قال زوجها ممن يتقى الله عزوجل فان أحبها اكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين

فقالوا

فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى مالم يركب وأحب اللآلى مالم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فاجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب
كم بين جبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وجبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان

عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن ورائهما كالفرس الجموح وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر فى أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يجب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت فى ولدك ما فعل ابوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها الاولى الالباب مختصرا
* صبية ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت فى نفسها القمرا
* غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى أجلوك ان نظرا
* فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

وقال آخر

مطيات السرور فوق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

وقال آخر

فاياك اياك المجوز ووطأها * فماهو الا مثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الخليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليه السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به براوفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى يا شعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت وما بى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينها قالت ان كنت كفؤا ولم تقل كفؤا وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى

حمالى ندمت وقلت أى شئ صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتنى ياشعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم و يصلى ركعتين و يسأل الله تعالى من خيرها و يتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبستنى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه وما تكره فاجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف او تسريح باحسان أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتنى والله ياشعبى الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده واستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لى وان تدعه يكن حجة عليك أحب كذا واكره كذا وما رأيت من حسنة فاثبتيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب ان يملنى اصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه اكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون و بنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى بانعم ليلة ومكثت معى حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فاحسنت الادب ورويضت فاحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت أبا أمية ان المرأة لا يرى اسوأ حالا منها فى حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم أشر من الوعاء المدلة فقلت والله لقد أدبت فاحسنت الادب ورويضت فاحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ما شاؤا فكانت تأتينى فى رأس كل حول فتوصينى بتلك الوصية فمكثت معى ياشعبى عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لى جار من كندة يفزع امرأته و يضربها فقلت فى ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يمينى يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفى ألف فى السر وخمسمائة ألف فى العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافد نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد

الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله و بشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي و يعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فصار اجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال ما لك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه ان لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا ومازال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده غير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني بجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فخرقه أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فخرقه يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس و يقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شيء يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوى في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته فاتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن

لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعوها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له يا أمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة الست القائلة

فاكليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره ان ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كانا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير فتزوجها بعده عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لاحسبنى أنى لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أنى اخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث قال ما جاءنى بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استهجننى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فما ذا قالت بأن تلحقه فتردّه قال وكيف وقد فرط منى اليه ما فرط قالت تقول له انك لفيتنى وانا مغضب لامرفلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ما طلبت قال فركب فى أثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت منى التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمنى هذا أوس فى أثرنا فقال ما أصنع به فما راعنا الا نقف قال يا حارث اربع على فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغنى ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة أكبر بناته فاتته فقال لها أى بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءنى خاطبا وقد أردت ان أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان فى خلقى رداءة وفى لسانى حدة ولست بابنة عمه فيراعى رحمى ولا هو بجار لك فى البلد فيستحى منك ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على بذلك مسبة قال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله انى الجميلة وجها الرفيعة خلقا

الحسنة رأيا فان طلقني فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث بابنتي هنيئة قال قد قبلت نكاحها وأمرأمها ان تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند ابي واخوتي هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ماشاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فمالبث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله ان تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الي فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد احضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام حرب قدس وذبيان قلت فما ذا تقولين قالت اخرج الى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فان يفوتك ما تريد فقلت والله اني لارى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له اما الآن فنعم فاقامت عنده في الذعيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا من بني سعد مرت به جارية لامة بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها أله زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل له شعرا

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * امام رعيل الخيل أحمي حقائقي
اصبر نفسي حين لم أر صابرا * على الم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

الا انما ابغي جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مذ كان خود نويدة * يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان اعلم الناس بالنساء

فان تسألونى بالنساء فانى * بصير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد ان يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتهن امرأ ممن يكون له * أم من الروم او سوداء عجماء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعى أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخى أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عنى فقلت يا ابن أخى اما القصيرة النسب فالتى اذا ذكرت اباها اكتفت به والطويلة النسب فهى التى لا تعرف حتى تطيل فى نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة فى غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين بانتا * غنمنا واغنتنا الغطارفة النجد

بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فهذا ايام العدو وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره منى السلام وقل له * غنمنا واغنتنا غطارفة المرد

اذا شئت أغنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد

وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد

فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد

فعجل الينا بالسراح فانه * مفانا ولا ندعو لك الله بالرد

فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على ان ركب الفرس واردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أذل واحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب

لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صفى لى أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لماء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم اصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الحفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الاعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن قحطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما انا واياك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابرون والشاكرون فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة اعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت انظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ برداءها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت

أيا عجبا للخود يجرى وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال
دعانى اليه انه ذو قرابة * يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحى فان مدائحى * توافق عند الاكرمين نوامى
توافق عند المشترى الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس بنفسه لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاءة الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ

بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم دياج الوجه يريدون تلونه من رقته قال علي بن زيد في وصفه

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال علي بن عبد ربه

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ بصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن ينجب ولدك فأغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليلة مزورة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) في حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحاض المراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء واست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعواء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر

فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمير

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود

فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

*(الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) فى حكمة داود عليه السلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل ان عيسى عليه السلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفى لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هى اعطتك اللسان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

وقال ابن بشار

رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حائل
ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل قال السمعانى

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما فى الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده * لا بد أن بنظرة سيخون

وقال غيره

لا تركنن الى النسا * ء ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن جميعهن * معلق بفروجهن

وقال على رضى الله عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان ويتمادين فى الطغيان وقال أبو بكر رضى الله عنه ذل من اسند أمره الى امرأة وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فأمر له بأربعة

آلاف درهم فجاءته سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكرا فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال اثنني بذكرها فقال عمر لله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت وقال عمر رضي الله عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل في الباءة) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه واكثر وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الى وجيئتها يتصبب عرقا فقلت لها ما ظننت قوة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فاجابها بقول

انا شيخ ولي امرأة عجوز * تراودني على مالا يجوز

وقالت رق ايرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمني تأتيني بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال اقتلها بهذه القتلة وعلي اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس في الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا اقصر أعمارا من العصافير وهي أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

*(الفصل الخامس في الطلاق وما جاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخي الاصمعي قال قال عمي للرشيد في بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغني ان رجلا من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا باربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الا من قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبي فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أيادي بهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا ان تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وانت طالق

ايضا فسمعته جارة له فاشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم ابيت الاطلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال وانت ايتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازنى بعلك فاجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما ارادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضرانى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلنى عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة خيرت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا اجد لك فى الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله عنهما ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء (ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغربان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذى ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفى الليالى وفى ايامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه اشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فامر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فانشدها

اسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتى * بموت من خليلك او فراق

قال فاتاها اشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك فى زيارتنا يا اشعب فقال يا سيدتى ارسلنى اليك الوليد برسالة ثم انشدها الشعر فقالت لجواريها علىكن بهذا الخبيث فقال يا سيدتى انه دفع الى عشرة آلاف درهم فهى لك وأعتقينى لوجه الله فقالت والله لا اعتقتك أو تبلغ اليه ما اقول لك قال يا سيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه والقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

اتبكى على سعدى وانت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اختر منى احدى ثلاث اما ان اقتلك واما ان اطرحك من هذا القصر واما ان القيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير اشعب وأطرق ملیا ثم قال يا سيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار

فاصبحت الغداة الوم نفسى * بامر ليس لى فيه اختيار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين اخرجه الضرار
ولو انى ملكت بها يمينى * لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان ابوه امره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فانشد يقول

فنى صبرى وعاودنى رداعى * وكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فازعجونى * فيا للناس للواشى المطاع
فاصبحت الغداة الوم نفسى * على امر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كانها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتى هذه شجتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاى غير متعمدة لذلك كنت اعالج طبيا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى بدنى على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما ارى فقال يا مولاى ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسى بفراقها قال فان اعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هى لك قال فهى اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسى علينا نفسك وانشأ يقول

يا شيخ يا شيخ من دلاك بالغزل * قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها)

قد انزل الله تعالى فى الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى ان شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله عنه فاخذ بلحى بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
ابوعدى ابن كبشة ان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام
ايجزان يرد الموت عنى * وينشرنى اذا بليت عظامى
الا من مبلغ الرحمن عنى * بانى تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعنى شرابى * وقل لله يمنعنى طعامى

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان فى يده فضربه به فقال اعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانزل الله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع

بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها فى تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول مانهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وممن تركها فى الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه على عينه فاصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله مابال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ منى الشراب ما ابلغ معه الى هذا لا اشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لا اذوقها بعد اليوم أبدا وممن حرمها فى الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ماصنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه وممن حرمها فى الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا ابرح حتى انزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وفاق قال مالى هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال اكره ان اصبح سيد قومى وامسى سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فاعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدى اسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح وتكفينى مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلنى ذلك الاعقلى وانا اكره ان يدخل عليه ماينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفده وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن انا امنع أهل عملى منه واكره ان أمنعهم عن شئ ولا امتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابى لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا قومى ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فانى رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر رذلا لا الشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله مايفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينا أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك

القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل اناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم

فان قلت هذا لم اقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

وللاعرج الطائى

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

وقال الصفدى

دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كاسها للمرء كسوة عار

وكم البست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك انما هى خمر قال من اين علمت انها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف انها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصرانى يا احمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون افنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ماشربتها الا لضعف الاسناد ومن المجون فى ذلك ماحكى ان سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فمال على وجهه فقال وماء حارا ايضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حوك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الاسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة ايام فقال

سقيت عقالا يا لعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلى عقالى

قرعت بام الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليال

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا ارحم الراحمين آمين

(الباب الخامس والسبعون فى المزح والنهى عنه وماجاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)

(الفصل الاول فى النهى عن المزاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن على مامزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك ان تذكر من الكلام مايكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضى الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروأة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح وتنكد الهزل فانهما يابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لى امى لاتمازح الصبيان فتهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت

اما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فاخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب المهيبة وكثرة المزاح تذهب المروأة ومن لزم شيأ عرف به ومما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم انهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حالتهم كانهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم) لا بأس بالمزح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقى عيسى عليه السلام فقال مالى اراك لاهيا كانك آمن فقال له عيسى مالى اراك عابسا كانك آيس فقال لا تبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله اليهما ان احبكما الى احسنكما ظنا بى ويروى ان احبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجارية خلقنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال عمر لا باس عليك فان الله تعالى خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاءه رجل فقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال عليه السلام لاحملنك الا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز انصارية فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها اما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وانا العب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من اولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى ابول فاخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فاجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قالوا نعيمان قال لله على نذر ان اضربه بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا ابا المنور هل لك فى نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلى وأخذ بيده وجاء به

الى عثمان بن عفان وهو يصلى وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا ويعالم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون فى التصحيف وكنت لا اعرفه فوقع فى قلبى ان اتعلمه فدخلت فى سوق الكتبية واشتريت كتابا فى التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدى وحلفت انى لا اشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشى عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك باحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذى تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بى عرق النسى فى ليلتى هذه فبلغ منى ما ترى فقال ان بديحا مولاى ارقى الخلق منه فامر باحضاره فلما مثل بين يديه قاله عبد الملك يا بديح ارق رجلى فقال يا مولاى أنا أرقى الناس فلما ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتونى بها تكتبها الثلاثة يجىء بى الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتجميل جائزتى فامر له باربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتى الى بيتى قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا بواسطة بقول نصيب حيث قال

الا ان ليلى العامرية اصبحت * على البعد منى ذنب غيرى تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتمها على فقال وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى غص برجليه واعجبه هذا البسط وروى ان ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

انبئت ان فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه) اما النهى عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروى يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبى عن اللعب بالشطرنج فقال لا باس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت العب بالشطرنج مع صديق فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين جون معروفين بالكرم

تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير ان يأثما فيها بسفك دم

هذا بغير على هذا وذاك على * هذا بغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم حاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند دما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت احمر واصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء فى لعب الغلمان) ما حكى ان غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة واسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فاخذها فجعلوا يطلبونها منه فابى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فابى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان اطفالا صغارا شتموا نبيهم فغضبوا لله وانتصروا واهدر دم الاسقف والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فعارت به فرسه حتى وقع فى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت انك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين قال فاخذ الاعرابى الركوة فوكاها وقال املك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا باس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجد اعرابى يا كل ويتغوط ويفلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال اخرج عتيقا وادخل جديدا واقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لا بد دون شمله بالاسفار وسمع اعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا باس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرجوا لاخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان اطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن ان طنبا من أطنابك قد انقطع ورؤى اعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط

كلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء اقضيها في الصيف وسرق اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وارجع أنام وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابي والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حي من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي يا الهي أعلم
فان كنت يوما في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعي فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربي أن أصلي عاريا * ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة * أصلي له مهما أعيش من العمر

قال فاعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا علي ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذاري من صلاتي جالسا * على غير طهر مومياً نحو قبلتي
فما لي ببرد الماء يا رب طاقة * ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني أستغفر الله شاتيا * واقضيكها يا رب في وجه صيفتي
وان أنا لم أفعل فانت محكم * بما شئت من صفحي ومن نتف لحيتي

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت * وصلى اعرابي مع قوم فقرأ الامام قل ارأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فقال الاعرابي اهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فاذكروا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تغدو وهي هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا اختاه ما زال الامام يأمرهم ان ينكحونا حتى خشيت ان يقعوا علي * وصلى اعرابي خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان في الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوي محرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يا مجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين وأراد ان يهلكني في الجملة والله لا رأيته بعد اليوم وجلس بعض الاعراب يشرب مع

ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

اذا ما خلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلا شك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا يقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى انه كلب فقال انظروا ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فحضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * ووجه فى عطيته السحابا
أما فى مال رد فلك من زكاة * فتدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الاصمعى ان عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يا فقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل تظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما ان جاء ليسافر قال له سفيان يا اعرابى ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الابر عندكم قالت عصية ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما احوجنى الى ذلك قال خذ عبد أن الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر وا كتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أجره وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل

فذبحه

فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لى لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حمارى فى حزامه وارجع الى أهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق باصحابه ونزل فى منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذى أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوانه فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابى انه صاحبه فقال يا سيدى ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال اعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابى المال وانصرف

(الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا فى دهليز عثمان ابن شيبة نخرج الينا فقال ن والقلم فى أى سورة ومر بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك فى أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم اعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبى العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية فى أى سورة الحمد لله لا شريك له فقال له فى سورة الحمد فضحكوا عليه وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما فى رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا مأمونية فسقتنى يدى اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فسقتنى يدى اليها فقال أرى ان لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وانى توضأت وصليت فبينما أنا فى الصلاة اذ أحسست ببلل فى سراويلى يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل افسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى فهل يجوز لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لا كثر الله فى المسلمين مثلك ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها أو يصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا تزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى ما لم تكن تعرفه وسكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه

يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال اخشى أن تدركه رقة فيسجد

(الفصل الثالث فى نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقر أيوما فى المصحف وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه أطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فامر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها الظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شئ نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وحامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضى المثل يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والملع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وما تروحوا من هذه البغلة بلاشئ جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك وردعاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشئ ولا تدعنا نروح بلاش تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والملع جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل ان يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه وولى يحيى بن اكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى غص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل واحضر رجل ولده الى القاضى فقال يا مولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فانكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدى أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى أقرأ القرآن فقال له القاضى اقرأ حتى اسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضى وانا الآخر احفظ آية منها وهى

فارجمى مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضى قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى أبى عصمة القاضى فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فانكر فقال للمدعى ألك بينة فقال لى شاهدان فاحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدى عن صناعتهما فاخبر أحدهما

أنه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبي يوسف القاضي في الفالوذج واللوذينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف انا لا أحكم على غائب فأمر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدي أبي يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال يا سيدي ان امرأتي قحبانا فقال له القاضي طلقها فانا فقال عشقانا فقال قودها فانا وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حتى أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت ياعدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لاحق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لاجزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي ياسيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي انى أرى في منامي كاني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل بطا طئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال ياهذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكى) ان تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وان أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام واسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوأة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف ان الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضي واخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فاخبره بجميع ما رأى فقال ياجاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجر يهوديا صيتا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاءت جماعة شهدوا عندي انه بالغ فانا امتحنته فخرج التاجر من البلد وحلف انه لا يعود اليها أبدا

(الفصل الرابع في نوادر النحاة) وقف نحوي على بياع يبيع ارزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز بالعسل والخال بالبقل فقال بالاصفع في الارؤس والاضرط في الاذقن ووقع نحوي في كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا فقال له

النحوى اطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا اخانا قال لا ان جاءنى قتلنى فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما اشغلنى عنك الا فلان فانه دعانى بالامس فاهرس واعدس واستبذج وسكيج وطهيج وافرج وديج وابصل وامضر ولوزج وافلوذج فصاح أبوه غضونى فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحى وجاء نحوى يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال ياعم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وادخله الله فى بطن عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذى تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله معافية بالتها كانت القاضية

* (الفصل الخامس فى نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصوجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندى صغار أو باش فما قول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لى بضرطة فاضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدى فاضع الكرة فى الصوجان وأضربه فاشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فاجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فمى واضرب الطبل وأنفخ فى البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الى ويخلصونى منهم وحكى الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينيح نيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبى قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفنى خبره فقال هذا صبى لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتى ظن أنه صوت الكلب فيخرج فامسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال له اما أن تنتهى والا فعلت بامك فقالت يا معلم هذا صبى ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها أمام ولدها وقال الجاحظ رأيت معلما فى الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان أراهم فقال ما اشير عليك بذلك فقلت لا بد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض اذنى فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذى عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض اذن نفسه وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلى العصر فلما ركع ادخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذى عملت وسوف اكافئك اذا فرغت من الصلاة (وحكى) عن الجاحظ انه قال الفت كتابا فى نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على أحسن رد ورحب بى فجلست عنده

وباحثته فى القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته فى الفقه والنحو وعلم المعقول واشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوى عزمى على تقطيع الكتاب قال فكنت اختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس فى بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ماتريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقال بسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وماهو منك قال حمدونى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن انى رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم ترفقال اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه مافى الدنيا أحسن منها ماقيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار فقلت ياهذا انى كنت ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى على ابقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله

(الفصل السادس فى نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذى يقال عنك قال انى نبى كريم قال فاى شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصور الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا فى لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فاخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبى قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما بعثت الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال ومابراهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت

عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فاخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم واحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا في هذه الساعة قال أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر في زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبي قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد احاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى اعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبي الله وانما يعطي زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فاتي به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فامر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له الك علامة قال علامتي اني أعلم ما في نفسك قال وما في نفسي قال في نفسك اني كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أنوجه فقال هل أوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فامر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصاري

*(الفصل السابع في نوادر السؤال) *وقف أعرابي بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر لعلي جئت أدعوك الى وليمة وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال اني جائع فقالوا له كذبت فقال جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا اما تقدر عليها قال فقليل

من بر أرفول أوشعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أوقليل زيت أولبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم احق منى بالسؤال

*(الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين) * قيل لمؤذن ما اسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى اسمع صوتى من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب أن أسمع أذانى أين بلغ واختصم رجلان فى جارية فاودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمع مؤذن حمص يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل ان أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضى فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع فى نوادر النواتية) حكى أن بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس فى داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى اسمع غاغة فى البر حلى قلوعى واعملى اسفيرتى على جامورى وقدمى الى اسقالة الرجل وقيمينى بمدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقدعلت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالى فقال له تعال ياشيخ مالى أرى أرطمونك فى حلقك وشابورتك مكسورة وانت تنزع ماء متغير وتقيم المليلا فى الساحل دخل عليك شر دغربى والا دخلت على بواجى فقال الشيخ والله ياسيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال يا أولاد جيبوا غريمه بخمسة اعدته وقسطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت يغنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت فى الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك فى بدراوة وعلقتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله ياخوند هو كارزنى فى معاشى اجصطن على الوحسة وأنا عايم فى الليل الاوشر دجانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شابورتى وقطع لبانى وها هو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شئ فانا بمرسوم الامير اجيب له القلفاط أسد فتحه واعيد له وسقه واخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت بتقدف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى تعبر على الحجر يا رجالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شيبنة اللبان وانزلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر

حتى تلعب الميه على بطونسته ها قوامك خلوا جنب برا وجنب جوا قدام الخن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخوند اهو خنفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال ياخوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يهلك بحر اللبان فى الحلافى وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شر الاربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفا عند بحنسة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهذا سقالتك واقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اعبر لهذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الامير أحمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملات على أبوس

*(الفصل العاشر فى نوادر جامعة) سمعت امرأة فى الحديث ان صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال ابوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا ان امها ذكرت انها ولدتها فى أيام البراغيث وقيل لطفيلى أى سورة تحبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك اصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل له لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة ارقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له ما يضحكك أستهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت

الى

الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلى فتفكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له اجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط انه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك الثلثان فاجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فاحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه ان الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر ويفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزن نهار طلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه اثنان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة ونصيبه اثنان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمرلهما بألف دينار فاخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الدعاء وآدابه)

* قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أى أقبل عبادة من عبدنى فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يحب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة فى الدنيا واما أن يكفر عن الداعى واما أن يدخره له فى الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس

فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له ثوابها واما ان يكف عنه من السوء بمثلها وروى انه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم علىّ واكرمنى فيقولون الست كنت تدعو الله فى الدنيا هذا دعاؤك الذى كنت تدعوه قد أدخره لك واعلم أن اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعى أن يكون عالما بان لا قادر الا الله وان الوسائط فى قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا الاكل الحرام ولا يعمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه ان يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه السلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل فى الاثم كل ما يؤثم به من الذنوب ويدخل فى الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فاركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادى ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطى ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهى الطنبور ولا صاحب كوبة وهى الطبل الكبير الضيق الوسط ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعى مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيى كريم يستحيى من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعى صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبى عبد الرحمن الهمدانى قال صليت مع أبى اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر فى الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغى للداعى أن لا يتكلف وأن يأتى بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون فى الدعاء على سمع كلمات فما دونها كما فى آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الدارانى من أراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن ان يجتهد فى الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى الثلث الاخير من الليل لما جاء فى الحديث ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفى حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر فى يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور فى وجهه قال جابر ما نزل بى أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فاعرف الاجابة وفى بعض الكتب المنزلة ياعبدى اذا سألت فاسألنى فانى غنى واذا طلبت النصرة فاطلبها منى فانى قوى واذا افشيت سرك فأفشه الى فانى وفى واذا أقرضت فاقرضنى فانى ملى واذا دعوت فادعنى فانى حفى وعن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغنى ان موسى مر برجل قائم يبكى ويتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو انه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر لله باساءته حاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم انى أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت

فقالت المهى لك اذل وعلىك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك ابغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا باحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هنيئا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضى ان الحجيج كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من الترك مان ساكت لا يحسن ان يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم انى لا أحسن شيأ من الدعاء فاسئلك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين فى منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك الترك انى لما نظرت الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعى حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى وركب ابراهيم بن أدهم فى سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فى كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثورى كان من دعاء السلف اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم انى اكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا معرض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجد المهى بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار سمعت انا من يدعو من العرب عند الركن اليمانى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابى أتحسن ان تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير ان نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغنى ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شئ به ارحمه وقال طاوس بينما أنا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على بن الحسين فقلت رجل صالح من اهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها فى كرب الا فرج عنى ودعا اعرابى فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت

أعرابية بالموقف فقالت اسألك سترك الذى لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا اعرابى فقال اللهم امح ما فى قلبى من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فانزله وان كان فى الارض فاخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه وقال أبو نواس

أحببت من شعر بشار وكلمته * بيتا لهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلى فى منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ونعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل شئ وسمع على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق باستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك مل ء السموات والارض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم صن وجهى باليسار ولا تبذل جاهى بالاقتار فأسترزق طامع رزقك من غيرك واستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وافتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يا محمد اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابنى فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما ابتلى الذى اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله العصر فخر بنا كلب فما بلغت يد رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعى على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت اذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو يا على يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها

طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يارب يارب يارب يقول الله عز وجل لبيك عبدى وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن على بن أبى زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني الاسم الاعظم الذى اذا دعى به أجاب فقمت ليلة أصلى فسمعت قعقعة فى سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهى واذا مكتوب بالنور فقرأته يا ألله يا رحمن ياذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ماروى عن وهب ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم انى أسألك يا من يملك حوائج السائلين و يعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة واياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بى كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فى النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به فى الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم لى بخير حتى لا تضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة معافى وعن معروف الكرخى قال اجتمعت اليهود انزاههم الله على قتل عيسى بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفى باطن جناحيه مكتوب اللهم انى أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالى الذى ملأ الاركان كلها أن تكشف عنى ضرما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدى الى فقال رسول الله لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه قال وجهنى الحجاج بن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عنى فأتيت بخيلى ورجلى فاذا هو جالس على باب داره ماد ارجليه فقلت له أجب الامير فقال أى الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لان العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم علمنى دعاء وقال من دعا به فى كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به فى صباحى هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد ما دمت أنت فى الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا فى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى ودينى باسم الله على أهلى ومالى باسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله اكبر الله اكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم *وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم انى أسألك بعفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى أعلمنى ان أسألك مالا أستوجبه منك بما قضيته لى أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الى وأنا المسىء الى نفسى فبما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى لكن الثقة بك حملتنى على الجراءة على الذنوب فأسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلى على محمد وآله وأن تفتح لى باب الفرج بطولك وتحبس عنى باب الهم بقدرتك ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين فاعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتك يا أرحم الراحمين وروى الحافظ النسفى باسناده عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فايما عبد من عبادك او أمة من اما ئك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها اياه فى مال او بدن او عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع ان أتحللها فاسألك أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يارب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك فانى لا شئ واسألك يارب ان تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى وما عليك أن تعطينى الذى سألتك يارب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخى شعيب عليه السلام وقال صالح المرى قال لى قائل فى منامى اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم انى أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت بها فى شئ الا

تعرفت الاجابة وقيل ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم
انى أسألك بالعزة التى لا ترام والملك الذى لا يضام والعين التى لا تنام والنور الذى
لا يطفا وبالوجه الذى لا يبلى وبالديمومية التى لا تفنى وبالحياة التى لا تموت وبالصمدية
التى لا تقهر وبالربوبية التى لا تستذل أن تجعل لنا فى أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك
يا أرحم الراحمين وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد فى ليلة مقمرة وأظن انى قد أصبحت
واذا الليل على حاله فقمت أصلى وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفى يا عبد الله قل
قلت ما أقول قال قل اللهم انى أسألك بانك ملك وأنت على كل شئ قدير وما تشاء من أمر
يكون قال سعيد فما دعوت به قط فى شئ الا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميرى
قال روينا عن قاضى القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس
أحمد بن ابراهيم بن مناع الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء
خالد بن يوسف النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن
الامام أبى محمد بن الحافظ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا
أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعى الجليل محمد بن سيرين قال
نزلنا بنهر تيرا فاتانا أهل ذلك المنزل فقالوا للنا رحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ
متاعه فرحل أصحابى وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما تمت حتى رأيت أقواما قد
أقبلوا وجاؤا الى جهتى اكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الى فلما أصبحت
رحلت فلقينى شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لى يا هذا انسى أنت أم جنى فقلت
بل أنا من بنى آدم قال فما بالك لقد أتيتنا فى هذه الليلة اكثر من سبعين مرة وفى كل ذلك
يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثنى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال من قرأ فى ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره فى ذلك الليلة لص طار ولا
سبع ضار ولا عوف فى نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله
تعالى عهدا ان لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهى ان تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب
الى قوله المفلحون وآية الكرسى الى قوله وهم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة
وان ربكم الله الذى الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخر السورة
والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا
تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وانه تعالى جدربنا الى
قوله شططا زاد البوفى الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد
ابن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان
فيها شفاء من مائة داء وعد منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على قرأتها على شيخ لنا قد أفلج
فاذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البوفى هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور
لا ينكرها الا غبى او غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقدر
شامخ وهى على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات وقال أبو
العباس أحمد القسطلانى سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشى يقول سمعت أبا زيد القرطبى

يقول فى بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها لاهلى وعملت أعمالا ادخرتها لنفسى وكان اذ ذاك بيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه شئ فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول ياعم هذه أمى فى النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فالهمنى الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسى الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر فى نفسى أن قال ياعم هذه أمى أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندى فائدتان امتحانى لصدق الاثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيزا ذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفى رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه انه كان يقول لولده يابنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى وياسامع كل نجوى وياشاهد كل بلوى ويامنجى موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك يامؤنس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحى ياقيوم ياديمومى السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وان تعطينى كذا وكذا انك على كل شئ قدير وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البونى قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قل منى ذاك منى
لابد أن ينشر ما كان طوى * جودا وأن يعطر ما كان خوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شئ ينتهى الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال ما رجا

سبحان من تهفو ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطى الذى يخطى ولا يمنعه * جلاله من العطا الذى الخطا

ومن المنظوم أيضا

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فمالافتقار اليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أنزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله * خير الانام ومن به يتشفع

وقال آخر

يا خالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال فى محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى * يا جاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * فصبر أيوب يا ذا اللطف نجنى
واطلق سراحى وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملنى * وقد تجدد لى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وقال آخر

يا من تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يا من اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
* يا حى يا قيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * ع والمذل لكل جاحد
انى دعوتك والهمو * م جيوشها نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى * يا من له حسن العوائد
نفحى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
* أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريبا * يا الهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئست * من الاقارب والاباعد

ثم الصلاة على النبي وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

دعاء عظيم مأثور

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

(ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض) دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا اخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا اعرابى لآخر فقال رحب واديك وعزنا ديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الاعنة والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) دعا أعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فتته الله فتا وحتته حتا وجعل أمره شتى وخرج أعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورث خبرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص اثرك ودعا اعرابى على آخر فقال اطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا أعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على امير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها

وما دعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين
فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل تسلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن

ارادنا بسوء فاحتط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرفتنا في بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهي ان ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وانت بالحال أعلم الهي ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولت انفوسنا واعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا واطمعنا في عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا وانحللته عصمنا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهي ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالي الهي أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا الا بالذي دللتنا عليك وأمرتنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يا رب على محمد وآله واصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك واطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا اكفهم لطلب نوالك لولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون في القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب ايضا من القدر فان تعسر شئ فبتقديره وان اتفق شئ فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق في تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه له فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب محترسا به من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذي أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى او اكتوى فهو برئ من التوكل قلنا ليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية

أو البكى وان البر من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب الا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فيها وأنشدوا فى ذلك

ألم تر ان الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما ارجح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد ويدوربه ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى ان من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به ان تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولا مر الله كارها قال الغزالى أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال انفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بحية فى فيها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى الى هذا وعن عبد الله المروزى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبى قبيس فقال لو ان رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن وفى الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك الى ان أسافر الى البلد الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما أعطيك مالى الا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على ان لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على ان دفع المال للرجل فاخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر فى البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم

لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بينى وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجدك أو أجد من يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الى ولم أرلها طالبا فاخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرنى بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى انه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط القمح وشرب الماء ثم غابا بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة فى بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وحاشية وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقى من أحد الصناع الذين فى دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه هذا وقت المروأة اعملها ولا أؤاخذه بخله على وعدم انصافه ولعله يحسن الى بعد ذلك فخط يده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقى الصائغ يرجوه كما فأنه عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيأ فما مضت الا أيام قلائل واذا الملك اختار ان يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه فى تحسين الصنعة وسرعة العمل وجاء الى الصانع واخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه

ولم يزل منتصبا الى ان عمل الزوجين وهو لا يزيده شيأ على الدرهمين فى كل يوم ولا يشكره ولا بعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش فى باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفى فعنى
خرجت أطلب رزقى * وجدت رزقى توفى
فلا برزقى أحظى * ولا بصنعة كفى
كم جاهل فى الثريا * وعالم متخفى

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما فى قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة وما سبق له فى القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك فى انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع ومازاده فى آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثانى خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التى عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما فى يديها فأخذهما بعيد نظره فيهما وفى حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقنى الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وان تسلب نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه فى الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضى عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء فى الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

وقال آخر

ما سلم الله هو السالم * ليس كما يزعمه الزاعم
تجرى المقادير التى قدرت * وانف من لا يرتضى راغم

وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شئ لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهى ذاك حتى ينتهى العمر

وروى فى الاسرائيليات ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يا نبى الله هل رأيت اقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدنى به وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر فى الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبى الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين

و يروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما مجرورا فعلمت أن التدبير ليس للعباد ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء فى الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا فى ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال آخر

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها

وقال أخاف عادية الليالى * على نفسى وان القى ردائها

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها

ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طبعا عاما فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشى رحمه الله تعالى فى كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية ان رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته اياما ففى بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت فى بعض الطرق وترامى فى بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشى المماشى فيه قائما فمازال الرجل يمشى الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر فى دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمنقلب فى يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر

لا نلت خيرا ان بقيـ * ـت ولا عدانى الدهر شر

ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون فى التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وروى فى الصحيح

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة وروى أحمد بن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بغرغرة أو قال بنخعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل العبد مالم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال ارجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده ومايصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفى الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبى نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعى رضى الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فاقمه على فدعا نبى الله فشد عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم

صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلى عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضى الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكى) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشترى تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا يقول انى كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعنى الله منه بما شاء ينفعنى وأذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لى صدقته وانه حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلى ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال الله عز وجل علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ماشاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال ربه علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى فليفعل ماشاء وكان قتادة رضى الله عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار وأما دائكم فالذنوب وكان على رضى الله عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هى قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشر احين يصبح وحين يمسى أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم انى أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسى ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل لملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرنى فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرنى فاغفر له لاهو يترك الذنب من مخافتى ولا ييأس من مغفرتى أشهدكم يا ملائكتى انى قد غفرت له وقال بشر الحافى بلغنى ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرنى فلا تكتبوها وان لم يستغفرنى فاكتبوها *(نكتة)* قيل انقطع الغيث عن بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم

وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطرهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك ولانمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فاجود بانعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين أوحى الله الى داود عليه السلام ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسىء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيولينى براوامها لا
فحتى متى أجفوه وهو يبرنى * وابعد عنه وهو يبدل ايصالا
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولاحال عن ستر القبيح ولازالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

(الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وما جاء فى السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب) روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون ان تكونوا كالحمير الصوالة الا تحبون ان تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشىء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما تحط الشجر ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان

فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى انها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له ياعبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء فى مرضه ما تشتهى قال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ما تشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى أمرضنى *(الفصل الثانى من هذا الباب)* فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم وازمد والفيخ وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة *قيل تسارر أبخر واصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى غير انه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر أبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) ان أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

يا حب والرحمن ان فاكا * اهلكنى فولنى قفاكا
آذا غدوت فاتخذ مسواكا * من عرفط ان لم تجد اراكا
لا تقربنى بالذى سواكا * انى أراك ماضغا نواكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان ابرص فلما انتهى الى قوله ابرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بان كنت ابرصا * وكل كريم لا أبالك ابرص

وقال

كفى حزنا انى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وما ذاك من عى ولا من جهالة * ولكنه ما فى الصوت مسلك
فان سد منى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

ومما جاء فى العمى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن حوث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل أعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما اخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى * ويقتادنى فى السير اذ أنا راكب
لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

وقال

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتى سمعى وهاد فترى قلبى

وقال

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكى وقلبى غير ذى غفل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقال

عزاءك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما الشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو بعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه السلام وأكثر ما يعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان افلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية الوقى وعبد الملك بن مروان ابخر وحسان اعمى وابن سيرين اصم ومن فلج ابن أبى داود قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبى داود

وشجة عبد الحميد كانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن فى وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بنى أمية وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه أثر فى جبهته قال أصبغ الله اكبر هذا اشج بنى أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور لابى الاسود ما الشئ ونصف الشئ ولا شئ فقال اما الشئ فالبصر كانوا ما لا شئ فالاعمى واما نصف الشئ فانت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

*(الفصل الثالث من هذا الباب)*فى التداوى من الامراض والطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يرد ان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضى من الطبيب وانه متى اراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وانشد

فاصبحت لا ادعو طبيبا لطبه * ولكننى أدعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذى ابلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فالح عليه اهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فأتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب قد فتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه اوحد أهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافى فأسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم اسلم الطبيب قالوا ومن اعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركة مائك اسلم الطبيب وصار من أهل الجنة وقيل للربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء اكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم

ثلاث بنات متطببات وهن من أجل الناس فاحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فما رأت جوحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حمية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تطلع لموائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا ما نحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحبشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا ان يكون صريع مأكله وقيل انا مله

فكم اكلة اكلت نفس حر * وكم اكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام اثمره الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنئ المرئ يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع واكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر لطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزل النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين وينهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مرو فوجد غالب أهل المسجد يشكون من السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد على

حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت فى محراب سليمان عليه السلام ويقول كل دواء يانبى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفان من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد اكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن اكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فانت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فانت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى علمه أو فى السخاء فانت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فانت أبو ذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فانت السموأل بن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على ان الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهى قارورتك لانه ما هى ميت وأنت حى تكلمنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فاحضر الطبيب فامره ان يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فاحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فارسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك يزل مابك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر جلابه صداع فوضعها على رأسه فزال مابه فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن حمق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم او شربة من عسل وقال المجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الافتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرى ما فيه ولا تأوى الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها واوصى حكيم خليفته ووعده انه اذا لازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على

طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا فى أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أولم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية واعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لابك كل ما * شكوت الى اليوم من الم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

وقال آخر

بى السوء والمكروه لابك كلما * أراداك كانابى وكان لك الاجر

وقال عبد الله بن مصعب

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم ويمرض كلبكم فاعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب وعاد مالك بن أنس رضى الله عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست أبالى * بعد من عادنى ومن لم يعدنى

وقال على بن الجهم

أأرقد الليل مسرورا اذا عدمت * عيشى واحمد برعى ليله وصبا
الله يعلم أنى قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

وقال آخر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكمو * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال آخر

أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم او يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

وعلى الثانى قول بعضهم

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لا تبرمن على فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله)

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لابى ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاص رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كلفتنى رهقا ولا أصعدتنى زلقا ولا جرعتنى علقا فلم أستطل حياتك ولم أستبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لاهله مهدوا لى فراشا وأسندونى وأوسعوا رأسى دهانا ثم اكحلوا عينى بالاثمد ثم أذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع

واذا المنية أنشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى

وذكر أبو العباس الشيبانى قال وفد على ابى دلف عشرة من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى أصيب بها ثم افاق فقال لخادمه بشران قلبى يحدثنى ان بالباب قوما لهم البناحوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب واجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغنى فقيرا لايملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدى وأجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار قالوا فقبلنا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يابشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال ياغلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الالف دينارشيأ حتى يصل الى موضعه قال فاخذناها وودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز تنزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولانى عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين اهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت وانى لم استعد بعد فقال له ياداود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال اما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام وفى الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان بعد وفى الصحراء والبرارى من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على اهبة من ذلك وقيل بينما حسان جالس وفى حجره صبى يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبى فمات فقال اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يامغرور فى مهل

يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض اصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يامن لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما احتضر عمرو بن العاص) دعا بغل وقيد وقال ألبسونى اياهما فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصيناك ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداى لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم مات وهو

مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما احتضر المعتصم) جعلوا يهوّنون عليه فقال هان على النظارة ما يرى بظهر المجلود وسمع ابو الدرداء رجلا فى جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما وكثير عزة فى يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما فى زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقى فى المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما احتضر ابراهيم الخليل) عليه السلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فاوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحى الساعة وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

(حكى) ان شابا تقيا من بنى اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان فى مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبى الله انى خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بى الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال اعجب انى أمرت بقبض روح الشاب الذى كان عندك بارض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبى فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب منى أن تحمله الريح الى الهند فامرتها فحملته وفى ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه فى ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم وقيل ان الرشيد مات له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض اصدقائه اما ترى ما بليت به مما أحببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحبينى فقال ويحك ان الحب ليس هو شئ يصنع انما هو شئ يقع فى القلب تسوقه الاسباب فقال قد أنا احبك قال نعم أنا أحبك قال فهم من وقته ومات وفى الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره فى حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضى فى الزمن الاول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضى الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغنى أن قبره تحت المنارة التى وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى مما يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقى قال أخبرنى رجل من رجال قومى ان جبريل

عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم ان عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر ابن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد منت وان عاقبت فما ظلمت الا اني اشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا بالموت مرحبا بالحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما احتضر عبد الملك بن مروان) قال لابنه الوليد اذا نامت اياك أن تجلس وتعصر عينك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كارفراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفدت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يزيد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هرون

كأني بأخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دما تجري
فيا أيها المذري على دموعه * ستعرض في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني أنزل القبر ثاويا * أزار فلا أدري واجفي فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه

وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكى حتى يغشى عليه فيجب على العاقل ان يحاسب نفسه بنفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره صالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وان يجعل الموت خير غائب ننتظره وان يختم لنا بالخير وان يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فأحدث استرجاعا الا احدث الله له مثله واعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغنى سأله ما فى يده أحبط الله ثلثى عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذى فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعنى قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اؤجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى انه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضى الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضى الله عنهما أول شئ كتبه الله فى اللوح المحفوظ انى أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليتخذ ربا سوائى وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن ان النبى صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكى يا بنتاه قولى اذا مت انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومنى وعن عطاء بن أبى رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بى فانها من أعظم المصائب وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال من أخذت حبيبتاه يعنى عينيه فصبر واحتسب ادخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه السلام قالت له لو دعوت

الله

الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كانى النعماء سبعين عاما أفلا أصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفى وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقيل ان معاوية رضى الله عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابى وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز انانى نعى سيد شباب العرب فقال له ابنى أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر يحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسى

فأوصيكما يا ابنى سدوس كلاكما * بتقوى الذى أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

وقال

أيا صاحبى ان رمت ان تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر فى كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

وقال آخر

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن ابوها أبو بكر الصديق فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك تودیع غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك ولما مات ذر الهمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطا من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فقدك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت لى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا وما لى اليك من وحشة وما بى الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا فان رنته بحقك فقلت اشكرلى ولوالديك الى المصير اللهم انى قد غفرت له ما قصر فيه من حقى فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالتجرد والكرم فلما أراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتى انى بنيت له بيتا فى الجنة وسميته

بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين

(الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتأسى) روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسنده متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسى بردا فى الجنة وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو ابن حزم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة واعلم ان التعزية هى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهى من أحسن ما يستدل به فى التعزية وثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا فى صورتين وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فمهما لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى أن يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك واحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك واحسن عزاءك وفى الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عدد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك ان تتمتع به عمرك أولا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله سبقه الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمهما الله ان الشافعى قد بلغه ان عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول ياأخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان اجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر الهمك الله عند المصائب صبرا واجزل لنا ولك بالصبر أجرا

وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فعزبى مجوسى وقال ينبغى للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل انه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ ابن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها الوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى ان ابا بكر رضى الله عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا اناعلى ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد مات ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخى والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وأنت تعلم ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما ان متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعز يزعلى ان أخاطب مولاى معزيا واكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جلته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سبر سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدور وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاى أن أفاتحه معزيا

وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فمولاي يقتدى فى الصبر على النوائب وبنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة تصدره وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يحمده كما أحب فقال يا بنى سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه اعرابى وقال عظم الله أجرك الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت أعرابية قوما فقالت جاف الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلى بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة ان لا اله الا الله وان سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فاين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال * وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أنضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من باس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا تزفت هذه العبرة لانصدع كبدى ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابى هذا فاجمعى أهل بلدك وأعدى لهم طعاما ووكلى بالابواب من يمنع من اصابته مصيبة فى أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها احد فعلمت ان الاسكندر عزاها فى نفسه ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزنى على الفضل فأنا اخلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضنى عنه خليفة مثله فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط احسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر * وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحرث قام نساء الحى يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها ابكين معى على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تبعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكى معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن والتهنئة بعد سنة تجدد الفرح *(ومما قيل فى التأسى والتسلى بالمخلف عن السلف) * قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية فى والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباك
لا رزء اصبح فى الايام نعرفه * كمارزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال آخر

لابد من فقد ومن فاقد * هيهات ما فى الناس من خالد

وقال آخر

تبصر فلو أن البكا رد ها لكا * على أحد فا كثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم فى والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل

فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن أفول

يغاث بها فى ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له فى تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تبجحى يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعى عن قول الخنساء فى نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس والقمر دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على اعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتى وأزور رمسى

ولولا كثرة الباكين حولى * على أمواتهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل أخى ولكن * أسلى النفس عنه بالتأسى

وقال آخر

ولولا الاسى ما عشت فى الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبنى مثلى

وقال آخر

وهون وجدى عن خليلى اننى * اذا شئت لاقيت الذى أنا صاحبه

وقال

ومما يؤدينى الى الصبر والعزا * تردد فكرى فى عموم المصائب

(الفصل الثالث فى المراثى) لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة منها ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت على بعرضهن الدور

فارتاع قلبى عند ذاك لموته * والعظم منى ما حييت كسير

أعتيق ويحك ان خلك قد توى * والصبر عندك ما بقيت يسير

يا ليتنى من قبل مهلك صاحبى * غيبت فى لحد عليه صخور

فليتحدث بدائع من بعده * تعيابهن جوانح وصدور

وقال

فقدت أرضنا هناك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا
خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدى الأنام سويا
وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا
حازما عازما حليما كريما * عائدا بالنوال براتقيا
ان يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكان خليا
فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول
واسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبى كان يحلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرين العيش لى * فالعيش بعدهم حرام
انى رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود ما لى أراكما * تبددتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبدية فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتبعه فى غد

وقال آخر

ولا ارتجى فى الموت بعدك طائلا * ولا أتقى للدهر بعدك من خطب

وفى المعنى لبعضهم

لقد أمنت نفسى المصائب بعده * فاصبحت منها آمنا ان أروعا

فما اتقى للدهر بعدك نكبة * ولا ارتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدرى ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سابكيك ما فاضت دموعى فان تفض * فحسبك منى ما تكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثى بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال آخر

الى الله أشكو لا الى الناس اننى * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الاحنف

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال آخر يرثى صديقه

خليلى ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلى لو نفس فدت نفس ميت * فديتك مسرورا بنفسى وماليا
وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

أخذها بعضهم فقال

كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وقال آخر يرثى بعض أولاده

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد فى شطرى
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * سبقتك اذ كنا الى غاية نجرى
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخنساء أخبرينى بافضل بيت قلته فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

لابى المحاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم انسه وبنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

وقال آخر

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا

وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال مقاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها عندما عزت الى الصدف

وقال آخر

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابى وامى وجهك المقبور
وارى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور
فالناس كلهم لفقدك واحد * فى كل بيت رنة وزفير
عجبا لاربع اذرع فى خمسة * فى جوفها جبل اشم كبير

وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم فى عيدهم * ولبست حزن أبى الحسين جديدا
أيسرتنى عيد ولم أر وجهه * فيه ألا بعدا لذلك عيدا
فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقاء ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤون مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده ذا لوعة مكمودا
ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فبليت مكلوءا بها مرصودا
منى باوجع اذ رأيت نوائحا * لابى الحسين وقد اطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الزمان كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا
ولئن بقيت وما هلكت فان لى * أجلا وان لم أحصه معدودا
لا موت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا اتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا
ما هدركنى بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالاسى مهدودا
يا ليت أنى لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقى الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه * فعليك جفنى لم يزل مجهودا
فلأنظمن مراثيا مشهورة * تنسى الانام كثيرا وليدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولداله أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصرى

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لأعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى يرثى فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
ليبكى كل ذى علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهى عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

وقال الصدفى

يا غائبا فى الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كاس الموت واحدة * فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

وقال محمد بن عبد الله العتبى يرثى ابنا له

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب احمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثى بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدناه هذه ورؤية ذاكا

وله يرثى الامير يلبغا

الا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبى الا لمن بات واثقا * بأيام دهر ماوعا حق يلبغا

وقال آخر

الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثى صديقا له توفى وكان من الكرماء

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

ولبعض الكتاب فى ابن مقلة

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

هلما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف وارى بت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عاش فى معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا
واما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم اجدعا

وقال آخر

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت ابكيه دما وهو غائب

وقال آخر

فديتك لم أصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر

وقالت ريطة بنت عاصم

وقفت فابكتنى دار عشيرتى * على رزئهن الباكيات الحواسر
غدوا كسيوف الهند ورّاد حومة * من الموت أعما وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمى وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو ان سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن محمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عميه ادريس ومحمد وكانا فى حبسه وكان أبوه قائما يصلى فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس فى حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى فى حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدى الله تعالى فكان ذلك فالا على المنصور ولم يربعد ذلك اليوم راحة وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيأ الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بانها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم انك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عباس لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه السلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن

أبى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم عدو وحسد أخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض واشكالا بغير وفاق
تجىء وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك

ما انعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه

ما احسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

ياواقفين الم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا العرفقو * ان المفرط فى التزود نادم
لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى مابيننا فى حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

وقال آخر

عن قليل اصيركوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

وما أحسن ماقال عبد الله بن طاهر

اليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يانفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن أسد

يامن تملك ملكا لا بقاء له * جمعت نفسك آثاما واوزارا
هل الحياة بذى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرى زارا

وقال بعضهم

وغاية هذى الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال غيره

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وقال آخر

فان كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن * بأنك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر فى مواطن

الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا ووزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لاترى الامساكنهم لم ينفعهم ماجمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لانشدوا

مقيم بالمحون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد
كأنى لم اكن لهم وحبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبد
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة اكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج اكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى * وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينا أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فاخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال

فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينا أنا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى انظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت فى البستان أياما كثيرة فاذا خادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم ما نظرته فقعد فى مجلسه ثم قال يا ناظورنا فاجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناظورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندى فقال أعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأس الطاعة صلى الله يا سيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى وروى ان داود عليه السلام بينما هو يسيح فى الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسيم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مر وا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبى الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى وورثتها من أبى وجدى فبأذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا وورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبى الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولا حق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يدىا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال فى كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حتى كأنه * اذا ما تخطته الامانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس ابن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو اردت هذا لكان سهلا ثم أنس الى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لى أن يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بوردة تثير ففعل فانى لنائم اذا بقمع وردة قد نسمه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة قطيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم انشأ يقول

ياخل انك ان توسدلينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم انشأ يقول

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه اسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى أبيات جليلة وموعظة عظيمة جليلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم * فاسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه السلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه السلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه السلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلهما ثم مر على وجوههما حتى

آتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مر على وجوههما حتى جا قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمر على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمر على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقبل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية انا سبا ابن نواس خدمت عيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاحلاف الجفاة يستنزلونني عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون أنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال ما لم يجمعه أحد قبلى ولم أستطع ان افتدى به من الموت اذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام بينا هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى ان تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله انا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه

هذه الابيات هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجدبين الجود والكرم
وقال فى المعنى بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر بالذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب
وفيه أيها الرافع البناء رويدا * لابد المنون عنك البناء
(وحكى) ان رجلين تنازعا فى أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فاخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله أعلم وروى ان ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فأصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال موت الملك وخراب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته انى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا اجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا حالها ساقلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها
ولبعضهم قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترجما ومشفقا
فاجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى
ولبعضهم أيها الربع الذى قد درسا * كان عينا ثم أضحى أثرا

أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادى دارهم * رحلوا واستودعونى عبرا

وقال عيسى عليه السلام أوحى الله الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مرى على أوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا او كالكاس من عسل وفى أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفى أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح فى منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضىء قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذى ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوبا على قصر باد أهله

هذى منازل أقوام عهدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وروى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخرا الا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور بفناء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور اما الازواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله أعلم

(الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب ولنذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم)

(الحديث الاول) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى الارض الا صلى عليه (الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه ان لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة

أيام (الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلى على نبيك (الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار (الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات (الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل ان يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل ان يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا (الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة (الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة (الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة او يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن فى قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية (الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى يوم مائة مرة قضيت له فى ذلك اليوم مائة حاجة (الحديث الحادى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى مجلسا اكثركم على صلاة (الحديث الثانى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته (الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل عليه السلام وقال لى يا رسول الله لا يصلى عليك أحد الا ويصلى عليه سبعون ألفا من الملائكة (الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لا يرد (الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلى على (الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة (الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى الصلاة على أخطأ طريق الجنة (الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فى الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتى (الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه (الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بى اكثرهم على صلاة (الحديث الحادى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه مالم يندرس اسمى من ذلك الكتاب (الحديث الثانى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى الصلاة على

من أمتي فأستغفرلهم (الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل علي فانا برى منه (الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطؤن الطريق قالوا يارسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا علي (الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فاقول ردّوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة معي في ميزانه وهو الصلاة علي فترجح ميزانه وينادي سعد فلان (الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه (الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلي علي أحد الى يوم القيامة الا بلغني اسمه وقال يارسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك (الحديث الثامن والعشرون) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح (الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن اكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبي الامي صلى الله عليه وسلم (الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرجها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فامره أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (الحديث الحادي والثلاثون) عن عائشة رضي الله عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود (الحديث الثاني والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (الحديث الثالث والثلاثون) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم واسألوا الله لي الوسيلة (الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم (الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي (الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه (الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم (الحديث الثامن والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من

احد يصلى على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه (الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة (الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميرى رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر ابدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله واعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نديه فى الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه فى محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله احدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة فى الارض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبى حسبك الله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبى اذا طلقتم النساء يا أيها النبى لم تحرم يا أيها النبى اتق الله يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا فى أربع مواضع اقتضت الحكمة ان يذكره هناك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها ان الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولى لقال الاعداء ليس هو محمدا فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون ان اسمه محمد الثانى قوله عز وجل ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولى لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة فى ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذى أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد فى موضع واحد وله حكمة وهى ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه من بنى اسرائيل يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة التى أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد لانهم كانوا يعرفونه فى التوراة احمد فما ناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا احمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أى شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشر الاهل

التمجيد ونذيرا لاهل التجهد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه اى يدعو الناس بأمر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعى الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أى يهتدى به كما يهتدى بالسراج فى ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة فى قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك ان السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذى يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدى حتى يقتبس منه والسراج اذا كان فى بلد عم ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب على ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال رضى الله عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأولهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص امته واحشرنا فى زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا تحرمنا جاه بحرمتك يا ارحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

يقول المتوسل بالنبى الامجد - السيد الفقير المكتبى أحمد حمدان زين الادباء بأنواع فنون البلاغه فحازوا قصب السبق فى مضمار الفصاحة والبراعه وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين الى يوم الدين (أما بعد) فقد تم طبع كتاب المستطرف الذى هو فى كل فن مستظرف وياله من كتاب قد جمع الآداب والمواعظ والحكم والنوادر واللطائف والرقائق واخبار الامم بعبارات فائقه واشارات رائقه وذلك بالمطبعة البهيه بالقرب من العلامة الدردير فى مصر المحميه ادارة محمد افندى مصطفى أعانه وشريكه الكريم وأسعفا فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠٠ من هجرة النبى المكرم صلى الله عليه وسلم

صيد حقى احمد رسمى رفقى

DATE DUE

OCT 01 2012

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

893.783
Ib7

679-6052

JAN 2 1962

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58889221
893.783 Ib7
Kitab al-Mustatraf f